محمد هادي اليعربي

مهزي

الإمام علي عليه السلام ومدرسة القرآن

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ٢٦,٣٢
تاريخ ٩٣-٩-٢١
٤٨٥

الجزء الثاني

مطبعة الآداب ـ النجف الاشرف

بسم الله الرحمن الرحيم

* يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس انّ الله لا يهدي القوم الكافرين .

* اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً .

* يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون .

* في بيوت إذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبّح له فيها بالغدوّ والآصال . رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلوة وإيتاء الزكوة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار .

وهذا لقاء جديد . عن أثر القرآن وتأثيره في الفرد المسلم . والنموذج المثالي في الانسانية والقرآن مدرسة أثرّت في النفوس وكان له الأثر في أصحاب القلوب القاسية . حتى حول سكان البادية . اسرة مسلمة . وخلق من تلك الأسرة أمة أفضل امم الأرض (١) وكانت خير أمة في الأرض . والقرآن هو الذي أسماها ومدحها بذلك تلك الامة الناهضة التي عرفت أسباب وجودها وسعادتها واختطت لنفسها المخطط الشامل وارتقت وكانت الدولة الاسلامية التي حكمت الدنيا برسالتها وذلك من آثار هذا الكتاب .

انه الكتاب ـ او المدرسة القرآنية ـ التي ربت العقول وغذت النفوس وهذبت الطباع فكان ناطقاً وكان منهلاً وكان مرجعاً ينهـل منه العربي المسلم . تعال معي الى نموذج ممن تأثر بمدرسة القرآن وتخرج من مدرسة النبوّة ـ انه علي عليه السلام ـ وهو علي حقاً ! الفرد الذي تأثر بالقرآن وهو الانسان الاول وهو الفرد الذي تفاعل فكرياً وعقائدياً مع مدرسة القرآن (٢) ذلك التفاعـل الذي حقق

(١) الأسرة الاسلامية من الرجل العربي وغيره والمرأة العربية وغيرها لا فرق بين هذا وذاك . فكان مسجد الرسول يستقبل الرجل المسلم والمرأة المسلمة . وكان نتيجة ذلك خير ما أنتجت المدرسة الاسلامية .

(٢) خريجو مدرسة القرآن ـ هم الذين أخذوا عنه وانطلقوا يرددون قول الله نحن ! « رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله »

وهم دعاة الى القرآن وكان منطقهم القرآن ودليلهم هو . وهم أعرف بـه من غيرهم .

النتائج الخالدة . وستبقى خالدة وخالدة !

وهل أتاك حديث القرآن وأثره النفسي والاجتماعي في خلق شخصيات قرآنية ؟ أخذت من مدرسة القرآن وتربت في هذه المدرسة وتفاعلت مع هذه الآيات ومع هذا التيار والقرآن تيار جديد لم يكن من قبل فكان !

ويوم أحدث حركة جديدة انه هدي القرآن . انه نور الله في الأرض (١) .

وكان بولادة هذا القرآن . وكانت نشأة مدرسة هذا الكتاب ولادة هذه الأمة ذات السيادة . وولادة تفكير جديد في الكون والوجود . ولادة « الفكر الاسلامي » ونشأة الفكر الديني المتفلسف والذين دوّنوا أحوال هذه الأمة في عصورها السالفة وأرخوا حياتها السياسية وتتاجها الفكري وتطورها الحضاري بوجه عام أدرك هؤلاء المؤرخون

= « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم »
« انهم فتية آمنوا بربهم . » «مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل
وهؤلاء هم النماذج الخيّرة المسلمة الواعية !

(١) القرآن ذو معاجز كثيرة . ومن معاجزه ان خلق انساناً جديداً وعقلية جديدة . وتفكيراً قرآنياً . وهذا لم يكن من قبل . وهو الذي غرسه وأوجده خلق تفكيراً عاماً . وشعوراً سياسياً وذهنية تستطيع ان تجادل جدلاً منطقياً ـ إثباتاً ونفياً وبدأ الانسان المسلم يتفلسف . في نفسه وفي الكون ولماذا هذا الوجود ومن هو الذي أوجد هذا الكون . ومن آثار هذا القرآن . ان خلق امة واحـدة . وحضارة واحدة . أدباً وأخلاقاً وسياسة ودفعها للأفضل . فغيّرها ورجعت اليه وأخذت منه

هذا التغيير الفكري الذي أحدثه القرآن وأثره في هذه الأمة النفسي والسياسي واجمع هؤلاء ان ذلك من نتاج مدرسة القرآن وهو الذي دفع بالأمة نحو الأفضل (١) وهو الذي أخرجها من عزلتها ومن الانطوائية وازال الحدود وفتح أمامها أبواب التفاعل بالنصر وأدركت الغاية والنهاية فانطلقت عن سلطان القرآن وارادته . لانه مدرسة ذلك الانسان المسلم . فكان ذو عقيدة راسخة وإيمان بأن القرآن فيه كل الحلول وفيه ما يحتاجه المسلم في حياته العامة (٢) ومتطلباته في أمسه « وغده » وأصبح هذا الانسان يرتل هذه الآيات ويقف عندها . وبدأ هذا الانسان يدرس القرآن ويتأمله ويرجع اليه في شؤونه وأدرك الرسول(ص) ذلك فكان يسدد المسلم ويدفعه نحو القرآن ويطلق قوله « خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه (٣) »

وتمّ هذا كله في عصر النبوة . وفي عصر نزول القرآن . وأصبح القرآن مرجعاً وحكماً في الخصومات وهو المنطلق وهو المدرسة الفكرية وقل هو المدرسة الاجتماعية العامة خلقت عقلية مسلمة وانساناً مسلماً وهذا من آثار هذه المدرسة (٤) وتأثر ذلك الانسان بكتابه واستنار

(١) وقسم هؤلاء المؤرخون الحياة العربية الاسلامية الى دورين مختلفين الاول يختلف عن الثاني « قبل القرآن » وبعد نزوله .

(٢) وهل ترك القرآن جانباً من جوانب الحياة لم يذكره ؟ فيه كل شيء . وهو القائل الناطق ا

« مافرطنّا في الكتاب » . . . وماتسقط من ورقة من خضر او يابس الا في كتاب .

(٣) حديث نبوي مشهور

(٤) راجع القرآن والعقلية العربية للمؤلف .

بأشعته وتعلمه وتدارسه قوم وحاولوا تأويل آياته (١) والرجوع الى الرسول (ص) لبيان ما أشكل عليهم من آياته وكثر السؤال عن القرآن في عصر النبوة . وكثر القراء وصار ذلك الانسان المسلم لا يفترق ولا يفارق ولا يخالف القرآن أمراً ونهياً (٢)

وكان من نتائج هذه المدرسة القرآنية نبغ في المجتمع الاسلامي الانسان العالم والعابد والرجل المجاهد وهذا عمل قرآني . وصار القرآن لولب الحركة العلمية وهو الميدان الواسع للمدرسة الاسلامية وهو كتاب علم ودين وخلق وأحكام .

وقد قدّم القرآن كل ما تحتاجه الأمة في أدوار حياتها في السياسة وخطّط لهم في آياته كل معالم الرقي .

وهل أغفل القرآن شيئاً من ذلك ؟ وهل ترك القرآن ما تحتاجه هذه الامة ؟وهل سكت هذا القرآن عما يحتاجه هذا الانسان في حياته ؟ أي شيء لم يتطرق له القرآن ولم يتحدث عنه في أكثر من آية وسورة واشارة وصوت وكلمة (٣)

(١) ونبغ قوم - من المسلمين . رجال القرآن . وحفاظه .

« يتلون آيات الله إناء الليل وهم يسجدون »

سورة آل عمران ١١٣

(٢) أثر القرآن وتأثيره في الانسان المسلم والمجتمع الاسلامي . - مسألة لا ريب فيها - فقد كان له أثره في خلق تفكير وحياة جديدة . وخلق انساناً جديداً وهذا من آثار القرآن . ونتساءل لماذا لم يتأثر هذا الانسان المسلم بهذا القرآن وهو هو ؟ ولكنه استجاب للمؤثرات الأخرى وتأثر بها سلباً وإيجاباً لماذا ؟ ؟

(٣) فنجد في القرآن حديثاً عن الحديد . وعن الدخان وعن =

حقاً ان القرآن مدرسة ـ جامعة . خلقت فرداً وأمة مسلمة وقل إن القرآن مدرسة انسانية . وهذا وجه واحد من معاجز القرآن التي اعترف بها المؤرخون وفلاسفة الأدب العربي وحتى خصوم القرآن .

فهو كتاب أخلاق وسياسة وإدارة قبل أن يكن كتاب دين وأحكام وهذا هو القرآن بين يديك وكان الانسان الذي تخرّج من مدرسة القرآن إنما هو رجل علم ورجل أخلاق ورجل دولة قبل أن يكن رجل عبادة وطقوس وتراتيل وخشوع .

إذن : علينا أن نضع بين يديك نموذجاً من تلامذة مدرسة القرآن أي نموذج وأي رجل وأي بطل تأخذه شاهداً على أثر هذا الكتاب الذي ربى نماذجاً مسلمة تخرجت من مدرسته وأخذت من آياته فطهر القلب واللسان وهو الانسان الذي تفاعل مع القرآن . ومع الحركة الفكرية الاسلامية وأخذ منها رجال مؤمنون . والعابدون(١)

= السماء وعن الأرض وعن نهاية العالم وفنائه وعن الأحياء وعن الاجسام النامية وعن التكاثر وهذه مفاهيم علمية لم تكن من قبل ولكن القرآن غرس هذه المفاهيم . فكان القرآن ولا يزال وسيبقى كتاب علم سبق العلم في تطوره ودعا الى العلم ونجح في دعوته للمعرفة .

(١) وهم الذين أثنى عليهم القرآن ومدحهم ووصفهم وشكر سعيهم وماذا تقصد هذه الآية ومن هو المقصود بها « ويسرعون في الخيرات وأولئك من الصالحين » سورة آل عمران ١١٤ .
وقد وصفهم علي عليه السلام وتحدّث عنهم أكثر من مرة ورثاهم وترحم عليهم في خطبته . عن المتقين . وجاء في بحر المعارف ص٨٧ قال صلى أمير المؤمنين الفجر ثم لم يزل في =

هؤلاء لعبوا دورهم في الحياة السياسية والحياة العلمية . وهذا من اعجاز القرآن انه بوقت معلوم وفي أيام معدودات وسنوات قليلة ربى نماذجاً خيّرة لم تستطع التربية الحديثة ان تخلف فرداً واحداً مثيلاً لهؤلاء !

وهذا ما شهد به الدارسون للحضارة العربية الاسلامية وتطورها ورجال الفكر وأبطال المعرفة واعترفوا بما اوجده القرآن من هزات ونقلات وتحولات فكرية عامة .

انها مدرسة القرآن . مدرسة التوحيد ومدرسة للمعرفة ومدرسة الانسانية التي جمعت المسلمين في صعيد واحد وأخرجت الأمة من ذلك الواقع وصاغت الفرد . يحمل الفكر والذوق والنفس وخلقت بين هذا الفرد وذلك الفرد الروابط الاجتماعية والروح الطاهر والأخاء والحب والوفاء وحررت ذلك الفرد من الجاهلية وأساطيرها ورواسبها وموروثاتها القديمة فلا عصبية ولا شحناء ولا عداء قلوب طاهرة . إيثار وعطف وحق في الساعات الحرجة !

قل لي بربك أي مدرسة في هذا الوجود إستطاعت ان تخلق هذا الشعور وهذه الروح بين طلابها ؟

= موضعه حتى صارت الشمس قدر رمح فأقبل على الناس بوجهه فقال والله لقد أدركت أقواماً يبيتون لربهم سجداً وقياما يخالفون بين جباههم وركبهم كأن زفير النار في آذانهم اذا ذكر الله تعالى عندهم ما لواكما يميل الشجر كانما القوم ماتوا غافلين ثم قام عليه السلام فما رأى ضاحكاً حتى قبض وذكرهم في خطبة أخرى وقال عليه السلام وهو في حالة ألم .

انها مدرسة القرآن حقاً . (١) نشيدها هو القرآن ودستورها وشعارها واليه ترجع . وكان الرجل المسلم الذي تربى في خلال هذه المدرسة هو الذي عرف الحق . وأتبعه وأدرك الحقيقة وسار وانطلق نحوها . وتجسد القرآن في قلبه وأخذه نوراً في الطريق وخطاً ومنهجاً في الحياة وشعاراً .

وتسابق المسلمون نحو القرآن وتفاضلوا بالأخذ به لأنه هو الدستور وهو القرآن .

وهنا يطلق الرسول قولهعلي مع القرآن والقرآن مع علي»(١) لانه الفرد الكامل ولأنه عرف القرآن وأخذ به .

وهذا حديث ثانى عن علي عليه السلام الانسان الذي أخذ من القرآن ورجع اليه . الانسان الذي تحدث عن القرآن اكثر من غيره انه علي عليه السلام . الذي تحدث عنه الرسول واكثر الحديث وما فتيء الرسول يقول ويمدح وفي كل مناسبة كان يتحدث عن ذات علي عليه السلام . وما في هذه الذات من فضائل مكتسبة انهـــا ذات مقدسة . وهي ذات علي علية السلام . !

(١) ماذا يعني قوله تعالى ؟ « عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون »

ومن هو المقصود بقوله تعالى ؟ « ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً » من هو المصداق الذي ينطبق عليه هذا المفهوم ومن هو الموصوف بهذه الصفات . ومن هو الممدوح بهذا المدح ؟

(٢) حديث نبوي رواه جمهور المحدثين من الفريقين راجع الجزء الاول علي ومدرسة القرآن للمؤلف .

وهنا نقطة يجب الاشارة اليها :

ان علماء الحديث والذين كتبوا عن علي عليه السلام اتعبوا أنفسهم في الحديث النبوي وشرحه وبيان دلالته واعتبروا الحديث النبوي دليلاً ونصاً على منزلة علي عليه السلام وبرهاناً على إمامته (١) وتبدأ معركة الأحاديث بين المسلمين (٢) والاخذ بها دليلاً على إمامة علي عليه السلام فاعتمد فريق عليها بأنها حجة على إمامة علي وفسرها قوم آخرون انها تدل على عظمة علي ومنزلته .

وبدراستنا لعلي عليه السلام وصلته بالقرآن هذه الدراسة المجردة عن الأخذ بجانب او اثبات وجود علي بالحديث النبوي .

إنما نحاول دراسة هذه الشخصية القرآنية وتأثرها بالقرآن .

مبتعدين عن المسالك الأخرى والاساليب التي سار عليها الكتاب المسلمون الذين اتعبوا أنفسهم في الحديث عن علي . وهو مسلك قـــديم . (٣)

(١) والقوم بين من يأخذ بالحديث دليلاً وبين من لا يأخذ به وهي مشكلة قائمة .

(٢) بدأت المعركة منذ أقدم العصور بين الفريقين حول الاستدلال بالحديث النبوي وصحته وروايته ودلالته ورجاله وتأويل الحديث والاستفادة منه والأخذ بحجتـــه وتفسير الحديث وحمله على الحقيقة والمجاز . او هو دال على المدح دون الامامة .

(٣) الذين درسوا فضائل علي وإمامته ومناقبه جمعوا الاحاديث النبوية الصادرة عن الرسول (ص) هؤلاء درسوا علياً بذهنية قديمة تدور حول الحديث وفي الحديث وسنده واعتبروا المرجـــع والدليل هو الحديث وهو الذي يرفع علياً ويثبت منزلته والشاهد له

ونحاول الدخول في سلك جديد وفي دائرة محدودة ونسلك مساراً جديداً في الحديث ونفترض جدلاً . ان الرسول لم يصرح ولم يتحدث عن علي ولم ينص عليه ولم يصدر عنه ص ـ ولا حديث واحـــد . وندرس علياً بما انه علي وصلته بالقرآن وأثر القرآن في لغته وفلسفته وصلته بالرسالة وتأثره بمدرسة القرآن .

والفرق بينه وبين غيره من المسلمين الذين تأثروا بالقرآن ونحاول عدم الدخول (١) في الاحاديث النبوية ورواتها . ونقول ان ماورد من الاحاديث النبوية انما هو مفسر وموضّح لذات علي وان علياً بما هو علي لم تخلقه النصوص والروايات والاقوال والاحاديث ولم تجعل فيه ما ليس فيه ولم تخلق علياً ولم تكشف لنا عن علي البطل .

انما هو كما يقول احدهم :

« انها أرشدت اليه او دلت على ذاته » لان ذات علي وأفكار علي انما هو نتاج « مدرسة القرآن »

ومن هنا ندخل في دراسة جديدة ندرس عليـاً بغض النظر عن هذه النصوص الواردة عنه ـص ـ وكان الرسول لم يمدح علياً ولا غيره من المسلمين وندرس علياً لا من خلال النصوص الواردة او الكلمات والمواقف .

وبعبارة أخرى . كأنّ الرسول (ص) لم يقل كلمة واحدة في حق علي ولم يصدر فيه قول واحد اوماكان علي سيداً في موقف معين . وانما ندرس

(١) وهناك أحاديث نبوية كثيرة وردت عنـه (ص) في علي واتفق عليها رواة الحديث ولكن لا ندخل في هذه الأحاديث لان غيري أخذها مادة في حديثه عن علي عليه السلام ورجع اليها ونحاول الابتعاد عن هذه النصوص ونسلك مسلكاً آخر .

ذات علي وما في تلك الذات من مواهب « من حيث هو هو » وما أخذه من مدرسة النبوّة لانه علي !

وندرس علياً دراسة صريحة حيادية ندرسه يوم كان صاحباً للرسول وخليلاً واخاً له . ويوم نشأ وترعرع على كتف النبوّة وفي حجر الرسالة . يوحي اليه من وحي النبوّة ما شاء ان يوحي . في هذه السن المبكرة فيسمع اليه ويأخذ عنه ويروي .

انه علي الذي تفتح وعياً وامتلأ سمعه ووعى قلبه من قول النبوّة واسرار النبوّات . وحقاً لو قال فيه (ص) « مستودع سري » وأميني(١)

وبعبارة أكثر وضوحاً نحن . بين علي والقرآن . وبين علي ومدرسته التي عاش بين جدرانها منذ طفولته .

(١) واذا كان الصحابة والشيوخ يلهجون بفضائل علي عليه السلام في حلقات دروسهم . ونحن أخذنا عنهم ـ بما تحدّثوا به ـ وإذا التابعون جاؤا من بعدو تحدثوا ورووا فضائل علي عليه السلام وهم يفخرون . انهم سمعوا عن المتقدمين وعنهم رووا واذا كان ابن عباس وطلابه ومن أخذ منه يرون أنفسهم قاصرين عن أحصاء فضائل علي . فكيف بالمؤلف القاصر . وهو امام بحر من الفضائل . وهنا اطلق كلمتي :

أيها القلم قف هنا . فان عليا بحر ولن تستطيع أقلام العلماء احصاء ومقياس فيض محيطه . ومن عرف اعماق هذا المحيط؟ ومن هو الذي يستطيع أن يدرس شخصية علي عليه السلام ويعرف أبعادها ؟ من هو العالم ومن هو السياسي . ومن هو المتفلسف ؟ وهل انتهى الباحثون من دراسة شخصية علي رغم كثرة من كتب فيه ولا يزال علي كما هو ! !

واستاذه ـ الذي أوحى اليه ما أوحى .

لندرس علياً والقرآن ومعرفة الصلة بين هذا وذاك بوضوح وما استفاده من القرآن .

وما ندرس من كلمات واردة عنه عليه السلام وآيات قرآنية فيه .

فقد دعا علي الى القرآن (١) لانه من معاجزه . وذو صلة به .

(١) وبدأ يدعو الى الاسلام بسيفه ولسانه وبيانه لا تأخذه في الله لومة لائم . شديد . لا يتأثر بعاطفة او قرابة ومما يذكر ان عليا دعا أخاه عقيلاً للاسلام وهمّ به وعرف عقيل صدق نيته فاستجاب وآمن : جاء في كتاب بحر المعارف للهمداني ص١٠ عن روح الاحباب لما اسر العباس بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب فدى العباس نفسه وخرج الى مكة وأما عقيل فلم يكن له شيء يفدي به نفسه فدفعه رسول الله(ص) الى علي (ع) وقال له شأنك بأخيك فأخذ علي (ع) بيده وعرض عليه الاسلام ودعاه اليه فأبى فخلى عن يده واخذ بشعر رأسه وجاء به الى السوق وأجلسه وجرد السيف وكان علي يحب عقيلاً حباً شديداً فقال له عقيل يا أخي بحق الذي تحلف به انك لقاتلي فقال علي (ع) أي والذي لا إله الا هو ان لم تؤمن فقال أشهد أن لا إله الا الله وان محمداً رسول الله وان هذا الدين هو دين الاسلام حق فقال له علي دعوتك الى الاسلام بالترغيب فما أجبت فما بدالك قال تأملت في جدك في قتلي لامتناعي عن الاسلام مع فرط محبتك لي فعلمت انه لو لم يكن هذا الدين حقاً لما يقتل مثلك أخــاً مثلي فصار هذا سبب اسلامي فاعتنقه علي فقال أنت الان أخي (اخوة الدين لا اخوة النسب)

وقد نتعرف على الصلة بين هذا الرجل ومدرسته . من خلال كلام علي (ع) فهو الذي هدانا الى هذا الكتاب لنأخذ منه وبه في الحياة

نحاول معرفة علي (ع) والكتاب والأبعاد الذاتية في ذات علي والابعاد العامة في هذا الكتاب وما فيه من طاقات قد نستطيع تفجيرها واستغلالها في حياتنا الاجتماعية !

ونتساءل مع هؤلاء . هل عرفتم علياً وحقيقته ؟ وهل عرفنا الكتاب وما فيه ؟ ! وهل عرفتم الصلة بين هذا وذاك ؟

فقد بدأت هذه الصلة بين علي الانسان المسلم وبين كتاب الله ـ الدستور . وبقي هذا وذاك وبينهما هذا التلازم وهذه الصلة حتى حاول أن يطبق هذا الدستور في خلافته .

فقد حاول علي أولاً توضيح القرآن والاخذ به وحاول أيضاً . محاولة اخرى تطبيق القرآن واذا قلت ان هذا القرآن لم يطبق تطبيقاً كلياً . ومن هو الذي طبقه ؟ دوعدم تطبيقه يرجع لاسباب كثيرة لا مجال لذكرها . . .

ولكن علياً خليفة الأنبياء جاء ليطبق كتاب الله وهو دستور دولته وهو بين أمرين :

إما ان يطبق القرآن وما فيه ليرضى الله وضميره ويؤدي واجبه في الحياة ـ ويستتي الارض والانسان ـ الخير لتعيش الانسانية بسعادة . ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ـ هذا هو شعار دولة علي .

وأما ان يعطل القرآن ويستجيب لرغبات الناس وينساق وراء الذوات المتنفذين التي أرادت من الخليفة أداة طائعة ولكن علياً اعلنها وبصراحة (أريدكم لله وتريدوني لانفسكم) وهنا يضع علي منهاج دولته الاسلامية ـ وهو السير على كتاب الله ويرى اتباع سنة الرسول

هي المادة الثانية من دستور خلافته فقال « على كتاب الله وسنة رسوله » لان علياً مع القرآن وبقي كذلك . هو والقرآن

المدرسة القرآنية وآثارها

القرآن مدرسة كبرى جامعة ذات جوانب متعددة مدرسة متكاملة : وعلي تلميذ هذه المدرسة . فيها درس ومنها أخذ وقرأ ورتل واستفاد أكثر من غيره وانطبع القرآن في كلامه .

وقد صرّح هو بذلك في خطبه وقد اعترف انه ذو صلة بالقرآن ورجع الى القرآن بأدلته وشواهده ومعانيه .

« ولنا ان نقول انه كان رضي الله عنه يتتلمذ للقرآن الكريم ويستوحيه نصاً في عرفان اسلامه وتقرير إيمانه فكانت نظرته الى الخلق والخالق نظرة قرآنية يبتكر ما شاء ابتكار التلميذ في الحكاية عن الاستاذ فكلامه عن الطاووس والخفاش والزرع والسحاب انما هو الدرس القرآني الذي وعاه من أمر الكتاب بالنظر في المخلوقات ووصف الكتاب لطوائف منها النحل والنمل والطير والاجنة في الارحام(١)

لان علياً أدرك عصر ما قبل نزول القرآن وواكب نزول القرآن فتأثر به وأثره محسوس في لغة علي (ع) .

وعاش عصر الرسالة الزاهر .

وكان علي يختلف عن غيره (٢)

---

(١) العبقريات في الاسلام ص٦٧٨ عباس محمود العقاد .

(٢) الصحابة الكرام مختلفون في نفسياتهم وفي مقدار ما أخذوه وحفظوه ومن حيث الاستعداد والقابلية والذين تأثروا بأسلوب =

لان علياً (ع) غاص في الآيات المكية والمدنية واحاط بالسور القرآنية وأدرك أبعادها وعرف أسرارها فتأثر بها .

وانطلق يدور في فلك قرآني . ذلك الاثر الذي شهد به من درس تراث الامام علي (ع) . وكل من قرأ رسائله وخطبه وتأمل كلماته بذوق . عرف هذا الطابع القرآني .

ونستطيع القول وبصراحة ان علياً (ع) . خطب بأسلوب قرآني

واذا قلت ان علياً هو الفرد العلم الذي استفاد من مدرسة القرآن وتأثر بها .

وقل هو وحده كان كذلك !

وقد تسأل عن أسباب هذا التأثر والتأثير .

١ ـ قوة الحافظة . فكان على من الحفّاظ الاوائل للقرآن وأكثرهم حفظاً وإقبالاً عليه ولعل ذلك من بركة دعاء الرسول ، فقد استجيب دعاءه في حقه .

ورجع علي يخبر الرسول بذلك مستبشراً : (يا رسول الله وانا أتعلم اليوم أربعين آية او نحوها فاذا قرأتها على نفسي فكأنما كتاب الله بين عيني (١)) ودعاء الرسول (ص) في حق أبي الحسين . دعاء لا يرد ودعا له في أكثر من مناسبة . ولما نزل قوله تعالى :

(وتعيها اذن واعية) .

وفي حديث مكحول انه دعا له . (فقال رسول الله ان يجعلها اذن علي .

= القرآن من الصحابة مختلفون فيما بينهم نتيجة للاقتراب والحفظ والفهم .

(١) فضائل القرآن ابن كثير ص٩١

وكان علي يقول ما سمعت من رسول الله (ص) شيئاً الا حفظته ولم أنسه (١) .

فكان علي كما وصفه المترجون له اذا سمع آية او حديثاً من الرسول (ص) حفظه وثبت في ذهنه .

ولعل علياً (ع) كان يسمع مالايسمعه غيره .

(كنت أسمع الصوت وأبصر الضوء سنين سبعاً (٢)) ولكن خصوم علي (ع) . والاقلام الحاقـــدة حاولت بدافع من عدائها وأحقادها الموروثة ان تزيل هذه الفضيلة عن علي وتثبت شيئاً آخر وتنسب اليه انه كان مصاباً بداء النسيان فقد ذهب ابن كثير الى ذلك في فضائل القرآن انه كان يحفظ وينسى ماحفظه من الآيات . ولكنه حاول ان يسدد ما وقع فيه فذكر ان الرسول دعا لعلي :

(قال ابو القاسم الطبراني في معجمه باسناده عن عكرمة عن ابن عباس قال علي بن أبي طالب (ع) يارسول الله القرآن يتفلت من صدري فقال اعلمك كلمات ينفعك الله بهن وينفع من علمته قال نعم بأبي أنت وأمي فعلمه الرسول الصلاة والدعاء . وجاء في الدعاء :

أسألك يا الله يارحمن بجلالك ونور وجهك ان تلزم قلبي حب كتابك كما علمتني وأرزقني ان أتلوه على النحو الذي يرضيك عني . وأسألك أن تنور بالكتاب بصري . وتطلق به لساني وتفرج به عن قلبي وتشرح به صدري . . . الخ . فاتى النبي (ص) . بعد ذلك . بسبع جمع فاخبره بحفظ القرآن والحديث .

فقال النبي (ص) مؤمن ورب الكعبة »

(١) سعد السعود ابن طاووس ص١٠٨ .

(٢) ج١ ابن أبي الحديد ص١٥

وذكر رواية ثانية عن الترمذي في كتاب الدعوات . ذكر النسيان والدعاء . وفي آخر الرواية قال (ص) يا أبا الحسن تفعل ذلك ثلاث جمع او خمساً او سبعاً تجاب بأذن الله .

قال ابن عباس فوالله ما لبث علي (ع) الا خمساً او سبعاً حتى جاء رسول الله (ص) في ذلك المجلس فقال يارسول الله (ص) والله إني كنت فيما خلا لا آخذ الا أربع آيات او نحوهن فاذا قرأتهن على نفسي تفلتن وأنا أتعلم اليوم أربعين آية أو نحوها فاذا قرأتها على نفسي فكأنما كتاب الله بين عيني . ولقـــد كنت أسمع الحديث فاذا رددته تفلت وانا اليوم اسمع الاحاديث فاذا تحدثت بها لم أخرم منها حرفاً فقال له رسول الله (ص) عند ذلك :

« مؤمن ورب الكعبة أبا الحسن » (١) .

علي كاتب القرآن

ولعلي (ع) صلة أخرى لم يغفلها علماء الحديث والتاريخ الاسلامي فهو الذي كتب القرآن وخطه بيده ويكفيه فخراً انه من كتبة القرآن وتدوين آياته وسوره على عهد الرسول وبأشراف النبي (ص) وهو الذي اختاره كاتباً له وهو الذي يتلو عليه الآية بعد الآية ويكرر قراءتها ويسأله علي عن مؤداها وسبب نزولها واين نزلت .

فهو العالم به والمحيط وهو الذي فسره تفسيراً لغوياً وعلميـــاً . بغير تكلف وهو الذي استشهد به واعتبره دليلاً نعلي أمين الوحي (٢)

(١) ص٨٩ ص٩٠ ص٩١ فضائل القرآن ابن كثير الدمشقي .

(٢) كتاب القرآن تليلون . معدودون . وعلي في طليعتهم وهو علي —

وأمناء الوحي هم رجال عرفوا بالصدق والورع . اختارهم الرسول(ص) لذلك . وعلي عرف من بين هؤلاء الصفوة .

فالرسول (ص) هوالذي كان يستمع للوحي ويرتسم القرآن في ذهنه فلا ينسى السورة والآيات « سنقرؤك فلا تنسى »

وكان علي يحمل هذه الذهنية وهذا الوعي وكان يسمع الآية من ينبوعها . ويأخذها من معدنها ويدون ذلك فهو العالم بها متى ولماذا وفيمن نزلت (١) .

وهو الذي أعلن قائلاً : (ما من آية الا وقد علمت فيمن نزلت وأين نزلت في سهل او في جبل وان بين جوانحي لعلماً جماً سلوني قبل أن تفقدوني فانكم ان فقدتموني لم تجدوا من يحدثكم مثل حديثي(٢)) .

ولا غرابة لو وقف علي مفتخراً بذلك :

ولا غرابة ان يكون علي كذلك لانه حفظ القرآن ووعاه واغترف منه وارتوى وامتلأ منه وفهمه اكثر وأكثر من الآخرين وتجسد حتى في كلماته أكثر من غيره ولانه أعلم واكثر إحاطة به من الذين قرأوا القرآن ورتلوه ترتيلاً .

= وكاتب القرآن أمين . ويقال لهم أمناء الوحي . ولعل علياً كتب قرآناً له واقتناه لنفسه للقراءة . واهله دون الاحاديث بكتاب خاص

(١) وقد يسأل النبي علناً أمام جمع من أصحابه كما ذكره ذلك المفسرون . راجع . مجمع البيان ؟ في تفسير قوله تعالى (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا) فكان علي (ع) هو السائل ولو اردنا جمع الاسئلة بكتاب معين لكان مؤلفاً ضخماً .

(٢) أمالي الشيخ المفيد ط النجف ص٩٨

ولا غرابة ان يحفظ علي القرآن لفظاً ومعناً ويعيه وعياً خاصاً ومعرفة معينة . وينطلق يتحدث أمام الآخرين ويصفه بأبدع الاوصاف

ولا غرابة في ذلك لانه غاص في بحر آياته .

وأقول وبصراحة انه مهما تطور العقل المسلم وتوسع المفسرون في الحديث عن القرآن فلا . ولن يتوصل هؤلاء الى بيان أسرار القرآن ودقائق سوره وأبعاد رموزه واشاراته كما توصل علي (ع) لذلك من قبل وأشار اليه في خطبه .

وأقول مرة أخرى : إن في كلام علي دلالة وصورة تعكس لنا تأثير هذه المدرسة على هذا الفرد - وهو علي - لانه خريج مدرسة القرآن ومدرسة النبوة .

فاذا كان علي تلميذ محمد - كما هو كذلك - وكما صرح هو بذلك وكما نعتقد نحن بذلك (١) فانه دليل على عظمة محمد وعلى قدرته التربويه في تربية الفرد المسلم وهو علي (ع) .

وعلي نموذج للمسلم الذي أخذ من مدرسة القرآن وورث محمداً(٢) فأن علياً (ع) فرد صاغته مدرسة القرآن ورعاية محمد .

ما أعظم المدرسة وما أعظم هذا الفرد ! !

وحقاً له لو كان يفخر بذلك فأنه تربى في ظلال مدرسة الرسالة فأخذ خلقه وبطولته ومعارفه . فهو دليل على عظمة هذه التربيه

---

(٢) وآل الرسول هم الذين ورثوا صفات جدهم المصطفى وما كان للرسول (ص) فهم أولى به من غيرهم لانهم آله فقد ورد عنهم عليهم السلام « ما كان للرسول (ص) فهو لنا » .

الاسلامية (١) ونجاحها في تربية الفرد . وصياغة الانسان روحاً وعقلاً

فعلي يدل على محمد(ص) ـ وعلي يدل على عظمة مدرسة القرآن . وعلي تلميذ محمد .

ويدل على غزارة المدرسة الاسلامية وعلومها ومعارفها (٢)

وهو مرآة تعكس ذلك الاشعاع الفكري في هذه الصفحات السماوية والسور القرآنية . وهو ذلك اللسان الذي انطلق يصوّت بالحق هذا هو علي (ع) !

يدل على محمد (ص) دلالة التلازم والملازمة (٣) .

---

(١) التي هربنا عنها وأخذنا بغيرها وهي كافية ان تصوغ الفرد المسلم .

(٢) والمدرسة الاسلامية لها مناهجها . ومفرداتها . واستعدادها لتربية الفرد . مهما كان عقله وروحه وانجاهه . فقد وجدنا في المدرسة الاسلامية أنظمة تربوية . للمراهق . وللمرأة وللغني والفقير . وحتى الانسان الامي له نصيبه لا فرق بين هذا وذاك كما وجدنا ذلك فسلمان . وعلي وبلال وعمر وصهيب . في جلسة واحدة بين يدي الرسول (ص) يسمعون ويستمعون ويأخذون

(٣) وإمامة علي . تدل على النبوّة . وبين علي ومحمد تلازم . هذا عرف هذا ـ وهذا ملازم للاخر وعلي علي بمحمد(ص) ويدل على محمد ، لانه نتاج محمد المعلم الاكبر ـ والامام دليل على النبوّة وهو اللسان الناطق بها فالحسين (ع) يدل على أبيه في عظمته « عن عبد الاعلى قال سمعت أبا عبد الله (ع) يقول اولنا دليل على آخرنا وآخرنا مصدق لاولنا والسنة فينا سواء ان الله اذا حكم حكماً أجراه الحمد لله رب العالمين » وصلى ـ

لانه صاحبه الاول والاخر وهو وارثه وهو الذي أوحى له ما أوحى من علوم الانبياء من قبل . واطلعه على علوم الكتب المنزلة من قبل . وأحاط بالمعارف القرآنية وأسراره التي لم يحط بها غيره .

فاذا كان القرآن هو المدرسة ، والمعلم هو خاتم الرسالات والشرايع وصلت علوم الأولين من علماء درسوا في الكتب المنزلة وورثها المتأخرون فكان محمد (ص) خاتم الرسل ، وعلي وارث محمد وأقرب الناس اليه .

ومن هو الاقرب والاكثر صحبة له دون علي (ع) ؟

من هو الاقرب منه ومن هو اكثر علماً منه ؟ .

ومن هو أعلم منه بعلوم القرآن ؟

ومن هو الذي تأثر بالقرآن وقال ما يشبه هذه الايات القرآنية قوة وشكلاً وصورة غير علي ؟ من هو ؟ واين هو ؟ وقد شهد الرسول في حقه قائلاً :

(علي أفضلكم وفي الدين أفقهكم وبسنتي أبصركم ولكتاب الله أقرأكم(١)) وكان علي كذلك .

هو الذي اطلع على مضامين القرآن آية آية وهو الذي أحاط به دون غيره وهو الذي كان يتلوه ويردد القرآن في عبادته وفي مجالسه وخطبه

ـ الله على سيدنا محمد النبي وآله وسلم تسليما أمالي الشيخ المفيد ص٥٨ ، فآل البيت أحدهم يدل على الاخر لأن أحدهم أخذ من الاخر . وكلهم انطلقوا من مدرسة جدهم خاتم الرسل . ووارث النبوّات في الارض وهم ورثة جدهم وأقرب الناس اليه .

(١) أمالي الشيخ المفيد ط النجف ص٦١

وكان لايفارق القرآن فكان لسانه يردد الآيات في خلواته وفي مجالسه وتأثر به آله وزوجه . فكان علي مدرسة قرآنية أفاضت الخير على جلاسه .

ولعل ذلك بدأ أولاً (هواية) ثم تطور واصبح أثراً وتأثيراً . وتما وتبرعم فادرك علي القرآن وقرآنية القرآن . وادرك جميع جوانب الآية ظاهرها وباطنها وما هو الخفي(١)فيها الذي لم يطلع غيره على ذلك

وما دام الرسولهو أعلم بالقرآن (ص) من غيره لانه هو صاحب الشريعة . وعلي أقرب الناس اليه . وأكثرهم ملازمة فأخذ أكثر من غيره واطلع به عن الرسول وليس علي من القرّاء وحسب او من حفاظ القرآن . انما هو عالم به ومحيط بشئونه وخفاياه واسراره وآدابه (٢) .

وقد تصدقني بذلك وقد تسأل عن العوامل التي خلقت من علي بهذه القدرة وبهذا المستوى القرآني والقدرة البيانية .

وهنا تتساءل ؟ !

كيف أصبح علي بليغاً وقديراً في بيانه وأقواله ؟ ؟

حاول غيري وضع سبب لذلك :

---

(١) ذكر المفسرون ان في القرآن نوعان من الاعجاز . أعجاز ظاهر يدركه صاحب الذوق . بالنظرة . وأعجاز خفيلا يدركه الا الراسخ بالعلم والاحاطة .

(٢) وللقرآن لغة وادب ونسج وصياغة وتلازم بين الاية والاخرى وعلي كانبطل في الادب القرآني أقول ذلك واعتذر . وأقول : ياسيدي يا أبا الحسن . تجرأت في قولي انك علم من اعلام اللغة القرآنية ، وبطل من أبطال الادب القرآني .

فهو امام والامام فوق الآخرين في كماله وتكامله وقدراته وملكاته . وهو ذات حوت كل فضيلة وهو صياغة واختيار آلهي . وعلي (ع) امام أراده الله وأختاره محمد(ص)لهذا المنصب الاعلى .

إن هذا تفسير عقائدي . بعد الايمان بأمامته . وكمال ذاته يفسر هذا التفسير : حيث كونه إماماً وهو ذو قدرة وذو كمال ومن لوازم الامام أن يكون فوق الافراد في مواهبه وخصائصه .

وهذا القول قد يكون مقبولاً عند من يعتقد به اماماً معتمداً على عقيدة واعتقاد ديني .

أما هذا التفسير العلمي غير ذلك والمدرسة التربوية لا تؤمن بهذا التفسير مطلقاً . فلا تفسر الخفايا العلمية والتربوية وتكامل الافراد والفروق الفردية والقدرات والمهارات في الميادين المختلفة والامور المكتسبة بالتفاعل . أن هذه الامور لا تفسر تفسيراً عقائدياً(١) .

وما دمت . أنا . بصدد او محاولة دراسة شخصية علي (ع) .

---

(١) وهنا تتساءل وبصراحة هل يولدوا الناس عباقرة من بطون أمهاتهم ؟ ؟

وهل يولد النبي او الامام كذلك ؟ وتولد معه المواهب ولادة . وهنا الاجابة وبصراحة ليس الناس سواسية في ذلك فان عيسى بن مريم . ولقمان الحكيم . وسقراط . وابراهيم الخليل . ومحمد وغيرهم . من نوابغ الفكر البشري والذين ضربوا المثل الاعلى في المعرفة او الكمال الذاتي وهم فوق عصرهم وفوق الآخرين فقد ولد هؤلاء وهم مزودون بالمعرفة والعلم،والا فاين درس محمد(ص)؟ وعمن أخذ عيسى ؟ ومن هو استاذ ابراهيم ؟ !

وأثر القرآن في نمو وتكامل هذه الشخصية وعلي نمت شخصيته في تربية قرآنية وحلل قرآني ، وعلي بعد كل آية غير علي قبلها حتى تكاملت وأصبحت خلقاً للرسول في شؤونه العامة والخاصة فلا بد من التماس وجه جديد وتفسير مقبول عند العقلية الحديثة .

فالفرد لا يولد الا وهو مزود برأس مال فطري وهناك مجال للتفاعل والاكتساب في المحيط وهذا شأن الافراد - وعلي فرد - وبشر - . ولد وتعلم . وأخذ وأكتسب من الرسول(١) وهو الذي كان يردد قوله (علمني رسول الله الف باب من العلم) .

إذن - علي تلميذ مدرسة الرسالة . وعلي (ع) أخذ معارفه ونهل من شريعة الرسول منذ حداثة سنه ونما وتكامل وبعبارة أخرى علي يوم كان طفلاً وشاباً ويوم كان جندياً ويوم أصبح أخاً وزميلاً وصاحباً للرسول (ص) ويوم لازمه . وكان كثير الملازمة . فانه تأثر به كثيراً تأثر ببيان الرسول وقدرته على الاداء واخذ من بلاغة الرسول الصور . والاداء والاختيار(٢) المناسب وذلك شاهد على تأثر الامام على بمدرسة الرسول . الاثر المحسوس في منطقة وبناء وجوده وتنمية مواهبه .

---

(١) وكلمة الامام الباقر (ع) لمحمد بن حرب الهلالي : «إن علياً له برسول الله شرف ، وبه ارتفع وبه وصل الى أطفاء نار الشرك ولو علا النبي (ص) وحط الاصنام لكان بعلي (ع) ارتفع ولكان أفضل منه »

(٢) واللغة مكتسبة والمهارات الفنية أمور يستفيدها الفرد من الآخرين . والادب فن . او مهارة - فلا يولد الاديب أديباً الا ان يتأثر بأدب الآخرين . والقدرة على البيان والاداء تتطور وتنمو وتتأثر - وتمر بمراحل مختلفة .

ونحن . لا نريد ان ندرس علياً بكونه أمام معصوم وخليفة بعد الرسول اختاره الرسول أو اختارته الامة . او جمع فضائله . ولكن نريد معرفة الوجه المناسب والتفسير المقبول . لكونه نبغ وأصبح أكمل انسان بعد الرسول وانما أريد معرفة ذات علي (ع) وكمالها ودراسة أفكار علي في مدرسته . ومعرفة أسباب نشأة هذه الشخصية وتكاملها . ودراسة علي (ع) ومساهمته في الحركة الفكرية ونشر أفكاره بين أفراد الامة وعند مستمعيه (١) .

وبدأ دوره بعد وفاة الرسول . وحتى في عصر الرسول كان علي (ع) لامعاً وشائع وذو مكانة مرموقة . ومرجعاً .

وهنا نتساءل بعد أن عرفنا ان الامام . والامامة اغترف من بحر

---

(١) لا نستطيع أن نقول ان علياً لم يكن له دوره في الحياة العلمية وتطوير الحضارة العربية فقد كان علي بطلاً من أبطال الحركة الفكرية . فقد نشر كل مفاهيم القرآن للامة . وحقاً ان الاسلام نقل العرب عدة نقلات حضارية - وطورها فكرياً ونقل هذه الامة من واقع قديم الى واقع أفضل عاشته . والقرآن هو لولب الحركة الفكرية - وقد لعب علي (ع) دوراً في تبيان حقائق هذا القرآن ونقل الامة فكرياً وأسهم في نقل الامة وتطورها وتنمية قدراتها في الجدل وأسهم في نشر الافكار العامة . وكان لولب الحركة الفكرية في عصره ونموها ثقافياً . والحركة الفكرية في زمانه . لم تدون كلها . وانما كان تعتمد على النقل والرواية وما دون فهو القليل ولم تدون كل الافكار وانما كان يأخذون عنه سماعاً ومشافهة ورواية ولم يدون عنه الا القليل .

النبوّة معارفه كلها .

قبل ولد علي إماما وامامته ولدت بولادته او هو ولـــد وصار وارتقى ووصل الى مرحلة الامامة بعد هذه المراحل وبعد الاستزادة والاغتراف وبعد هذا التكامل الفكري والكمال الذاتي ؟ ؟ مسألة دقيقة . والجواب عنها يحتاج الى تكلف ومغامرة جريئة .

وقبل الاجابة ـ عن ذلك . علينا ان نثبت هذه النصوص بين يديك من كلام القاضي عبد الجبار في علي (ع) قال فيه :

(يستقون من علمه ولا يستقي الا من علم خير الاولين والآخرين(١)) .

وجاء في بحر المعارف ص٣٨٨ قال (ص) :

« ما أفرغ جبرئيل في صدري حرفاً الا وقد افرغته في جوفك »

ماذا يستفاد من هذا الحديث النبوي ؟ !

إن هذا الحديث يدل على منزلة علي (ع) العلمية وعظمته عند الرسول (ص) . وما حواه من الاسرار النبوية .

وان ما كان عند الرسول كان عنـد علي ولم يترك الرسول حرفاً من الحروف العلمية ولا نقطة علمية الا وأفاض بها الى أقرب الناس اليـــه .

واذا صح الخبر الوارد عنهم عليهم السلام (عن الصادق ان قلوبنا غير قلوب الناس . انا مصفّون مصطفون نرى ما لا يرى الناس ونسمع ما لا يسمعون(٢)) .

وغير ذلك من الاحاديث المتفق عليهافي علي(ع) او في الرسول(ص)

(١) مجموعة ابن ورام ج٢ ص٢٦٩ ط ايران

(٢) بحر المعارف ص٤٠٤ ـ من حديث طويل ذكر .

هو الذي أثبت الدرجة العلمية التي كان عليها علي (ع) . وتحدث الرسول عن علي (ع) ونفسيته . وعن علم علي (ع) دون غيره . ولو كان غيره من الصحابة بهذا المستوى العلمي لقال عنه الرسول وتحدّث عن منزلته .

فلماذا تحدث عن علي (ع) دون غيره ؟ لان علياً وارثه الشرعي . وجامع أسراره والمحيط بما كان عنده . وعلي هو الذي اختاره الرسول لأمته . يؤدي ما عليه ومن هو الذي يماثل علياً ؟ ولا نقالي لو قلنا ذلك فيه انه هو والرسول (ص) صياغة آلهية وتكوين آلهي ـ فعلي هو الامام . والرسول هو خاتم الرسل (ص) ـ

وجاء في الخصال عن أمير المؤمنين قال :

(إياكم والغلو فينا . قولوا إنّا عبيد مربوبون وقولوا في فضلنا ما شئتم(١)) .

ورد عنه (ص) قال :

(يا علي لا نظير لي إلا أنت ولا مثل لك إلا أنا(٢))

(وعن علي عليه السلام أنا أسماء الله الحسنى التي أمر الله ان يدعى بها(٣)) .

وبعد تلاوة هذه النصوص والوقوف عندها . ماذا تدرك . هل كان علي ذلك الانسان الذي يماثل الآخرين من معاصريه أو هو الا ندّ له ولا مثل ومثيل له في الناس الا خاتم الرسل ؟ !

وهنا نعود الى ما قلناه سابقاً في حديثنا عن علي (ع) . يوم

(١) عن بحر المعارف ص٣٥١ .

(٢) بحر المعارف ص٤٤٠

(٣) بحر المعارف ص٣٥٤

ولد ونشأ ـ وتطور ـ وتدرج ـ في مدارج الكمال ـ فهل كان علي يوم ولادته هو . علي يوم عايشَ مراحـــل الدعوة ؟ وواكب نزول الآيات والسور القرآنية؟اونمت شخصيته وتفتحت نفسيته وغرست ذاته في منابع النبوّة وفيض القرآن فارتوى ذلك الفيض جرعة جرعة وأخذ أكثر من الآخرين . وتلقى دروسه العلمية درساً درساً . وفي كل آية درس جديد والقرآن جامع وقاموس علوم ودروس فكرية .

وبعبارة أكثر جرأة . هل ولد علي (هو هو) كما هو؟ وهل ولد وهو امام بولادته ؟ ولد وهو امام اختاره الله إماماً وخلقه اماماً قبل أن ينص عليه محمد (ص) ويكرر النص عليه(١) .

وهل كان الحسين ـ هو الآخر ـ اماماً مع وجود جده وأبيه ولد وهو امام اختاره الله كما اختار أباه وجده . قبل هذا الوجود وقبل أن يكون بهذه الصورة البشرية ليعيش مع الآخرين ويهدي الناس . وهل يكون الامام اماماً مع وجود الامام الآخر ؟ أم هذا امـام في عصر . وهذا امام في زمان آخر يختلف عن سابقه(٢)

واذا آمنا بوجود عالم قبل هذا العالم وأدركنا ان الله هو الذي نصب للعباد علماً ونوراً وهادياً أدركنا ان علياً (ع) امام قبـل ولادتـه وقبل وجوده وقبل ان ينص عليه الرسول . أما النص فهو دال على الامام لا أنه مثبت للامام وللامامة .

---

(١) كما هو . مذهبنا وعقيدتنا .

(٢) فقد اجتمع ثلاثة او أربعة من الأئمة في زمان واحد مثلاً عاش علي والحسنان . وعاش الحسنان والسجاد في عصر واحد وعاش الباقر والصادق . وكذلك الصادق والكاظم (عليهم السلام جميعاً) . ولكن دور هذا وامامة هذا بعد هذا وقبل هذا

ونقول ايضاً : لو لم يولد علي (ع) . ولم يلد يكن الوجود فمن هو خليفة محمد بعده ؟ ومن هو الذي يخلفه من بعده ومن هو يا ترى امام هذه الامة غير علي ؟

ومن هو الذي سوف يختاره محمد (ص) لامامة هذه الامة من بعده ؟ أهو علي وليس غيره انسان أكان علي يعلم بذلك يوم ولد ولازم محمد (ص) انه هو الذي يقوم بذلك من بعده ؟

وهنا مسألة أخرى ـ مسألة العلم والأخذ والاستفادة والاستزادة من مدرسة الرسالة الاسلامية(١)

هل ولد علي (ع) . وهو كغيره من الناس ثم يتفاعل ويأخذ ويكتسب مواهبه وثقافته شأن هذا وذاك ؟

وبعبارة أكثر وضوحاً . هل ولد علي وهو عالم؟ ولد وعنده استعداد

---

(١) ولولا ذلك . فما معنى قوله تعالى (وقل رب زدني علماً) فما معنى طلب الاستزادة . إذاً . فاذا كان الرسول يولد وهو عالم بما كان ويكون وما حدث ويحدث وسوف يحدث . وكل الامور مرتسمة في ذهنه . إذا علم الرسول والامام في تزايد وتكاثر واتساع . ومعلومات في تجدد وتطور ونمو مع الزمن مع الحوادث المستجدة ومع نزول إخبارات جديدة عن الوحي فاذا كان الرسول وهو نبي يوحي اليه يطلب الاستزادة العلمية من ربه فماذا يكون علم الامام اذن ؟ واذا قلنا ان الرسول يعلم بالأمور المستقبلية قبل حدوثها فما معنى الاستزادة وطلب الزيادة ؟وخلاصة القول ان مايعلمه الرسول(ص) اليوم . يختلف عن علمه في غد ويختلف عما يقع ويخبر بـه والامام يأخذ عن الرسول (ص) قطعاً .

وقدرات وتوافذ فكرية يفسر بها ويعلل بها ثم زادته مدرسة القرآن أشعة وفيضاً فكان نوراً واشتد وتفتح نحو الآخرين ثم علا واستعلا . وكان علي الانسان . الذي تربّع على قمة الهرم الفكري في هذا الوجود وهذا هو الصواب . أما من يقول ان علياً (ع) ولد وكان يعلم بكل ما هو كائن وموجود أو هو عالم بما يعلمه من بعد . او سيعلمه او يخبره به الرسول في أخريات حياته .

او ولد وكل الحوادث مرتسمة في صفحات ذهنه وفي الشبكة الذهنية ان شاء فاء بها وان شاء أباح بها وان لم يتفوه بحرف منها . فهو قول فيه نوع من التكلف قطعاً .

ويقصد هذا القائل ان علياً . ولد وهو علي . عالم بما يحدث عليه وعلى غيره وما يقع وما سيقع . وما سوف يحدث في الزمان المستقبل القريب او الزمان البعيد(١) .

ام هو ولد وتدرج بمدارج الوحي ونزولـــه على الرسول وبقي يستزيد ويغترف وينهل واكتسب هذه العلوم وتكسّب هذه المعارف اكتساباً وأخذ هذه المعلومات نتيجة للملازمة والالتزام والمصاحبة والاصغاء والتعليم والاستماع والأيحاء الفكري من ابن عمه الرسول . فكان ما يعلمه من قبل يختلف عما يعلمه فيما بعد .لانه لا يعقل

(١) مثلاً علي (ع) وهو في عصر الرسول . يوم كان شاباً هل كان يعلم بما يحدث عليه في اخريات حياته ؟ وهل او كان يعلم بقتله قبل اخبار الرسول له بما يكون وما سوف يحدث عليه فاذا كان كذلك اذاً هـو والرسول في مستوى واحـد ورتبة واحدة من حيث الانكشاف والوصول والاتصال والاحاطه وليس كذلك .

ان يعلم بالشيء قبل نزوله على الرسول . وقبل أن يبوح به الرسول له ولغيره .

واذا صرح الرسول له وقال له وساره وأفاض اليه إنما هو تلقين له والا فما معنى قوله (ع) « علمني حبيبي » وسمعت رسول الله » (ص) (١) .

إذا هنا دور ونشاط وفعاليات علمية صاغت هذا الانسان ورعاية خاصة رعت هذا الفتى ، وحولته وأبعدته عن المحيط وما فيه من سموم ورواسب وما فيه من موروثات قديمة .

فأوحى له ما أوحى واخذ واتسعت آفاقه وتفتحت نفسه الطاهرة واختزنت من أسرار الرسالة وتوصل ذهنياً الى ما لم يستطع غيره الوصول اليه . أبداً . ولما غذاه ورعـاه واختزن واقتبس واقتطف . وتكامل بعد ذلك صرح قائلاً (ص) أنت . أنت . وأنت مثيلاً وانت أخي . « وأنت ولي الأمر من بعدي » ثم حدد هذه المرحلة . الا أنك لا نبي بعدي ـ فالنبوة فوق ذلك . قطعاً .

والنص وان اختلفت اللغة واختلفت التصريحات فهي تكشف عن كفاءة هذا الانسان ولا يدل على إمامته او يثبت إمامته :

(١) وهذا شأن علي والحسن والحسين ـ فالحسين (ع) بالنسبة لعلمه كذلك انما هي مسألة إخبار واستماع وتصديق واطمئنان بقول الرسول (ص) وهو الظاهر من قوله « علمني حبيبي » وعلمني ألف باب من العلم . وكلهم أخذوا عنه (ص) فكان يبوح ويخبر ـ وهو الذي قال لفاطمة انت اول اهل بيتي لحوقاً بي ـ وكان كما قال ـ وقوله للحسين (ع) . انك مقتول فهم سمعوه ووقع ما أخبر به .

أما علي (ع) فهوامام ولا تتوقف امامته على النص (١)

وفرق بين قولنا النص هو الذي يثبت الامام . والامامة . وقولنا يكشف عن واقع الامام . انه هو الامام كما هو فاختيار الرسول او مدح الرسول (ص) وثناؤه يكشف عن اختيار الله للامام .

والنص هو الذي يكشف عن صلاحية الامام للامة .

(١) يحاول القدماء توقف معرفة الامام على النص وان النص هو الذي يثبت الامامة ! وان الامامة تثبت بالنص . وطال الجدل بين المسلمين هل الامامة بالأجماع او النص ؟ فاحتاج النصوصيون - من المسلمين الى جمع النصوص - الواردة من عن الرسول واحتجوا بحديث الدار - وحديث الغدير - وحديث المنزلة - وحديث يوم خيبر - وحديث التبليغ - وحديث الطير المشوي - وحديث المباهلة - وحديث باب مدينة العلم .

واحتاج القائلون بالأجماع الى اثبات ولاية الخليفة الشرعي بعد الرسول (ص) . ودخل ذلك النزاع الفكري في معركة جديدة فهذا يهدم الاجماع ويشكك فيه . ويذهب الى عدم حصوله ولم تتكامل أركان الأجماع وهذا يهدم النص وعدم ثبوته وإحالته وعدم صدوره . وقام بتأويل النصوص الى معاني أخرى لا تقوم باثبات ولاية الخليفة الشرعي ولكن حاجة الامة الى الخليفة هي أعرف به وبكفائته لهذا المنصب الآلهي . الاعلى - من هو اذن بعد الرسول يكن أهلاً لهذا المنصب الجليل ؟ أهو زيد أو فلان ؟ ان خليفه محمد . من يقوم بدور محمد ويؤدي ما عليه من مسوولية :

وان كان فيه دلالة على عظمة الامام عند الله وعند الرسول (ص) وعلي امام قبل النص وقبل المدح وقبل اختيار الرسول (ص) .

وعلي عالم بكل ما كان يعلمه الرسول لانه عنه أخذ وروى وتحدث

وعلي (ع) رغم إلهامه وصفاء نفسه اكتسب معلوماته . وتدرج مع نزول الآيات القرآنية آية آية وتغذى بهذه الآيات واستضاء بها نفسياً آية بعد آية وكبر وشبت وترعرع وتكامل هذا الانسان مع تكامل القرآن وتكامل الدين تشريعاً .

فكان علي (ع) ذلك الانسان الكبير المحيط يختلف عن علي يوم بدأ ينمو ويستعد للأخذ والالتهام .

وهنا نقول :

أهو علي (ع) نفسه وبما احتواه او كان يعلمه يوم ولد في مكة أهو كذلك بهذا المستوى الذي وصل اليه . وهو يحدّث تلميذه ابن عباس عنه أتدري ماذا قال علي (ع) ؟

« روى ابن عباس عن علي (ع) انه شرح له في ليلة واحدة من حين اقبل ظلامها الى حين اسفر صباحها واطفىء مصباحها في شرح الباء من « بسم الله » ولم يتعدّ الى السين وقال « لو شئت لاوقرت أربعين وقراً » وفي بعض النسخ بعيراً بدل كلمة وقراً(١) .

حقاً لقد كان علي (ع) بهذا المستوى واوسع واكثر وهذه عبارة أخرى بفوه بها ويقولها أحد شرّاح كلام علي (ع) !

قال أحد الشراح لكلام علي (ع) « سبحان من خلق بكمال قدرته وفرط حكمته بحراً من العلوم لا يبلغ احد له مقر أمواج أمواجه فألقى الى الساحل مثل هذه الدرر التي تتقاصر السن البلغاء

(١) عن بحر المعارف ص٤٥٥

من وصف معشار ما فيها من البهاء وتحار الاوهام عن تصور كلماتها بعد النصب في الطلب والاحياء وماذا استطيع ان أقول في وصفه ونعته فكلما يصفه البلغاء لايبلغ حضيض ذروته الا أني أقول :

كلام علي (ع) من امام علي في وصف جبار علي (١) .

إنه كذلك . انه علي قطعاً وانما وصل لذلك واستعلى لهذه القمة انما هو بواسطة رعاية الرسول محمد (ص) فكان غذاؤه قول محمد وكان نوره قول الله (٢) .

وزاد علمه وكثرت معلوماته العامة وأدرك علم الأولين والآخرين من مدرسة سيد المرسلين واذا قلنا ذلك . ان علياً علم بكل ما كان معناه بالواسطة . والأكتساب . وبعد ذلك صرّح قائلاً (علمني رسول الله (ص)) لا أنه كان يعلم بذلك قبل ان يعلمه الرسول اذاً علي لم يأخذ من الرسول (ص) وقطعاً لم نقل ولا نعتقد بان علياً (ص) كان يهبط عليه الوحي اللهم اننا لا نؤمن بذلك ولا أحد من قومي يذهب الى ذلك . واذا قلنا . ان علياً (ع) كان ملهماً وألهم إلهاماً وتأثر بوحي الرسالة والسماءيات وما كان يلقيه اليه الرسول (ص) من أقوال واخبارات واذا أخبر علي فليس هو من باب النبوّة فليس علي بهذه الدرجة . وانما هو سمع عن الرسول(ص) وأخبر غيره بما سمعه وتلقاه من مدرسة القرآن .

(١) ص٤٦٠ بحر المعارف . نقل كلام أحد الشّراح لكلام علي

(٢) ومن كان القرآن نوره فهو المهتدي ولعل قوله تعالى فمن شرح الله صدره للاسلام فهو علي نور من ربه « سورة الزمر » « ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فيما له من هاد » سورة الزمر « ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا » سورة الشورى فكان المصداق لذلك هو علي (ع) . الذي استنار وتغذى بكتاب الله تعالى .

ارتحل علي وخلّف نصائح وارشادات وأفكاراً تصلح أن تكون مدرسة في مختلف جوانب الحياة (١)

مدرسة الامام علي مدرسة الافكار والمثل العليا

مدرسة علي (ع) مدرسة اخلاقية ، قدمت النصائح والتوجيه ، لهذا الانسان المسلم .

كانت ولا تزال ـ وقامت بدورها ونجحت في تربية الافراد وخير من وصف مدرسة علي(ع) الشاملة الجامعة من المتأخرين هو الاستاذ الراوي « اول خليفة اتخذ عاصمته العراق هو الامام علي (ع) فقد جعل

(١) تراث علي كثير وكثير وهو من التراث الحي الذي يصلح لكل زمان ويساير هذا الانسان في حياته . ولو جمعنا كل تراث علي في التربية لألفنا عدة كتب . في تربية الأطفال . ولو جمعنا نصائح علي للحكام والساسة والمسؤولين عن الشعوب لألفنا عدة كتب تصلح أن تكون مرجعاً في الادارة ولو جمعنا ما قاله علي (ع) للشباب وارشادهم في الحياة لكان كتابا « كتاب الشباب » والنصائح المفيدة لاسعادهم في حياتهم وإبعادهم عن القلق النفسي . ولو أخذ الشباب بما قاله علي (ع) لشقوا طريقاً جديداً نحو السعادة ولو جمعنا كل كلمات علي(ع) في الانسان والانسانية وحياة الانسان وما فيه من تركيب وخلايا وقوى . لألفنا عدة من المؤلفات في البحوث الانسانية ووقينا هذا الفرد من العثرات والوقوع في الاخطاء وعاش سعيداً وعرف طريقه وسار نحو غايته .

للكوفة عاصمة له وكان مجلسه مفتّح الابواب لأفراد الرعية على اختلاف طبقاتهم . راجع طه الراوي مجالس ملوك العراق ص٢٤ .

مدرسة علي (ع) ، مدرسة العلم والعبادة (١) ، وهذا صوت علي . وهذه وصية من وصاياه لتلامذته .

« ليس العلم في السماء ، فينزل عليكم . ولا في تخوم الأرض ، فيخرج لكم ، ولكن العلم مجبول في قلوبكم ، تأدبوا بآداب الروحانية يظهر لكم(٢)

هذا هو علي ـ رجل التربية ـ والاشراف ـ والتوجيه ـ وهو امام في التربية الاسلامية .

وقال علي السلام في تربية الطفل الحديث :

« يربى الصبي سبعاً ويؤدب سبعاً ويستخدم سبعاً وسبعاً ومنتهى طوله في ثلاث وعشرين سنة وعقله في خمس وثلاثين وما كان بعد

---

(١) ولعلي مدرسة أخرى وهي المدرسة البيانية . وفيها نستطلع الأساليب الكلامية العربية التي وردت في القرآن وفيها ندرس قدرة علي (ع) في تحويل الأفكار الى جمل . وفيها نقرأ وصايا علي للآخرين - وكيف وضع علي (ع) النصائح على الكلمات . وكيف كان ينسبح القول بصياغة جميلة مقبولة بقدرة فاق الآخرين بها .

وليس هو كلام فحسب وانما هي خطوط ورسوم ومواد . فيها رسم علي مواداً عادلة . وهو ينصح ولاته وعماله وهو يقنن مواداً ويخطط لهم خططاً ليأخذوا بها .

(٢) بحر المعارف ص٢٩٢ عن كتاب التوحيد .

ذلك فيما التجارب » (١)

« قال أمير المؤمنين قال رسول الله (ص) علّموا أولادكم السباحة والرماية (٢) .

« قال علي عليه السلام علّموا صبيانكم من علمنا ما ينفعهم الله به ، لا تغلب عليهم المرجئة برأيها (٣)

« قال عليه السلام أدب اليتيم مما تؤدب منه ولدك وأضربه مما تضرب منه ولدك (٤) »

وتبدأ مرحلة التربية عند الامام علي قبل هذا الدور . بل تبدأ حتى في العناية والاختيار للأم واللبن . والرضاعة لان هذا الغرس ـ غرس ينمو ويترعرع ويشب قبل ان يحتضنه المحيط ويصبح الفرد رهين البيئة :

« عن أبي عبد الله قال . قال أمير المؤمنين (ع) ما من لبن رضع به الصبي أعظم بركة عليه من لبن أمه (٥) »

« ان علياً كان يقول تخيّروا الرضاع كما تتخيّرون للنكاح فان الرضاع يغيّر الطباع (٦) »

ويحدد الامام علي (ع) مراحل التربية بنصائحه .

فيقول لولده الحسن (ع)

---

(١) الوسائل ج٧ ص١٩٥ .

(٢) الوسائل ج٧ ص١٩٤ .

(٣) الوسائل ج٧ ص١٩٧ .

(٤) الوسائل ج٧ ص١٩٨ .

(٥) الوسائل ج٧ ص١٧٥ .

(٦) الوسائل ج٧ ص١٨٨ .

« واعلم انه لا خير في علم لا ينفع ولا ينتفع بعلم لا يحق تعلّمه وانما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقى فيها شيء الا قبله فبادر ربك بالادب قبل أن يقسو قلبك ويشتغل لبك يجد رأيك من الا ما قد كفاك أهل التجارب (١) »

ومن هذه الوصية نعرف أن علياً لم يتكلم مع الآخرين لغرض محدود او هدف واحد .

وفي هذه الوصية دلالة على روحه العلمية الفياضة وانه رائد الأسس التربوية في الاسلام . وبهذا وغيره ندرك أبعاد المدرسة الاسلامية وأثرها التربوي والعقائدي ونجاحها في غلغلة المفاهيم الحقة (٢)

---

(١) بحر المعارف ص٢٢١ .

(٢) ويرى علي (ع) نفسه مسؤولاً طلابه خلقاً وعلماً ورعاية فكان يرعاهم ويسددهم شأنه شأن كل رئيس مدرسة في عصرنا هذا يرعى طلابه عن كثب .

« قال رجل من أصحاب علي (ع) صليت خلفه صلوة الصبح فلما فرغ من الصلوة أقبل علينا بوجهه وقد غلبته كآبة تدل على طول حزنه فلم يزل كذلك حتى طلعت الشمس فبدأ يقلب كفيه بطناً وظهراً وقال اني رأيت اصحاب محمد (ص) غير ما رأيتكم كانوا يصبحون صفراً قد باتوا لله سجداً وقياماً يتلون آيات الله ويتنعمون بذكره تارة على أقدامهم وتارة على جباههم فان ذكر جلت قدرته مادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف . وأراكم قد أصبحتم غافلين » راجع الجزائري زهر الربيع ص٢٣ ط النجف لمن يوجه علي هذا الصوت وهذا النقد أليس لطلابه والذين أحاطوا به يسمعوا -

فقد ربت تلك المدرسة أبطالاً وخرجت رجالاً ضربوا المثل السامي في المواقف المشرفة ـ رغم الأزمات .

وهذا نموذج من أولئك الافذاذ « أسر معاوية يوم صفين رجلاً من أصحاب علي فلما أقيم بين يديه قال : الحمد لله الذي أمكنني منك قال : لا تقل ذلك فانها مصيبة قال : وأية نعمة أعظم من أن يكون الله أظفرني برجل قتل في ساعة واحدة جماعة من أصحابي . أضربا عنقه . فقال : اللهم أشهد ان معاوية لم يقتلني فيك ولا لانك ترضى قتلي ولكن قتلني في الغلبة على حطام هذه الدنيا فان فعل فافعل به ما هو أهله وان لم يفعل فافعل به ما انت أهله فقال : قاتلك الله ا لقد سببت فاوجعت في السب ودعوت فابلغت في الدعاء خليا سبيله (١)

وبعد قراءة هذه الرواية ـ ماذا ندرك وماذا يحمل هذا البطل . أية روح وهو في بين يدي معاوية ا

انه موقف خطر ـ وهو في ساعة تهدد وجوده ، وهو يستطيع أن يتراجع عن ولائه ، وينزع عقيدته ويتخلى عن مبادئه وينجو ا

وحقاً نقول ان مدرسة الامام علي هذبت الطباع وغذت النفوس وقدمت للامة أبطالاً (٢)

- قوله (ع) ويأخذوا منه ؟ ؟

(١) عيون الأخبار ابن قتيبة ص١٥٣

(٢) وكان مجلسه (ع) أشبه شيء بمدرسة دينية أدبية حافلة بالكثير من روائع البدائع ودقائق الحقائق ، ولو جمع جامع ما كان يدور في مجلسه (ع) من أدب الدنيا والدين لاجتمع له كتاب حافل بحقائق العلم وروائع الادب . -

وطلاب مدرسة علي نوعان :

١ ـ قسم درس وأخذ وروى عن الرسول (ص) لانهم أدركوا عصر الرسالة ودخلوا المدرسة الاسلامية وتشرفوا بالحضور والاستماع . ثم أخذوا عن علي فجمعوا بين هذا وذاك .

فقد قرأنا لهؤلاء روايتين ا

رووا عن الرسول مباشرة ورووا عن الرسول بالواسطة . رووا عن علي (ع) . عن الرسول(١) . لأنهم أخذوا الحديث عن علي (ع)

٢ ـ وقسم آخر وهم التابعون . وهم الذين أدركوا مدرسة علي واخذوا عند الكثير . وأخذوا عن الصحابة ورووا عن الرسول بالواسطة

وقد أسهم علي (ع) في نشر الرواية والحديث النبوي وتربية نماذج قل ان نجد أمثال هؤلاء . ميهات . امثال الاصبغ بن نباته . ورشيد الهجري . ونعيم بن دجانة الاسدي والحارث بن عبد الله الهمداني . وجعدة بن هبيرة المخزومي ـ الخطيب البليغ ـ ان علياً درب هؤلاء على الخطابة والاجابة والقراءة وحمل السلاح والوقوف في صوح القتال .

= وفي هذا المجلس كتبت اول صفحة من أول علم من علوم الأدب العربي ـ والواصف لمجالس الامام (ع) كمن يصف الشمس بالنور والسناء والنهار بالظهور والجلاء ولم يشهد العراق مثيلاً لمجلس الامام من بعد . راجع

طه الراوي بمجالس ملوك العراق ص٢٤ ، ٢٥ عن مجلة منير الاثير

(٢) فقد روى ابن عباس . روايتين عن الرسول وروى أيضاً عن علي عن رسول الله . وجابر الانصاري وأبو ذر وزيد بن أرقم وخباب وغيرهم كذلك فأخذوا من مدرسة علي ومدرسة الرسول (ص)

وتختلف مدرسة وأخرى . بنوعية طلابها ومستواهم العلمي والعقائدي والامانة العلمية والثبات على المبدأ وقدرتهم على الأخذ والاستعداد الذهني . فهذه المدرسة غير تلك المدرسة وطلاب هذه المؤسسة يختلفون عن غيرها ـ كما شاهدنا ذلك في زماننا ـ فان الطلاب مختلفون من حيث تأثرهم بالنزعات والتيارات كل هذا : ولكن طلاب مدرسة علي يمتازون عن غيرهم . فهم في الدرجة العليا . من حيث العلم والولاء له والامانة على الحديث .

ويقسمون الى طبقات ونفسيات :

أ ـ الاصحاب

ب ـ الأصفياء

ج ـ الأولياء

د ـ شرطة الخميس(١)

أما حملة الأسرار فهم الذين أأتمنهم علي لاسراره وفي طليعة أولئك هو أبو سالم ميثم بن يحيى فقد كان هذا الرجل موضع أسرار امامه وقد فرس فيه علي ما شاء ورغب وأوحى اليه بعلوم كثيرة .

« كان ميثم قد أطلعه علي عليه السلام على علم كثير وأسرار خفية من أسرار الوصية (٢) »

---

(١) وهذا التقسيم ذهب اليه البرقي في رجاله . . رجال البرقي نقل عنه العلامة البحاثة عبد الواحد المظفر في البطل الاسدي مخطوط وقد ذهب المظفر قائلاً ان شرطة الخميس كان عددهم خمسة آلاف او ستة آلاف راجع البطل الاسدي ص٢١

(٢) ابن أبي الحديد نقلاً عن كتاب الغارات لابراهيم الثقفي ج١ ص٢١٠ .

والحديث عن منزلة علي العلمية وما احتواه من معارف ـ وما اطلع عليه من فيوضات مسألة ، يقف عندها العالم ـ وعندها يتراجع ويندهش ولابدّ له من القول كيف حصل له ما لم يحصل لغيره ؟ وهو ينطق بالمصطلحات العلمية وكان عاش ونشأ مأت السنين والتهم علم العلماء المتقدمين والمتأخرين . وما احتواه وصرّح به اكبر من عمره الزمني واوسع من صحبته للرسول وعندها نجزم قائلين . بأن علياً رجل اتصل بعالم آخر واستقى منـــه واذا لم تصدق قولي فهذه كلمات علي (ع) الخالدة . تأملها وحللها وهي يتوقف عندها المتأمل ويطيل التأمل عندها العالم ، والانسان اذا درس هذه العلوم سوف يطلع على منزلة علي العلمية ويتوصل الى انه غذاه الرسول بالعلوم والهمة وسقاه بما كان عنده ـ وسوف يعرف من هو الرسول (ص) وانه رسول حق .

وكلما توغل الانسان بالعلوم سوف يعرف ان هذا الرجل العربي الأمي الذي لم يدرس بمدرسة ولم يلتقي بعالم او يدخل جامعة عالية ـ نعم اجتمع مع بحير الراهب ساعة ـ فكيف أخذ منه ؟ وهل اخذ منه هذه العلوم والاسرار ؟ كيف يقول هؤلاء ان محمد استفاد منه(١)

الامام علي والعلماء

كثر العلماء في شرق الأرض وغربها ونجحوا في المجالات العلمية والميادين الفكرية الواسعة ، وأدركوا واقع الاشياء وخفايـــا الامور

(١) الاستاذ العلامة الشيخ المظفر من محاضرته في الفلسفة الاسلامية القاها بتاريخ ١٩٦١/١٠/١٤ كلية الفقه

وتوّصلوا الى الحقائق المجهولة والخفية . والاكتشافات والنتائج المقبولة وجاؤا بالمعاجز القاهرة وقدّموا المخترعات الكثيرة . خدمة للانسانية وأوجد هؤلاء العلماء ما كان يعتقده القدماء ضرباً من المستحيل .

فاستخدموا الهواء لنقل الاجسام الثقيلة . ولنقل الذبذبات عبر القارات . ونقل الاصوات على الأمواج وسخروا الاثير لنقل الصورة ويعددها الى عدة صور كما هي . ويحمل الذبذبات الصوتية من هنا الى هناك .

فسمع الانسان كلام أخيه الانسان من الشرق الى الغرب وهذا سر من الاسرار . وهذا هو الكنز الخفي الذي عثر عليه الباحثون وأخرجوه في العصر الحديث . وهو من معجزات علماء اليوم .

فهل أدرك علماء أمس . وبالأخص علماء المسلمين ؟ وأكثر من هذا وذاك فقد كان علي هو العالم وهذه ـ مسألة لا ريب فيها ـ فماذا اكتشف علي وماذا خلّف للاجيال القادمة ؟

وبعبارة أخرى فيها مغامرة وجرأة . . كثرت الدراسات والبحوث المختلفة عن الامام علي وتحليل شخصيته وبيان مواهبه وسجل فضائله .

أما اليوم . فهو عصر التساؤل وعصر الأفكار والتعليل والقول ماذا في مدرسة علي (ع) . وما هي الآثار العلمية وماذا ترك الامام علي من نظريات علمية كما نجدها عند الآخرين ؟

فاذا رجعنا الى القاموس العلمي والى حياة العلماء القدمـــاء والمتأخرين منهم لوجدنا آثاراً علمية ونظريات هي من نتاجهم الفكري فماذا ترك الامام علي ؟ (١)

(١) هذا سؤال يتردّد على الألسن الجريئة التي تأثرت بالمطالعات الحديثة . وقد هزتني كلمة شديدة حارة جريئة من أحد ـ

من نظريات علمية تخدم الانسانية ؟ يقول ذلك ـ الشباب المسلم ـ مسلم اليوم بدافع علمي وماذا خلّف علي (ع) وماذا قاله علي ؟ وبماذا تكلم به علي (ع) من القضايا العلمية .

وهل له نظريات علمية كما للاخرين ؟ من العلماء ـ المسلمين ـ وغير المسلمين . وبعد هذا وغيره ـ نحاول دراسة الامام علي (ع) باعتباره الفرد ـ المسلم الكامل ـ الذي تأثر بمدرسة القرآن واستقى نظرياته وفلسفته من المدرسة الاسلامية . ونحاول مقارنة الامام علي (ع) مع عباقرة الفكر البشري ورواد المدرسة العلمية الحديثة وأصحاب الفلسفات والآراء العلمية والسياسية الذين عاشوا وماتوا . وهم أحياء في المجالات العلمية . وهم الذين قدموا للانسانية تراثاً علمياً واكتشافات خالدة واختراعات لاتزال .

فقد قرأنا كثيراً للاخرين من المفكرين في عصرنا . أكثر من نظرية ـ وحتى في مناهجنا الدراسية(١) .

أصحيح ذلك ؟ ! اذاً فماذا قرأنا للامام علي (ع) ؟ وما هي القضايا العلمية التي تحدث عنها الامام .

ماذا قرأنا لعلي في الفلسفة الكونية والعلوم الذرية وعلوم الفضاء

ـ المثقفين أطلقها وهو مندفع وهو يعيش أفكاراً علمية ماذا ترك الامام من آثار علمية ؟ خدم فيها الاجيال أي شيء له ؟

(١) ومن القرآن استمد علي (ع) صوره الفنية وهذا ما وجدناه في تراثه . والصور التي رأيناها في خطبه كلها إقتباس من الصور الفنية في السور القرآنية ونستطيع أن نقدم لك اكثر من صورة فنية ونذكر لك وجودها الأول ومصدرها . هو القرآن وبعد ذلك نستطيع القول ان علياً له صلة بالقرآن .

والعلوم الانسانية ؟ !

وماذا ينسب لعلي (ع) من مبتكرات علمية هي له دون غيره ؟

بهذه اللغة يقول الشباب وهذا وغيره نسمعه من الشباب الذي عاش ونشأ في المختبرات . والذي امتلأ ذهنه بالآراء الحديثة واطلع على أحدث المختبرات والمكتشفات وعرف ما يدور في الميدان العلمي والمكتبة العلمية الحديثة وواكب تطور العلم الحديث وساير قافلة العلماء وما توصلت اليه الذهنية العلمية وما يدور بين علماء الدنيا(١)

واصبح ذهنه معرضاً علمياً وعصارة الافكار المستخلصة من أذهان الشرق والغرب وأنطبعت فيه الصور المختلفة من المعروضات الجديدة للمدنية التي غزت الاسواق والبيوت والمؤسسات وطورت الحياة العامة

هذا هو شباب اليوم (٢) قد تحول ذهنه الى مكتبة عامة لنظريات حديثة وقاموس عام محيط لاشهر العلماء والمخترعين . وعاد شباب اليوم وبقسوة . وبكلمات جارحة وهو يردد كلمة قاسية ويتساءل ـ جدلاً ـ مع رجال العلم من المسلمين ـ وحتى مع الذين آمنوا ـ بعلي (ع) ـ اماماً وخليفة وانه رجل علم ورث علوم الأولين والانبياء المرسلين واحاط بالكتب المقدسة وانه أعلم رجل عرف بعد خاتم الرسل ! وانه أفضل إنسان عرفه المجتمع الاسلامي بعد النبوّة ـ فهو خليفة

---

(١) وهذا ما دعانا أن أخوض هذا البحث المقارن والدراسة الجريئة المقارنة بينه وبين علماء ومفكرين مشهورين في الارض وفي أمم أخرى . ودراسة ما قاله الامام علي (ع) وما قاله الآخرون .

(٢) إن لم يكن كل الشباب فالاكثر انما هو يواكب العلم ومسيرة الحياة العلمية وما يستجدّ من نتاج علمي واكتشاف جديد

الانبياء وامام أهل الارض وهو كذلك ـ والحق هو ـ

ويشـاءل شبابنا المسلم . وباندفاع اننـــا لم نقرأ لعلي (ع) وفي حياته . وصفحات وجوده . نظرية علمية من أقواله وبيانه اذن ما هي آثاره العلمية ؟

واين هي ؟

وماذا ترك ؟

وهل يروى له وعنه نص علمي ؟ ؟ وماذا خلف من بعده ؟

وماذا خدم الانسانية والامة التي عاش بينها ؟

وهل ينسب اليه نص علمي وما هو ؟ هذا وغيره واكثر من ذلك يتردد على ألسنة الشباب (١)

ماذا تعلمنا من علي (ع) وماذا نجده في سجل أيامه وخطبه ورسائله وأقواله ؟ وما ورثناه وما هو تراثه وهل هو تراث أدبي او هو تراث علمي ؟

وهل له ذلك . كما ورداً للاخرين من العلماء الخالدين المشهورين في القاموس العلمي والمدّون أسماؤهم في المعاجم العلمية .

أمثال : انشتاين ، وأديسن وغيرهم من رجال الفكر وعمالقة المعرفة

وقبل الخوض في هذا الحديث . وقبل الاجابة عن هذا السؤال نقول ماذا استفاد علي (ع) من مدرسة القرآن وماذا تعلم علي من مدرسة الرسالة الاسلامية ؟

وهل كان مثيلاً لـــه في الصحابة ؟ ونقول وبصراحة لم يعرف

(١) ان هذا وغيره نسمعه ويقوله شبابنا . ولو دعا بـــه . واو بدافع شريف للاطلاع والمعرفة وما هو واجبنا اذاً بعد هذه الحركة الجديدة القاسية ؟

المسلمون رجلاً أزهد منه او اعلم منه او اشجع منه وحتى في العصور اللاحقة فهو أعلم المسلمين وغيرهم وحتى رجال المعرفة أمثال أديسن وانشتاين وغيرهم من رجال العلم الذين نبغوا وقدّموا للدنيـــا هذه الخدمات الانسانية الخالدة .

واذا كان علي (ع) نبغ في عصر النبوّة وفي عصر القرآن . وفي عصر الرسالة وفي عصر الصحابة . فكانوا دونه وهو المرجع وبشهادة الجميع

وهنا يسئل علي (ع) وهو الذي يضع النقاط فوق الحروف .

« من علي (ع) قيل له مالك أكثر أصحاب رسول الله (ص) حديثاً ؟ قال : إني كنت اذا سألته أنبأني واذا سكتت ابتداني ! (١)

فهو الذي ولد في أحضان النبوّة انه المولود الجليل . انه الوليد الذي فرح به خاتم الرسل . من هو ؟ بُشر به . ودخل في نفسه من آمال وبدأ ينظر للمستقبل وماذا سيكون عليه هذا المولود العلي ؟ !

انه علي النفس وعلي العزم ! غذاه وأرضعه وفطمه ووسده ذراعه وتعاهده الرسول (ص) .

حتى نما وكبر ـ انه علي (ع) ـ الذي هب ملبياً يوم هتف الرسول (ص) معلناً دعوته فكان السباق للاسلام ـ وكان الجندي وكان الفتى . وكان الأخ وكان وكان !

وهو الذي دربه تدريباً عضلياً جسدياً وتسلح وحمل السلاح ونازل الأبطال ورجع فاتحاً .

وهو الذي دربه تدريباً نفسياً فكبر ونما وأصبح ذو النفس المطمئنة الثابتة .

فهو ربيب مدرسة الرسالة انه علي الامام (ع) . انه علي بطل

(١) عن كتاب تاريخ الخلفاء للسيوطي ج١ ص٦٦

الاسلام انه علي سيد العرب ! !

ويحق لنا التساؤل . ان علياً وصل الى ما وصل اليه . هل كان ذلك موهبة وعطاء ربانياً . الله خلق عالماً شجاعاً ذا استعداد نفسي الله خلقه اماماً وأوحى له كما اوحى الى غيره . الله خلقه علياً كما خلق غيره من قبل .

فقد روي لنا القرآن . ان عيسى المسيح خلقه الله متكلماً . ونطق وهو في المهد !

وخلق محمداً بليغاً أفصح قومه وأقواهم قدرة على صياغة البيان هل ولد علي كذلك ؟ ! كما ولد محمد من قبل ؟ أم كان تدرّب وتدرج واكتسب وأخذ وتأثر . بالمحيط الذي ولد فيه والبيئة والعوامل التي أثرت فيه . لأنه ولد في ظلال القرآن ورعاية النبوّة .

ماذا نقول أهو علي (ع) ولد كذلك أم ولد ونشأ وتدرب ووصل الى مستواه ؟ نحن أمام فكرتين !

أما القول بأن علياً (ع) ولد جامعاً لكل فضيلة متكاملاً ولد عالماً ألهم إلهاماً . والله يلهم عباده إلهاماً . فكذلك علي ألهم المعرفة إلهاماً فكان علي في نفس عارفة . وكان علي ذاتاً طاهرة وهو ارفع مستوى من الآخرين بشهادة قومه . انه قول معروف ثم خضع لمدرسة القرآن . عرفه ووعاه أكثر من الآخرين .

وكان يرعاه الرسول باخلاص وعطف . وهو الذي رباه وأشرف على تغذيته وصياغته فابعده عن المحيط الجاهلي(١) .

وعرف فيه الاستعداد لحمل المسؤولية والنهوض بأعباء الأمامة . فرباه

(١) كما صرح عن ذلك الاستاذ الحكيم محمد تقي استاذ التاريخ الاسلامي كلية الفقه في محاضرته عن الحق الآلهي .

تربية وصل فيها علي الى درجة الامامة فعلي من محمد (ص) (١) وعنه أخذ ومنه أرتوى وروى .

عزيزي القارىء : دع حديث الامامة . فعلي أمام . وامامته . أمر لا ريب فيه .

ولكن نحاول دراسة هذا الانسان ونفسية هذا الانسان وأفكار هذا الانسان وأسباب تفوقه على الآخرين من أبناء عصره .

ونحاول دراسة آثار علي (ع) ، وذاته . وما له من مواهب أخرى . فأن علياً . فرد ولد ونشأ . ونما وتفوق فكان أفضل الآخرين . ولذلك مدحه الرسول (ص) وأثنى عليه اكثر من غيره وفضّله على الآخرين من صحابته . وهو فتى (٢) :

ونحاول دراسة ذات علي (ع) وأفكاره فأن علياً ذات وأفكار . وسع زمانه وأبناء عصره وحتى العصور اللاحقة . التي ازدهرت بالعلم والعطاء الفكري الخصب . ثم دراسة ذلك التفاعل الفكري وحتى الاجتماعي . ونوعية ذلك التفاعل وآثاره .

ونتائج هذا التفاعل . الذي خضع له علي (ع) . ولم يخضع

(١) وقد صرح الرسول (ص) في ذلك قائلاً : إن علياً مني وأنا منه . عن البداية والنهاية لابن كثير ج٧ ص٣٤٤ وعن مسند أحمد بن حنبل إن النبي (ص) قال لبريدة «لا تقع في علي فانه مني وأنا منه ».

(٢) وعلي (ع) هو الفتى العربي . نسباً ومولداً ونشأة . فهو العربي في لغته وأفكاره . وستبقى الأمة العربية تفخر به . لأنه الفرد العالم . والانسان العربي . وهو الذي صان اللغة وحفظها من الدخالة واليه ينسب ـ النحو العربي ـ وعلي ـ هو العربي بأفكاره وتراثه . وهو العربي ـ حقاً !

له غيره . وكيف وصل علي لذلك ولم يصل غيره اليه رغم وحدة المدرسة . ورغم الاتحاد الفكري .

فقد نشأ علي (ع) ونشأ غيره في المحيط نفسه . وتأثر علي بالتيار الاسلامي وغيره من الصحابة كذلك .

ولكن علياً (ع) كان يختلف عن غيره من الصحابـــة بشهادة شيوخ الصحابة (١)

اذاً ما هو الجواب عن ذلك كيف اختلف علي (ع) عن غيره وبماذا يختلف عن غيره ؟ فقد اختلف عن غيره . ببيانه ولسانه(٢)

---

(١) اخرج ابن سعد في الطبقات قال أبو هريرة قال عمر بن الخطاب علي أقضانا . وأخرج الحاكم عن ابن مسعود قال كنا نتحدث ان أقضى أهل المدينة علي (ع) .

(٢) وما قرأنا نتاجاً بليغاً كما قرأنا لعلي وما عثرنا على صياغة بهذه القوة والمهارة والاحتواء كما جاء عن علي (ع) . « ويكاد يجمع مؤرخو آداب اللغة في هذا العصر على أن عبد الحميد بن يحيى الكاتب أمام صناعة الانشاء في عصر صدر الاسلام ودولة بني أمية وعلى انه خرج بهذه الصناعة من سذاجة البداوة الى تفنن الحضارة » عصر القرآن مهدي البصير ص٤٢ « وقـــد سئل عما مكنه من البلاغة فأجاب : « حفظ كلام الأصلع » مهدي البصير عصر القرآن نقلاً عن رسائل البلغاء ص١٦ . يقول الاستاذ مهدي البصير ومعنى هذا ان امامة الانشاء في صدر الاسلام ودولة بني أمية ليست لعبد الحميد كما فطن معظم المؤرخين والنقاد وانما هي للاصلع كما يقول عبد الحميد نفسه أي لعلي بن أبي طالب(ع) وان =

فاذا قلنا ان بيان علي هو وليد البيان القرآني . وبلاغته امتداد لبلاغة القرآن . ونتيجة حتمية لاقترابه للقرآن فقد كان غيره من الصحابة حافظاً قارئاً مرتلاً للقرآن فلماذا صار علي كذلك ؟

قبل الجواب عن ذلك نقول : فاننا لو قمنا بالتجربة التربوية الآتية ! وأخذنا فرداً ذكياً ذا إستعداد ذهني ووعي . اخذنا منذ صباه وأدخلناه المدرسة الدينية . وجعلناه في بيئة دينية وسقيناه وتعاهدناه وحفظناه القرآن آية آية حتى تلقى القرآن وجعلنا بينه وبين القرآن رابطـــة وعلاقة نفسيه ونما عنده الذوق وتذوق طعم هذه السور والآيات وشددنا بينه وبين القرآن شداً قوياً وأصبح لا يفارق القرآن في شواهده وأدلته . وأخذ القرآن عن وعي وعن معرفة وبيان . وبعد ذلك كله فهل يحول هذا الفرد الى رجل قرآن وينطق بما يقارب القرآن من حيث الصياغة وحسن العبارة ؟ وهل ينطق بالكلمات المشابهة للكلمة القرآنية من حيث الرنة والقوة ؟ .

إن هذه التجربة لا تحقق غرضاً واعتقد انها تجربة فاشلة لا تؤدي الى ثمرة إيجابية .

= عبد الحميد من تلاميذه لا أكثر ولا أقل على اني أؤكد ان هذا التلميذ له يحسن تقليد استاذه في كثير من الأحيان مهدي البصير عصر القرآن ص٤٣ على أن عبد الحميد لم يبتكر تصدير الكلام بالتحميدات المطولة او المختصرة وانما اقتبسه من خطب علي المثبتة في الجزأ الثاني من العقد الفريد فضلاً عما هو موجود منها في نهج البلاغة وفي غيره تكفي لاثبات هذه الحقيقة الواضحة « مهدي البصير عصر القرآن ص٤٣ .

فقد وجدنا الكثير من علماء القرآن والحفاظ والمختصون بتفسيره فلم يستطيعوا القول كقول علي (ع) وبيانه وأدبه وبليغ كلامه . رغم مستواهم العلمي .

وهل وجد من يماثل علياً (ع) ومن هو ذلك العالم الذي درس القرآن وارتقى فكرياً وقال قولاً كما كان عليه علي ؟

أما علي (ع) فهو النموذج القرآني وهو الفرد وسيبقى فرداً في دنيا القرآن انه الانسان المتكامل . وهذا القاموس العلمي وهذا معجم العلماء فهل وجدنا نموذجاً كعلي في آفاقه الفكرية ؟ وهو الذي تحدث فيها وعنها قبل غيره انه علي (ع) ! فهو بحق ـ الفرد المسلم ـ الواعي بالرسالة وهو الفرد الذي لم يلد الدهر ثانياً له .

انه علي (ع) ولد في حجر الرسول (ص) وأخذ عن الرسالة معارفه ولذلك اختلف عن الصحابة .

وأسباب ذلك الاختلاف واضحة ولا تخفى على من عرف ولادة علي ونشأته .

فهو الذي أحاط بأسرار الرسول (ص) وخفيت عن غيره .

وهو الذي فهم الآيات القرآنية أكثر من غيره وتفلسف مع الكلمات والحروف القرآنية أكثر من غيره .

وكلامه دليل على ذلك . وهـــل تكلم أحد من الصحابة الذين عرفوا بالقراءة الجيدة(١) او عرفوا بالحافظة وسرعة الفهم وعرف بالصوت

(١) ولكن علياً عرف بالاستشهاد الكثير بالقرآن وعلى البديهة . وكان يجيب وجوابه هو القرآن وكان يستنبط الاحكام الشرعية من القرآن وكان القرآن طوع لسانه يذكره من غير تروي . فهو مع القرآن في أدلته . وأفكاره وحتى وعايته . وعما يذكر =

او عرف بكثرة الرواية عن الرسول (ص) .

أين ذلك الصحابي الذي وصل الى ما وصل اليه علي (ع) في البيان وحسن العبارة وصياغة الجملة . والفكرة المشتقة من مصدرها وهو القرآن . وعلي (ع) عرف بذلك فقد عرف بالوضح والاستعمال والفكرة . كلها ذات اشتقاق قرآني وكلها مأخوذة من ينبوعها الخارجي المتدفق وهو كتاب الله . وعلي (ع) عن ذلك روى وتحدث . وقال وخطب واذا قلت علي (ع) أعاد للمسلمين عصر نزول القرآن وتلى عليهم القرآن من جديد من حيث الفكرة والدلالة والقصد والموضوع والمسائل القرآنية كلها جاءت على لسان علي (ع) . يوم خطب للاخرين وحقاً العصر الذي عاشه علي (ع) . هو عصر البيان العربي . وعصر الازدهار الاسلامي ويوم خطب علي . فليس هو الخطيب وحده في

– ان احد الخوارج كان يصلي خلفه فالتفت لعلي قائلاً : ولئن اشركت ليحبطن عملك . فسمعه الامام (ع) فأجابه وهو في الصلاة : « اصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك السفهاء » . ولما فرغ من صلاته لم يعقب على جرأة الخارجي وكان بوسعه أن ينالـه بسوء . وهو المتجرأ على الامام . ولكن عليا أبى الا أن يزداد تعاليا وتساعاً مع أعدائه .

ولو وقفنا عند كلام علي (ع) . كلمة كلمة او فقرة فقرة . او جملة جملة . لرأينا المعاني عند علي أكثر من الكلمات . ولرأينا المعاني والصور والمشاهد والشواهد كلها قرآنية . وهذا من أبرز معالم مدرسة علي (ع) وتأثره بالقرآن . فكلام علي فيه سمة قرآنية قالباً وشكلاً ومضموناً وهـــذا من أبرز الطوابع التي طبع بها كلام علي (ع) .

البلاد الاسلامية الواسعة الارجاء . ففي كل عاصمة إسلامية خطباء ولكن كلام علي (ع) فيه عمق وتجد فيه ما لم تجده في خطب الآخرين ولم يقلد غيره ولم يأخذ من غيره ممن عاصروه كما أخذ غيره منه وحاولوا الاقتباس منه والاستشهاد بقوله كما وجدنا ذلك في كلام البلغاء أخذوا من أبي الحسين (ع) .

(وأما الفصحاء فمعلوم ان جميع من ينسب الى الفصاحة من بعده يملأون أوعية أذهانهم من الفاظه ويضمنونها كلامهم وخطبهم فيكون فيها بمنزلة درر العقود (١))

ووجدنا غيره قد سئل فتوقف عن الاجابة وحار في الجواب أما علي (ع) فكم من سؤال مختلف . في الفقه والرياضيات وأحوال الأمم قدم اليه وقد حار غيره وارتبح عليه ولكنه أجاب على البديهة وكم سائل وقف لعلي (ع) أمام الصفوف أو هو في أثناء الخطبة وكم من سائل كان له أكثر من غرض . سأل علياً ولكن علياً كان سريع الاجابة لم يتأخر عن الجواب واذا أجاب فكان جوابه هو الحقيقة وكان الجواب بأيجاز واداء وفاءاً للغرض وتحقيقاً للغرض .

وكان علي (ع) بطلاً من أبطال المعرفة في الأجابة وسرعة الجواب ويصبح السائل بين يديه متواضعاً ويرجع وهو معترف بفضل هذا العالم البحر انه علي (ع) في علمه انه مدرسة في المعرفة والتوجيه اسمع ما يقول لأحد السائلين :

« جاء في بحر المعارف ص١٣٨ قال سأل سائل علياً فقال سل متفقهاً لا متعنداً (٢) »

(١) بحر المعارف ص١٥٨ .

(٢) راجع بحر المعارف وغيره تجد نماذجاً من الاسئلة العلمية

ان علياً مدرسة قائمة . ان علياً خالد . انه علي (فهل كان غيره كذلك ؟

ومن هو ذلك الذى ارتقى ووصل الى ما وصل اليه أبو الحسن (ع) ؟ ومن هو الانسان الذي بلغ الى درجة الكمال والتكامل الانساني ؟! ويقول صاحب بحر المعارف تعليقاً على احدى كلماته العلمية !

(وهذا يدل على أنه بلغ في كمال العلم الى أقصى ما تبلغ اليه القوة البشرية (١)) .

ويقول أيضاً صاحب بحر المعارف تعليقاً على آية المباهلة :

(فثبت له جميع ما ثبت لرسول الله صلى الله عليه وآلـــه من الفضائل العلمية والعملية ما خلا النبوة (٢) .

والسبب المباشر في تكوين شخصية هذا البطل هو التربية والمربي والبيئة الطاهرة من الرواسب والمفارقات والنزيهة من الفضلات والملبثة من الفضائل والمكارم : والمربي هو الرسول (ص) ماذا ترى كيف يكون هذا الفرد ؟ ! يقول صاحب بحر المعارف في تربية علي وآثارها (كان رسول الله صلى الله عليه وآله حريصاً على تربيته من أول عمره الى أن أعده لأعلى مراتب الكمالات النفسانية (٣) .

وقد ترجم علي (ع) هذا الدور في احدى خطبه وهو الدور الأول من حياته . وقبل أن يترجمه المؤرخون فصور دور التربية وصلته بالنبوّة وأثر الرسالة في صقل نفسه واخراجه . ويقولها علي وبصراحة ويفخر في خطبة المسماة بالقاصعة .

(١) بحر المعارف ص١٥٠

(٢) نفس المصدر

(٣) بحر المعارف ص١٥٦

(وقد علمتم موضعي من رسول الله ـ صلى الله علية وآله ـ بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة ، وضعني في حجره وأنا وليد يضمني الى صدره ويكتنفني في فراشه ويمسني جسده ويشمني عرفه وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنه وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن ان كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن اخلاق العالم ليله ونهاره ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل اثر امه يرفع لي في كل يوم علماً من أخلاق ويأمرني بالاقتداء به ولقد كان يجاورني في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري ولم يجمع بيت واحد في الاسلام غير رسول الله وخديجة وأنا ثالثهما أرى نور الوحي وأشم ريح النبوة ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي فقلت يارسول الله ما هذه الرنة فقال هذا الشيطان قد أيس من عبادته . انك تسمع ما اسمع وترى ما أرى إلا أنك لست بنبي ولكنك وزيري (١)

ومن هذا القول . نصل الى مرحلة وهي أثر النبوة في علي وتكوين شخصيته العلمية وصلة علي بمحيطه الذي نشأ فيه .

فقد نشأ الفتى ـ علي (ع) في ظلال النبوة وفي محيط شاعت فيه آيات القرآن هذا المحيط المقدس . وفي هذا العصر الزاهر والمحيط الذي تجرد عن الرواسب والموروثات القديمة ـ التي كانت ـ وكان يعيشها الفرد العربي ، وتحدرت اليه من العصر الجاهلي .

فقد نشأ علي (ع) نشأة قرآنية . وهو حصيلة المدرسة القرآنية وهو الفرد الذي رباه الرسول (ص) وغذاه من وحيه وفيوضاته وهو

(١) نقل هذه الخطبة ابن أبي الحديد ج٢ ص٨٩ ونقل هذه الخطبة بحر المعارف ص١٠٦ وابن عبده ج٣ ص٣٥٠

نتاج مثالي وفرد مستقيم يمثل الاستقامة في الفرد المسلم . وهو الذي تغذى من فيض الرسالة وغذته المدرسة الاسلامية اكثر من غيره وعاش مواكباً نزول الآيات ومعايشاً للتشريع . وملازماً مجلس النبوة ومقام الرسول (ص) وانطبع في ذهنه من فصول القرآن ولغة القرآن أكثر من غيره وأوسع من غيره .

وهنا يقول القائل إن علياً نتاج مدرسة القرآن . ففيه من الصحابة قد نشأ ونما في نفس هذه المدرسة وقطع أشواطاً طويلة من عمره . ولم يكن بهذا المستوى القرآني ولم يكن بهذه القدرة ولم يملك هذه البلاغة والقوة البيانية . ولم يكن غيره يخطب بهذه اللغة ـ وهم خطباء معروفون ـ .

فقد كان لعلي أخوة ثلاث وتفرعوا من نفس السلالة وتحدروا من نفس الوراثة وعاشوا في هذا المحيط الذي نشأ فيه علي (ع) ولم يكن هؤلاء بالمستوى الذي كان عليه علي (ع) ـ وقطعاً ـ إن هؤلاء تعرضوا للتيار القرآني وللتفاعل الفكري الذي خضع له علي (ع) وعاشوا في ظلال مدرسة الرسالة ردحاً من الزمن ولم يرتق هؤلاء الى المستوى البياني الذي وصل اليه علي (ع) . وقد عاش الجميع نفس العصر وقطع هؤلاء نفس المدة الزمنية وأدركوا العصر الجاهلي ثم الاسلامي (١)

اذاً ما هو ذلك العامل المباشر الذي خلق علياً (ع) بهذه القدرة

(١) فان جعفر بن أبي طالب وأخيه . والعباس بن عبد المطلب . والحمزة وغير هؤلاء من بني هاشم . وحتى الصحابة أمثال سلمان الفارسي وغيره فلم يرتق هؤلاء بلاغياً الى المستوى الأعلى الذي خطب به علي وتكلم به مع الآخرين .

التي فاقت قدرات الآخرين ؟

فنتساءل مع الآخرين هل هو المحيط العربي هو الذي صاغ علياً وخلق شخصيته وخلق فيه ما لم يكن عند الآخرين فهل المحيط هو الذى يخلق الفرد ؟

او هو المحيط الأسلامي والمدرسة الاسلاميه هي التي خلقت علياً(ع) وصاغته (١) ؟

وإن علياً انما هو حصيلة مدرسة النبوّة فقد عاش أيام فتوته وقوة صلاته برعاية الرسول (ص) وهو الذي أدبه فأحسن تأديبه وهو الذي غذاه فأختار له الغذاء الصافي النقي وكان علي حيث الذهن والنفس فكان هذا الفرد بوقاية إسلاميه ورعاية النبوّة فجاء علي نتاج هذة المدرسة . وخلاصة ذلك المحيط النزيـــه . الذي عاشه الرسول (ص) . فقد نشأ فيه هذا الفتى علي فقد تضى علي شطراً من حداثته وشبابه صبياً مخلصاً وفتى مصاحباً والرسول (ص) في دور انعزاله وتجرده وعكوفه في غار حراء يوم كان يقضي أياماً في هذا الغار يكثر من التأمل في المحيط والتفكير في الكون والوجود .

فكان علي مع الرضول يتفاعل معه فكريـاً ويتأثر بـه في تطلعاته نحو الأفضل وهو معه اينما حل . وأرتحل او رقد او كان يتعبد ويفكر بوجوده ووجود الكون .

فهو معه وهو يتابعه . وهو يقتبس منه فتأثر به أكثر من غيره . واذا قلنا ان المحيط هو العامل يخلق مواهب الأفراد .

---

(١) يقول أحد كتاب العصر ـ وهو الاستاذ جرداق : علي جوهرة خلقها الله وصاغها محمد (ص) فهل صاغ علياً وحده ؟ ولماذا لم يصنع غيره ؟ ؟

إذاً فالرسول الذي نشأ في محيط قومه من هو الذي خلقه بهذا المستوى ؟

ومن هو الذي خلق محمداً ؟ بهذا المستوى الفكري والقدرة البلاغية الساحرة ؟

ومن هو الفاعل الخلاق ومن هو الذي ربى محمداً ورفع محمداً اليتيم الى هذا المستوى العلمي الذي فاق المحيط وفاق العصر ـ وحتى العصور اللاحقة ؟ ومحمد (ص) هو الأمي الذي لم يدخل مدرسة او يأخذ عن عالم ومن هو ذلك العالم الذي كان أفضل من محمد (ص) ليأخذ منه محمد هذه القدرة الفكرية ؟

فهل هو محيط قومه . هو الذي كونّه؟ وهل كان محمد (ص) نتيجة حتمية لتطور المحيط الذي نشأ فيه محمد (ص) ؟

فهل كان المحيط العربي ذا قدرة على خلق فرد آخر كمحمد ؟

إذاً من هو الذي ربى محمداً وبلغ الى درجة النبوّة ودرجة التكامل النفسي والفكري . هل هو خلق نفسه بنفسه ؟

او هناك عامل خفي . كان له الأثر في صياغة هذا اليتيم الفقير وأخذ بيده الى درجة عليا فكان أفضل قومه وأكثرهم قدرة ماهو اذاً ؟

فقد يكون الجواب . ان القضية قضية إلهام . خلقه الله كذلك وهو الذي أصطفاه واختاره وكان محمد اختياراً آلهياً .

وتغذية آلهية . ومدرسة سماوية هي التي ربت محمداً وخلقت فيه هذه القدرات وهذه المواهب .

ومحمد هو الذي اختار أخاه وصاحبه الأول وأمينه وهو الذي أمّد علياً (ع) وزوده وتعاهده . ورباه بنفسه وجعل يوحي اليه مـــدة طويلة حتى أوصله الى مستواه هو (ص) .

ونستطيع القول . إن علياً ربيه محيط خاص . وتفاعل معين وهو محيط النبوّة . وتفاعل قرآني . وهذا ما يؤكد عليه أنصار المدرسة القرآنية ، ويضربون مثلاً : أن علياً حصيلة المدرسة القرآنية .

واذا كان الفرد ذو رغبة دافعة وشوق حاد . وإقبال وكان المحيط موافقاً ومتكاملاً كانت النتيجة . الصياغة والتربية والأداء . واذا كان المربي هو محمد (ص) والفتى هو علي (ع) والمحيط هو بيت النبوّة

واذا بعلي هو الخطيب البليغ . واذا بعلي (ع) أرفع مستوى من الآخرين بمعرفة القرآن . واذا بعلي يرتقي لدرجة محمد (ص) في البلاغة والقدرة البيانية والاحاطة الواسعة .

واذا بعلي فوق مستوى أبناء عصره الذين عاشوا ذلك المحيط وأدركوا عصر النبوّة وهم أكبر سناً منه وأكثر اندماجاً وتجوالاً ومعاشرة للافراد من أبناء المحيط . ولكن علياً بعيداً عن ذلك ولد ولازم ركب النبوّة وقافلة القرآن وموكب الرسالة الاسلامية .

ولد في محيط إسلامي . وعاش فيه من أول يوم من ولادته . هو محيط القرآن وفي كل يوم آية تنزل ويتلوها محمد (ص) وهو المحيط الذي لم يوفق غيره ان يعيش فيه انه المحيط الذي خلق محمداً (ص) نبياً يستمد فيضه ومعرفته منه انه محيط القرآن فان محمداً وعلياً حصيلة ذلك المحيط فان مدرسة القرآن هي التي غذت علياً (ع) حتى نما وأشادت منه فتى بطلاً . وشخصية مؤمنة . فعلي (ع) نموذج وحصيلة فكري وتفاعل معين . . هي المدرسة القرآنية ـ حقاً ذلك !

ولذلك رأينا في نتاجه ما لم يطبع به نتاج غيره .

ولذلك كان كلام علي (ع) . قابل لكل عصر وزمان ويتلائم مع أذواق الآخرين وان اختلفت أهواءهم ومذاهبهم . واو قدمنا خطبة

من خطبه الى العالم والأديب ورجل التربية والرجل السياسي . ورجل الادارة والعسكري لوجد هؤلاء النصيب في هذه القطعة .

ولأدرك كل واحد من هؤلاء المعنى المقصود له وما أدركه هذا يختلف عما أدركه الآخر . هذا هو كلام علي (ع) ـ خريج مدرسة القرآن (١) ـ . وخريج المدرسة الاسلامية .

وهذا يدل على نجاح هذه المدرسة ويدل على أن التربية الاسلامية فيها طاقات وفيها قوى تستطيع ان تخلق الفرد المسلم . كما قد برهنت على ذلك من قبل .

فعلي (ع) استقى ثقافته عن الرسول وعن الرسالة وعن المدرسة الاسلامية ولم يثقف عند غير الرسول(ص) قطعاً(٢) فهو من الرسول .

(١) وفعلاً تحقق ذلك فقد قطع كلام علي (ع) المراحل الزمنية وكان قاموساً وكان شاهداً وكان مرجعاً للادباء والعلماء والساسة فقد قرأه القطب الراوندي وابن ميثم وقد أختلفا في التفسير والمعاني ولا يزال كلام علي هو هو . وعشق علماء البلاغة ـ ومؤرخو الادب والمعنيون بالفنون الكلامية وصياغة القول ـ كلام علي . وعرفوه وميزوا بينه وبين كلام غيره . وحكموا عليه بأحكام واعتبروه النهاية في الايجاز ومعجزة القول والعظمة في الاستعارة والقوة في الاداء فقد اختار الجاحظ ماته كلمة ودونها واختارها اعجاباً منه في هذه الدرر اللماعة الساحرة ـ وهذه المائة كلمة جمعها ابن ميثم البحراني وغيره وغيره . رما عثرنا شبيهاً لها حتى اليوم . وقد طبعت عدة مرات وترجمت وحققها الكثير من الكتاب وذوي الأدب .

(٢) والرسول دعا للعلم وعلم أتباعه بنفسه وهو أول من وضع —

وهو الأمين بعده والمرجع . وثقافة علي . ليس كالآخرين .

فهو الانسان الموهوب . ولازم مدرسة النبي أكثر من غيره . وقد شهد النبي له بالفضل والذكاء . وصرح النبي قائلاً فيه (١) منذ صباه

= أسس المدرسه الاسلامية النظامية واتخذ حلقة علمية دراسية في المسجد . وبين أن المسجد دار عبادة وندوة عامة . ومعهد علمي . وبدأ يثقف المؤمنين بالثقافـــة القرآنية . ودعا الى دراسة القرآن . وفي القرآن كفاية .

(١) إن عليا في أفكاره وفلسفته ولغته . إنما يحكي أهداف المدرسة التي صاغت شخصيته والمربي الذي رباه وغذاه فهو منه وعنه : وقد جاء في كتاب بحر المعارف ص٣٩٢ قال أمير المؤمنين لرسول الله « ما لنا من خير فمنك يارسول الله » وهذا جواب منه عليه السلام لما مدحه الرسول « يا علي انك تسمع ما أسمع وترى ما أرى الا أنك لست بنبي فأجابة علي قائلاً ذلك . وهذا اعتراف من علي . بأثر هذه المدرسة . التي نمت هذه الذات وقربته الى القرآن وأصبح هو رجل القرآن والعارف به وهو الذي جرى على لسانه وظهر في كلامه ونطق به وأي آية لم ينطق بها علي (ع) فنجد القرآن في سلوك علي وفي شواهده وحركاته الاصلاحية . لانه عرفه وانطبع في قلبه المسلم حقاً . وحاول ان يطبق القرآن أيام ـ دولة القرآن ـ وأيام خلافة الحق . أقرأ كلام علي تجد القرآن أمراً ونهياً وخلقاً وأدباً وسياسة كلها تحدث عنهـــا ودعا اليها . ثم حاول ان تدرس سيرة علي (ع) سوف تجد بين علي والقرآن قرابة واقتراب حتى كان يأمر أولاده وأهله ومواليه وأتباعه بالرجوع اليه . والسير على منهاجه .

فقربه اليه لا لأنـه ابن عمـه او صهره . وانما كان ذلك من قبل الدعوة والاعلان بها وتم ذلك له من قبل المصاهرة . فكان علي (ع) الملازم . وكان المحامي والمدافع والمهاجر . وكان يكلفه النبي بالامور الشاقة . والمهام من الامور فلا يسأم علي ولا يتراجع .

فكان إنساناً صبوراً يحمل ، نفساً لا كالنفوس أنه رجل صبر ، ورجل أمانة وقـــد أدرك النبي فيه ذلك فغذاه من فيضه ورباه على الثبات والاخلاص واذا به رجل الأمة وقائدها ، واذا به يفوق الآخرين بنفسه ومواهبه وما تحمله من أسرار إنه علي (ع) !

وكان الصاحب المخلص . من بين أصحابه البررة . وصحبة علي للرسول (ص) هي التي صقلت عقليته وخلقت فيه مواهبه الجديدة وتجاربه المكتسبة فعرف كيف يكون امام الآخرين ! وكيف يساير خصمه والمتجـــاهر بعدائه وحربه فازدادت تجاربه فوق مواهبـــه ومدركاته فوق إدراكه . وأصبح ذلك الفتى حاكماً وخليفة ووارثاً وماذا ورث علي (ع) عن الرسول ؟ ورث كل شيء . وكل الامور ـ المادية والمعنوية ـ وهو الذي قال . « أنا وارث رسول الله » .

(وتمرس الامام علي (ع) وهو يعايش النبي في ظل الاسلام تجربة أخرى في الحياة هي تجربة الحرمان والصمود أمام الاعداء المتكاتفين المتفقين على إطفاء نور الله فقد اجتمع كفار قريش على قتل الرسول (ص) وقالوا: قد أفسد علينا أبناءنا ونساءنا (١)).

فازداد علي (ع) تلك التجارب وتلك الخبرات من مدرسة النبوّة وكان يتابع الرسول (ص) قدماً قدماً ، وخطوة بعدهـــا خطوات

(١) رسائل الامام علي للاستاذ البصير ص٤٧ مخطوط وهو رسالة ماجستير مقدم لجامعة بغداد .

ليأخذ من سيرة الرسول العبرة . وله به أسوة حسنة فأخذ منه أكثر من تجربة جديدة وأزداد حنكة .

فعرف كيف يدعو . وكيف يقود الجيوش فيما بعد (١) . وكيف يثبت مقابل الخصوم . وكيف يساير حشود النفاق وكلها أخذها . من أيام الدعوة .

فكان علي (ع) متابعاً للرسول (ص) وآخذاً نهجه في الحياة ويسير بسيرته فاذا تحشدت جيوش الكفر والشرك مقابل الداعي . الذي لم يجد له ناصراً إلا الله . فقد احتشدت جيوش من الضلال .

(١) وعرف بتجاربه العسكريـــه وهندسة الحروب . والتخطيط للقتال . وفرق بين القتال والعلم بالحرب ـ فماذا يقال في رجل مارس الحروب نصف قرن ؟ وأفنى عمره في سوح القتال وهو الذي قـــال ضربت الناس على الاسلام بسيفي وأنا ابن ست سنين حتى أشرفت على الستين ـ الجزائري ـ زهر الربيع ص٨١ ومن بطولته في سوح المعارك ومن معرفته في الفنون العسكرية « برز رجل من الكفار لعلي فقال (ع) بشرط أن لا يعينك أحد من أصحابك فقال الكافر نعم فبرز اليه علي ثم قال (ع) له أليس وقع الشرط أن لا يعينك أحد من أصحابك فالتفت الكافر ليردهم فضربه علي (ع) فقتله . ـ نزهة المجالس ج١ ص١١٥ ـ ويظهر من ذلك إن علياً (ع) صنع هذه الحيلة الحربية أكثر من مرة وهو الذي قال له الرسول (ص) . لما قتل عمرو بن ود ياعلي خدعته فقال (ع) الحرب خدعة . وتحول هـذا الجندي الى قائد جيش إسلامي وتحول هذا القائد الى امام أمة بعد نبيها .

ومن الناكثين والقاسطين والمارقين والجمعين وأصحاب المطامع وابناء الذوات ورفعوا رؤوسهم وفتحوا أفواههم حرباً لعلي ولكن عليـــاً ـ الصابر ـ عاش وتحمل وأدى رسالته ولرتحل الى ربه راضياً مرضيا وهو العامل بكتاب الله متبعاً سنن النبيين وآخذاً بسيرة خاتم المرسلين لانه وصيه .

(وتقرر كتب التاريخ ان النبي كان يصطحب علياً في تبتله بحراء طوال شهر رمضان وليس هذا ببعيد اذ لايجوز له ان يشركه شهراً وهو الذي أخذ على نفسه أن يكون مسؤولاً عنه(١)) .

ولسنا ندري الى أي مدى كان يلاحظ النبي ما كان عليه ابن عمه . وكيف كان يحس بما يراه عليه .

وروى عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال : كان علي مع رسول الله (ص) قبل الرسالة يرى الضوء ويسمع الصوت وقال له صلى الله عليه وآله لولا اني خاتم الانبياء لكنت شريكاً في النبوة (٢)

« وهذه الرواية قد تكون موضوعة على لسان الامام جعفر الصادق(ع) الا أنها ولا ريب تؤكد حقيقة لامراء فيها وهي أن نفسيه النبي قد تأثرت تأثراً جذرياً باتجاه ابن عمه هذا الذي ظهر ليشق للمجتمع الانساني طريقاً جديداً في الحياة وليبشر لهم مبادىء ومثلاً عليا وان شعوره قد أرهف وخياله قد اوقظ فقام يحاول أن يدرك بشعوره ذاك وخياله هذا ما كان يسمعه من كلمات جديدة عليه،روح القدس الملائكة . الجنة الميعاد . النشور فانبعثت فيه ملكة خيال خلق لايشبه

(١) رسائل الامام علي للاستاذ البصير ص٤٠

(٢) نهج البلاغة ج١٣ ص٢١٠

خيال أبناء مكة الماديين المنكبين على وجوههم عابدين الاوثان(١) .

وأدى ذلك الى نتائج كثيرة فقد أدرك هذا الصبي . الفتى . ان ابن عمه على حق فيما يدعو اليه . وان الله هو الخالق وهو الذي اختار محمداً رسولاً عرف ذلك بذكائه وفطنته .

« ولكي نترجم ذلك التأثر ندون هنا ما اتفق عليه المؤرخون من أن علياً أسلم يوم الثلاثاء أي بعد يوم واحد فقط من نزول الوحي على محمد (ص) فقد روي عنه أنه قال ـ بعث رسول الله (ص) يوم الاثنين وأسلمت يوم الثلاثاء (٢) .

فكان الفتى السباق . وكان الفتى المؤمن وهو الفتى الذي شب ونما ونشأ في ظل الرسالة وبين صفحات القرآن . وتحت رعاية الرسول (ص) الرؤوف العطوف .

« وقد أولى الرسول هذا المولود الصغير علياً عنايته والمؤرخون يكثرون في الوان هذه العناية والرعاية فيقولون : كان يوجره اللبن عند شربه ويصب عليه الماء وقت غسله ويحرك مهده عند نومه ويناغيه في يقظته ويحمله على صدره (٣) .

ومن هذا يصح لنا القول أن علياً هو المولود في حجر الاسلام وهو الذي رباه دون غيره خاتم الانبياء . فكيف يكون بعد ذلك .

فلا عجب اذا كان أول السابقين للدعوة . وأول المستجيبين لنداء الرسول (ص) ليكون خليله وأمينه وحافظ سره ومبلغ رسالاته وكاتب رسائله وغير ذلك من الاعمال التي أوكلها اليه الرسول (ص)

(١) رسائل الامام علي للاستاذ البصير ص٤٠
(٢) رسائل الامام علي للاستاذ البصير ص٤٠
(٣) راجع علي والقرآن ص٩٣ .

أيام الشدة .

فكان الامين على الامانات وهو الحامل لكلمات الرسول (ص) وعارفاً خططه الناجحة لنشر دعوته . انه علي ا وأختاره الرسول لكتابة الوحي .

وهذه منزلة لا تعطى لكل أحد واذا كان علي (ع) أول السابقين الى الدعوة الاسلامية وصار علي (ع) الانسان ـ المؤمن المسلم بالدعوة والنبوة فهو يختلف عن غيره من المسلمين لانه صار مسلماً يقوم بوظيفتيه . متحملاً إعباء الدعوة مشاركاً ابن عمه آلامه وعناءه . ويدعو الآخرين كما يدعو له ابن عمه ويتحمله ما يتحمل ابن عمه من قومه وقد صرح الرسول (ص) بذلك . جاء في بحر المعارف ص٣٩٤ قال رسول الله (ص) فيه لو لا أني خاتم الانبياء لكنت شريكاً في النبوة » وأناط الرسول كثيراً من الاعمال لهذا الفتى الجديد (١) . الذي أمن بدعوته عن معرفة وعن وعي . ونفس مطمئنة به .

« ولو حاولنا أن نضع يدنا على الاعمال التي أناطها به النبي في هذه الفترة لتمكنا أن نقول ـ استنتاجاً ـ ان أول عمل كان يقوم به هو كتابة الوحي له فالمعروف من حال النبي انه كان أمياً لا يحسن أن يقرأ . قال الله تعالى : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذاً لارتاب المبطلون (٢) » ولسنا ندري على وجه الدقة من تعلم الكتابة ولو أخذنا عبارة البلاذرى السابقة بنظر الاعتبار لتمكنا

(١) ولعل حديث الدار يدل دلالة على أن الرسول لم يجد أحداً في أقاربه من يقوم معه بأعباء الدعوة غير هذا الفتى . المقدام الصبور العارف . وهو علي .
(٢) سورة العنكبوت

أن نقول انـــه تعلم قبل ظهور الاسلام أو تعلمها حين كان في بيت أبيه أم بعد أن انتقل الى بيت النبي فهذا ما لا يمكن الجزم فيه وان كان الارجح عندنا ان بيت النبي أكثر ملائمة لتعليمه ليسره وتفرغه فيه لشؤونه (١) »

ان كتابته المبكرة للوحي ولا ريب قد وجهته وجهة اسلوبية وثقافته وخلقية خاصة : أما الوجهة الاسلوبية فهي تأثره بأسلوب السور المكية الشعري الفصيح الجزل القوي .

أما الوجهة الثقافية فتظهر فيما جاء في السور المكية من جملـــة ما وقع وحدث من عظيمات الامور ومهمات السير من حين خلق آدم عليه السلام الى حين مبعثه (٢) .

وشبّ علي وفتح عينه على الدعوة والرسول يقف موقفاً بعد آخر ليحاول ويبرهن وهو يصحبه في مواقفه .

وبدأ التفاعل الثقافي والجدلي بين العرب وبين الرسول (ص) . وتشتد المعركة في الدعوة الى الله وعلي (ع) يواكب هذه الحركة الفكرية ويعايش هذه الاحداث المتتالية أيام حداثته . ويأخذ ويتأثر ويستمع وينطبع في ذهنه . ويرى الغالب والمغلوب .

« ان معايشة علي (ع) لهذه الالوان من الثقافة وممارسته لطابعها ذاك او معايشته قد خلقت في نفسه ـ ولا ريب ـ نزعة أدبية مبكرة ذلك لان الاديب ما هو إلا ثقافة وانفعال (٣) »

ونمت روح علي مـــع الاحداث ومع نزول الآيات والتهم ذلك

(١) رسائل الامام علي الاستاذ البصير ص٤٤ .
(٢) رسائل الامام علي الاستاذ البصير ص٤٥
(٣) رسائل الامام علي للاستاذ البصير ص٤٧

منذ حداثته . وبدأت عنده النزعة القرآنية (١) منذ صباه وبدأ يقول نثراً منسقاً وجمالاً في المفردات .

وبدأت عنده في أيامه الأولى النزعة النثرية والاستشهاد بالكلمات القرآنية منذ أيام حداثته وأستمر على ذلك في حياتـــه فكان يقول ويضع الآية شاهداً لقوله ودليلاً لدعواه (٢) .

« إذن فان ميل علي (ع) عندنا كان ميلاً نثريا وظل هذا الميل حتى استوى قابلية انفجرت آياته نثرية خوالد كما سنرى في الفصول القادمة (٣) » .

وبدأت هذه المرحلة . وبدأ هذا الفن يتطور وينمو فيصبح علي (ع) مدرسة وتبدأ حركة الاستشهاد بالآيات القرآنية . لان القرآن جمال وبيان واعجاز وهذا اللون من النثر القرآني بدأ مبكراً في كلام علي ايام النبوة والرسول سمع ذلك فأقره وأعجبه قول علي (ع) وسدده في خطواته وظهرت شخصيته وناقت أقرانه . وسجد له الآخرون بالفضل واعترفوا له بالأمانة في نقل الحديث وأنه رجل الحق والصدق .

(١) وغرست فيه الافكار القرآنية كما وجدناها في خطبه ـ القرآن ـ وهي هو ـ لو لا أن ذلك إعجاز سماوي . ا وخطب علي (ع) بلاغة وأفكار .
(٢) في تاريخ ابن الاثير ان فلاناً لقي علياً فقال يا أبا الحسن ان الحق أرادك ولكن قومك أبوا ذلك فقال علي (ع) يافلان « إن يوم الفصل كان ميقاتاً » والاستشهاد والشاهد في مدرسة علي (ع) . القرآن . وهو الغالب وقد يتخذ له شاهداً آخر
(٣) رسائل الامام علي (ع) للاستاذ البصير ص٤٧

وعرفه الصحابة كلهم . والصحابة أعرف الناس بعلي وقد شهد الجميع بفضل علي (ع) لانهم عايشوه فرأوه رجل فضل ورجل إيمان وهو مع الحق وقد شهد هؤلاء الشيوخ بفضل الفتى المقدام (١) وتفوقه عليهم بكثير من المواقف وحسده فريق آخر لنجاحه بهذه المواقف وأقروا له بالعظمة والقدرة فكان إماماً وسيداً أيام النبوّة .

ونحن بدراستنا لعلي (ع) لا نحاول أن نفتح باباً للجدل . في امامة علي وخلافته . وانه امام . وهي مسألة مفروغ عنها وقد أشبع علماء الامامية البحث عنها وقدموا الأدلة المنطقية أمام الأجيال (٢)

ولكن نحاول دراسة ـ مدرسة علي ـ وصلتها بالمدرسة القرآنية . وان علياً قدم للانسانية الخدمات الخالدة . وان علياً رجل تربيـــة إسلامية . ورجل علم . وانه كان أعلم الصحابة قطعاً . بشهادة شيوخ الصحابة .

وقد نتساءل من هو أعلم المسلمين بعد محمد ؟ او من هو الاعلم في الامة الاسلامية ؟ ومن هو الرجل العالم الحاوي الجامع والعالم الكامل ؟ ومن هو الانسان الذي ضرب المثل الكامل في القدرة العلمية ؟ وهل نستطيع أن نضع نموذجاً في ذلك ليكن الاعلم في المجموعة الانسانية ؟

(١) لا حاجة لسرد الاحاديث والكلمات والاقوال الناطقة بفضل علي الفتى . أيام النبوّة . فأبو بكر وعمر وأبو هريرة وأبو سعيد وأبو الدرداء وسلمـــان وكل الصحابة . الشيوخ عرفوا علياً ورأوا مواقفه وما قاله الرسول بحقه .

(٢) فقد قدم الامام المفيد كتابه الافصاح والامام العلامة الحلي . الالفين . والامام المظفر دلائل الصدق . والامام شرف الدين المراجعات وغيرهم من الباحثين في الامامة ورجالها في الاسلام

من هو ذلك الانسان الذي علم بكل شيء وأحاط بكل الامور علماً ومعرفة وأخذ من الاوائل وفاق المتأخرين ؟

مسألة ، قد تكون دعوى . لو نقول : الانبياء هم أفضل المجموعة البشرية لانهم دعاة للعلم يوم كان الجهل يسود العالم . وكان الرسول (صلى الله عليه وآله) خاتم هؤلاء . والرسول وارث هؤلاء فقد يكون هذا الحديث . فرضية ـ او يكون ضرب من الخيال فكيف نستطيع إثبات ذلك لنصل الى نتيجة أن علياً وارث محمد (ص) أو نقول استفاد من محمد علمه ومعارفه . ولا نستطيع إقناع الآخرين إلا بشرط وهو أن يكون القارىء انساناً موضوعياً . ويكون الباحث رجلاً حيادياً متجرداً من التعصب . فقد نستطيع الوصول الى نقطة أعلمية علي (ع) دون غيره وانه أكثرهم علماً ودراية بأسرار القرآن . ولذلك عرف بقدرته . وعرف بالقول الفصل . والمنطق الصواب . فكان يقول ويرتجل القول من غير تكلف واعداد وكانت الالفاظ حاضرة عنده يختار الأفضل وينطق بالمفرد الذي يحمل المعاني الواسعة واذا نطق فكلامه فيه حلاوة وفيه الجمال . وهذه رواية وحديث من أحاديثه نضعه بين عينيك . « وقف أمير المؤمنين على قوم قد أصيبوا بموت رجل منهم فقال لهم أن تجزعوا فحق الرحم بلغتم وحق الله ضيعتم وان تصبروا فحق الله أديتم وحق الرحم بلغتم (١) ».

وهذا الشاهد الذي قرأنا له عليه السلام . تظهر قدرتـــه على الصياغة وعلى التقديم والتأخير وعلى التكرار وهو بذلك يقدم ويؤخر بلا تكلف قـــد تجددت المعاني للسامع . وفي ذلك الجمال والفن البلاغي الساحر .

(١) مجموعة الشيخ ورام ج٢ ص٢٥٣

ويظهر من ذلك ان في كلام علي (ع) خصائص قد لاتوجد في كلام الاخرين فيه الفكرة القرآنية . وهي الصبر . وهذا ما جاء به القرآن في اكثر من آية . ونجد في فقراته مسحة قرآنية . ونجد طابعاً ثالثاً ارضاؤه المستمع . مهما كان نوعه ومستواه الثقافي وكيف ما كان من الخاصة او من العوام .

ونجد طابعاً رابعاً أرضاء العقل والعاطفة ونجد غير ذلك السبك والصياغة المتكاملة والمسافات المحدودة وهذا ما عرف به أدب علي عليه السلام ومدرسة علي بانها ذات صلة بالقرآن وكما عرف علي بالقدرة على الارتجال وسرعة الاجابة والايجاز . وعلى اختيار أفضل المفردات والابتعاد عن غير المألوف او ما يمجه الذوق . وقدرته التصرف بالمفردات وعلى الاشتقاق وعلى القصد المعين له وقدرته على الوفاء بالمعنى المقصودمن غير حاجة الى زيادة اللفظ او زيادة في الكلام . او نصب قرينية تأخذ بالسامع لاثبات المراد . وهذا فيه تكلف وعلي (ع) لا يعرف التكلف . انه علي !

وهذا حديث ثاني من أحاديث علي : « إن إعرابياً سأل أمير المؤمنين شيئاً فكتب الى خازنه اعط الاعرابي ألفاً ولم يتبين فرجع الخازن اليه فقال : يا أمير المؤمنين كتبت للاعرابي بألف ولم تبيّن أمن الدراهم هو أم من الدنانير فقال (ع) كلاهما عندي حجران فاعط الاعرابي أنفعهما له (١) »

ماذا قصد علي (ع) من ذلك . الا يستطيع أن يقول أعطه ألف درهم . او ألف دينار ؟ لماذا أوجز القول ؟ ولماذا لم يوضح لخازنه ؟ ولماذا رجع اليه الخازن الامين الذي لم يتصرف الا الرجوع

(١) بحر المعارف ص١٧٣ .

اليه ليوضح له بقصده ؟ .

هل تعمّد علي (ع) على ذلك القول ليعرف خازنه وقدرته على التصرف ومعرفته ؟ ولماذا أطلق علي القول إطلاقاً ولم يفسر ويوضح ويضع النقاط على الحروف ؟ لماذا كل ذلك استعمل العموم . وله قصد خاص ولم يكلم خازنه بصراحة ؟ هل هذا كلام مبهم او هو مطلق أو هو من باب الغموض ويحتاج لشرح وتفسير ؟ ان في مدرسة علي (ع) دروس بلاغية .

ولكن هنا نصل الى مرحلة جديدة من البحث ونتساءل .

كيف كان ذهن الانسان المسلم في عصر علي ليخوض (ع) المسائل العلمية ؟ ! وهل ارتقى عقل ذلك الانسان علمياً ليتقبل ما يقوله علي (ع) ؟

وهل كان المستوى الذهني له قد وصل ونضج ليتكلم معه الامام علي (ع) بذهنية علمية وينطلق معه بآفاق علمية وفي مجالات علمية؟ كيف كان ؟ !

ونقول أيضاً كيف كان الاسلام من حيث الصورة العامة . ومن حيث التطبيق للاحكام والالتزام بها ؟ وكيف كانت الامة في عصر علي (ع) . ؟ هل كانت أمة تتقبل اللغة العلميه والبحوث الجديدة الفكرية ؟ هل كانت الامة بحاجة الى الاصلاح النفسي أكثر من العلاج الجسدي ؟

فاذا قدم لها الامام علي (ع)العلاجالنفسي والخلقيونجح في ذلك . أخذ بها الى العلم والتطلعات العلمية .

لو رجعنا الى تاريخ . ذلك العصر لرأيناه عصراً تكثر فيه الاشتباكات الفكرية الحادة كما حصل ذلك أكثر من مرة بينه وبين

عدوه ورأيناه يعيش الصراع الديني .

فقد وقف علي (ع) عدة مواقف حازمة فله موقف وأكثر من موقف مع الملحدين وصب عليهم وابلاً من كلامه في الجدل الناجح . وكان لتلك المواقف النتائج المثمرة فكانت محاولة جديدة لارتفاع العقلية الاسلامية والاخذ بها الى مستوى ثقافة الانسان المسلم وغرس المبادىء في روحه . ليعبد الله عن معرفة . سلام الله عليك يا أبـــا الحسن . يا معجز العلم . بين المسلمين . ولم يسبقه لذلك الا ابن عمه الرسول (ص) .

فلقد كان علي (ع) يتكلم وكأنه ينطق مع المتفلسفين . او يخاطب مجتمع الفلاسفة في القرن العشرين . او يتحدث مع العلماء . ماذا يقال فيك يا مولاي ؟ !

إنك رائد الفلسفة الانسانية . المصلح ـ الداعي للاصلاح . وقد لا تصدقني إلا اذا رجعت الى كلماته . وفصلاً من نصائحه أتدري ماذا يقول علي (ع) . انه قصدني . وقصدك . وقصد الآخرين من بني الانسان ! انه حاول رفع مستوى الامة في العلم والخلق .

وبدأ يعبّد الطريق للعلماء المسلمين والطريق الذي أراده علي (ع) وسلكه هو الطريق الذي سار عليه الانبياء والمصلحون . والعلماء والمفكرون من قبل ومن بعد ! وهذه كلمة من كلماته العلمية :

« سئل علي عليه السلام تعبد من ترى أم من لا ترى ؟ فقال: عليه السلام أعبد من أرى لا رؤية العينين ولكن رؤيـــة مشاهد القلب (١) » .

(١) وعلي (ع) يقسم الرؤية الى نوعين البصرية والقلبية . وهي وهي مسألة علمية . استفاد منها اللغويون . في تقسيم =

ولا غالي لو قلنا ان علياً بعد القرآن . كان بدايه ولادة الفكر الفلسفي في الاسلام ولا نغالي لو قلنا ان علياً كان بداية مرحلة علمية جديدة في المسلمين !

فكان داعياً . وانطلق مصوتاً الى العلم والتفكير . وكان يدعو تلك الامة . وكان يكثر من الدعوة العلمية ويحاول وقد حاول ان يأخذ بيد الانسان المسلم المتخلف عقلياً والمتباعد عن ساحة المعرفة . ان يرفع مستواه العلمي .

ودعوة علي (ع) بدأت . بالدعوة القرآنية وكان يكثر من مدح القرآن والتحدث عن التفكير في الله ويدفع أتباعه الى التعلم والمعرفة وبعد ذلك العبادة وكان طلاب مدرسة علي (ع) . رجال العلم ـ ورجال التقوى لانه (ع) أراد لهم ذلك .

هاك درس من دروسه لطلابه فيخاطبهم بصراحة !

« جاء في كتاب بحر المعارف ص٢٢٠ عن كتاب أدب النفس عن علي (ع) قال : كونوا بقبول العمل أشد اهتماماً بالعمل فانه لا يقبل عمل الا بالتقوى » .

فغرس في نفوس طلابه . وأتباعه وشيعته ورعيتة الخير . وحب الخير ورفع مستواهم الخلقي ثم دعاهم للعبادة والتزود من الاعمال والطاعات . وهي مسألة جوهرية إسلامية ـ العلم ـ ثم العبادة . ولا عبادة بغير معرفة :

ولذلك بدأ الرسول بالعلم أولاً ثم دعا الى العبادة وجاء من بعده مباشرة بلا فصل - علي وارثه ـ فدعا الى العلم والعبادة فنجد في كل

= الفعل رأى . الى فعل يتعدي الى مفعول واحد والى مفعولين ولكن عليا (ع) شرح ذلك من قبل .

خطبة من خطبه . الدعوة الى التفكير التأمل . والمعرفة . والدعوة الى التقوى والخوف من الله .

وهذه نماذج من أصوات علي (ع) وكلماته الخالدة :

« العلم أفضل قنية . الجهل يوجب الغرور . العقل مركب العلم . العلم مركب الحلم . العلم اصل كل خير » (١) .

ويستمر علي (ع) منادياً قومه . العلم أشرف هداية . العلم قاتل الجهل (٢) . ويختتم علي (ع) حديثه بندائه للعلم . العلم لا ينتهي(٣)

وهنا ندخل في بحث جديد وقد أثار أحد الكتاب المعاصرين هذا السؤال . « وهل يستطيع كاتب مهما سما به الخيال ان يصور لنا مدى ما حواه من العلم والعرفان بعد أن شهد هو في نفسه بقوله :

(علمني رسول الله ألف باب من العلم . ينفتح لي من كل باب مثله) وقول الرسول صلى الله عليه واله فيه : (أقضاكم علي) ، (أنا مدينة العلم وعلي بابها) (٤) .

ويقصد هذا الكاتب نقطة واحدة :

ماذا حوى علي من العلم ؟ وبعبارة أخرى ما هي العلوم التي حواها علي (ع) من حيث النوعية والكمية ؟ وما هي تلك العلوم التي تنسب اليه ؟ وهل في تلك العلوم خدمات انسانية ولو فجرّها علي (عليه السلام) في زمانه ماذا يكون وماذا يحدث وهل تتغير الحياة

(١) غرر الحكم للامدي ص٢٠

(٢) نفس المصدر ص٢٣

(٣) نفس المصدر ص٢٤

(٤) رياض الفكر مختارات في الأدب والاجتماع ص١٠٢ . عبد الرسول الشريفي ط مطبعة الغري ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م .

كما غيرها العلم الحديث والعلماء المتأخرون ؟ !

ونتساءل مرة أخرى ما هي المواضيع العلمية التي تناولها علي (ع) في خطبه ؟ وهل هي جوانب علمية خطيرة تخدم الانسانية ؟

وهل في خطبه مسائل علمية لم تتضح حتى الآن وتكلم بها علي (عليه السلام) قبل غيره ؟

وهل يعترف الفلاسفة والعلماء له بذلك وهل في كلامه فلسفة كونية وأحاديث عجيبة مقبولة علمياً ؟

إذن علينا أن ندخل في مدرسة علي ونتعرف على فصولها وأبوابها ومناهجها . ومسائلها العلمية . وندرس الآفاق الفكرية التي دخلها علي (ع) وكانت رائجة في عصره وبين أهل زمانه .

فقد تكلم علي (ع) بما هو رائج في عصره . ثم ندرس أثر هذه المدرسة في توجيه الفرد والأمة . ونتعرف على منزلة علي . الامام والعالم . الخليفة . الوارث . لعلوم الانبياء في الارض . والناطق بعلوم القرآن قبل غيره من العلماء . فلا عجب اذا تحدث علي (ع) عن القضايا العلمية في عصره وما تحدث علي عنه كله جاء به القرآن

المسائل العلمية

في كلام علي والمسائل التي خاضها علي (ع)

مسألة كروية الارض

خلق السماء والارض

النظام الكوني العجيب

الخليقة والبداية

الوجود والموجـــود
الفناء ونهاية الوجود
الكواكب وحركتها وسيرها
الفضاء الكوني المتناهي واللامتناهي
مسألة التوحيد وواجب الوجود
فلسفة الطاعات وأسرار العبادات

خلق الحيوان والانسان وهل بينهما تشابه . نشأة الانسان ونموه وتطوره

ولكن النافذة العلمية المفقودة في تراث علي هي :

لماذا خطب علي (ع) في وصف الطاووس والنملـــة والجرادة والملائكة ووصف الحيوانات وتكاثرها وتزاوجها وفصائلها المختلفة ؟

هذا كله ورد في تراث علي (ع) . وهو الرائج في عصره . ولماذا لم يخطب علي في موضوع القرد والانسان . وهـــل بين هذا وهذا تشابه وراثي وبين هذا وذاك صلـــة بايلوجية وفسلجية ؟ وهي من المسائل العلمية الدقيقة . التي اتبعت عقول الفلاسفة وعلماء الفسلجة وأصبحت نظرية مستقلة . وفلسفة تنسب لأصحابها وأخذت بالانسان في دروب مختلفة من المعرفة : بين القول والقائلين بان الانسان القديم كان قرداً ونما وتطور وتغير وتحول وهاجر هنـــا وهناك وتفاعل حتى أصبح بهذا الشكل .

فلو خطب علي (ع) في ذلك او تحدث لمستمعيه من قبل (١)

(١) هل ورد في كلامه شيء من ذلك في التحدث عن هـــذه المسائل الفسلجية . ومسائل التربة . ومسائل الاحياء . ومسائل الوجود الكوني . وفي هذه الارض من كنوز وما وفي هذا الكون من عجائب . وهل قام علي (ع) بمسح عام -

لكان أسبق من غيره وكان هو الرائد الأول في الفكر الاسلامي وفي التحدث عن هذه المواضيع العلمية الدقيقة ولكان علي (ع) هو الانسان الذي أجرى تجاربه العلمية في هذه الكائنات الحية العجيبة المختلفة وبيان فسلجتها وبيان تركيب الاعضاء النامية ووظائفها وأدوارها في الوجود وأثرها في الحياة وقد ينطلق علي منها الى واجب الوجود الذي خلقها وأبدع في تكوينها . ولماذا لم يتحدث علي عن ذلك وهي من المسائل ذات الشأن ؟ كما تحدث عن الانسان ورغباته وميوله . وعواطفه ووجوده وتحدث عن الحياتين الدنيا والآخرة فلماذا لم يتحدث عن وجه الشبه بين هذه الحيوانات والانسان . مادام اعترف علمـــاء الحيوانات ان لها لغة وسلوك وحياة ونفوس وأذهان معينة وتطورات خاصة . ولكان له أن يقدّم الحل لهذه المسألة القديمة التي أصبحت علماً خاصاً يدرس في المناهج المدرسية .

ولكان أفضل من أن يتحدث عن وصف الطاووس والنملة او وصف الجرادة أو غيرها . وهي مسألة ليست بهذا المستوى العلمي . وما ثمن الجرادة أو النملة او النحلة أو غيرها من الحيوانات وليست بذات جدوى وليست من المسائل التي كان يدور حولها الجـــدل والاختلاف والحديث فيها .

أما مسألة القرد والانسان مسألة ذات جوانب مختلفة . وقد سكت عنها القرآن . والرسالة الاسلامية . والحضارة العربية مطلقاً مسألة مسكوت عنها ولم يرد فيها نص في القرآن كما ورد الحديث عن النحل او النمل او البقرة والعنكبوت او غيرها .

- او تحليل او حديث علمي وان ورد فهو قليل لكنه أكثر من ذم الدنيا .

واذا كان القرآن سكت عن ذلك بتاتاً . فهل تحدث علي (ع) عنها واذا كان علي الرجل الذي استمد معرفته وعلومه من فيض القرآن وهو إمتداد فكري وفلسفي من مدرسة القرآن . ولما كان القرآن تحدث عن الكائنات الحية المعينة ونفس هذا الحديث جاء في لسان علي فهو والقرآن في خط واحد . ونقطة أخرى هل أرتقى الفكر الانساني في عصر علي ليسأل عليا عن ذلك . وهل قدم اليه نماذجاً من هذه الاسئلة كما تطور الفكر وبدأ يتحدث عن أسرار الوجود في عصرنا اليوم وهل قرأنا في سيرة علي (ع) ان انساناً تقدّم لعلي بمثل هذه النماذج من المسائل العلمية الحديثة :

١ - لو سار الانسان على سطح القمر ما هي درجة الضغط للانسان ؟

٢ - ما الفرق بين وزن الجسم على سطح الأرض ووزنه على سطح القمر ؟

٣ - أو قام اليه سائل وقال : هل في هذه الكواكب بشر او سكان ؟ وما هو مستواهم الفكري والثقافي ؟ كما توّصل اليه العلم والتحقيقات فقد إعتقد بعض العلماء ان بعض الكواكب فيها سكان وان ثقافتهم أوسع وأرقى من ثقافة سكان هذا الكوكب الارضي فهل جاء عن علي ذلك ؟ !

٤ - هل ورد عن علي أنه حضّر بعضاً من المركبات والحوامض أو قام ببعض التجارب العلمية كما وجدناه عند العلماء فيما بعد ؟ وهل ثبت عنه عليه السلام انه تحدث عن كواكب المنظومة الشمسية . أو قال عن الشهب والنيازك ؟

٥ - او خطب عليه السلام عن الضغط الجوي وكيف يختلف

الضغط الجوي على سطح الكرة الأرضية

كما خطب في المواضيع الأخرى الشائعة في عصره وزمانه ؟

٦ - وهل سئل الامام علي (ع) كم عمر الارض ؟ ومتى ظهرت الحياة على الارض ؟ ومنذ كم ظهر الانسان على سطح الارض ؟ (١)

وهل سئل هل كان ظهور السماء بهذا الشكل الذي نراه اليوم أم كان شكلاً غير هذا ؟ ؟

٧ - هل كان لعلي (ع) مجالات علميـــة معترف بها لدى العلماء في العصور المتأخرة مثلاً . هل تحدث عن التكليس . او التقطير . او التبرهم . أو عن المحاليل والمركبات . او الوزن الجزئي لغاز كلوريد الهيدروجين أو غاز الصوديوم مثلاً ؟

٨ - هل كان له نتائج علمية ؟

٩ - هل قام بعملية طبية لأحد أفراد شعبه أو أرشد الى دواء نافع . الى مصاب . وقطعاً كان مصاباً في عصره في مرض من الأمراض .

١٠ - هل ورد له تصريح علمي في الذرة ؟ هل سئل عن ذلك فأجاب عن مسألة كونية او في تركيب علمي .

وهذه نماذج من المسائل العلمية الهامة (٢) . ولكن لو سئل عنها علي (ع) فلا يتوقف أو يتردد عن الأجابة .

---

(١) فقد توصل العلماء الجيولوجيون - من باب الظن - لاالقطع - او الجزم . ان عمر الارض يقارب أربعة الاف وخمسمائة مليون سنة الى خمسة آلاف مليون سنة . وان تصلب الارض بدأ منذ ثلاثة آلاف وخمسمائة مليون سنة تقريباً .

(٢) عن بحر المعارف ص٢٦٣ عن الحدائق .

وهو الذي هتف قائلاً وسمعه العالم كله : « ان ههنا لعلماً جماً لواجد له حملة » .

واستمر علي قائلاً للاجيال القادمة وبصراحة . « لو أخذت مائة قلوبهم كالذهب المصفى ثم أخذت من المائة عشرة ثم أخذت من العشرة واحداً ثم اختبرته ببعض ما عندي فاذن لقال علي أكذب العرب (١) » .

ورغم مشاغله العامة والخاصة ورغم مشاكله . ورغم متاعبه وآلامه . ورغم كثرة خصومه وحساده . فهو ذاك البطل . وذاك هو علي الخطيب والعابد والرقيب الاجتماعي فقد وزع أوقاته بأعمال مختلفة يقول رجل من أصحابه « أتيت عليا لانظر عبادته فأشهد الله لقد أتيته وقت المغرب فلما فرغ للتعقيب الى أن قام الى العشاء الآخرة ثم دخل منزله فدخلت معه فوجدته طول الليل يصلي ويقرأ القرآن الى أن طلع الفجر ثم جدّد وضوءه وخرج الى المسجد فصلى بالناس صلاة الفجر ثم جلس في التعقيب الى أن طلعت الشمس ثم قصده الناس فجعل يختصم اليه رجلان فاذا فرغا قام آخران الى أن قام الى صلاة الظهر فجدد لصلاة الظهر وضوءه ثم صلى باصحابه الظهر ثم قعد في التعقيب الى أن صلى بهم العصر ثم أتاه الناس فجعل يقوم اليه رجلان ويقعد رجلان وهو يقضي بينهم ويفتيهم الى أن غربت الشمس فخرجت وأنا أقول : أشهد بالله سبحانه ان هذه الآية نزلت فيه « قوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه » (٢)

(١) عن بحر المعارف ص٢٦٣

(٢) مجموعة ابن ورام ج٢ ص١٦٧

التفكير العلمي في عصر علي (ع)

وبعد ذلك التمهيد والمقدمات تعال معي أيها القارىء لنطلع :

بماذا كان يفكر ذلك الانسان الذي أدرك علياً وأدركه علي وعاش عصر الامام علي (ع) ؟ !

وقل تلك الأمة والمجتمع الذي عاش فيه علي بماذا كان يفكر؟ هل يملك ذوقاً علمياً أو ذو نزعة علمية ؟ كما نجدها في انسان اليوم الذى أقبل على العلم . فلو عاش علي (ع) اليوم لكان . هو الذي تشد اليه الرحال ويقصده العلماء . كيف وهو الذي صوّت قائلاً :

« سلوني عن طرق السموات » انها كلمة أطلقها ابن أبي طالب . وليت علماء الأرض - اليوم - كانوا حضوراً . يسألونه . وبماذا يسألونه فان لم يسأله آباؤنا من قبل . جهلاً وتخلفاً ! إذاً نتساءل نحن .

فلو عاش علي اليوم أو حشر اليوم وسأله علماء الفضاء والمعنيون في الكون والعالم اللامحدود . وعجائب المخلوقات والاسرار والمكتشفات والفلك والطبيعة . وما هو ذلك السؤال الغريب ؟ وما هو الجواب منـــه ؟

فلو سألنا علياً عن هذه الكواكب السيارة والأقمار والشموس . فما هو الجواب ؟

ولو سألناه عن هذه الصحون الطائرة اليوم .

هل هي من صناعة أهل الأرض أم صناعة سكان كوكب آخر ؟ وأهم سؤال يقدمه انسان اليوم أيهما اكبر حجماً ومساحة هل الشمس أم القمر ؟ ؟

وما هي درجة الحرارة الموجودة في الشمس وهـــل هي شمس واحدة أم شموس متعددة ؟

وما هو البعـــد بين الارض والشمس ؟ولو اقتربت الشمس الى الأرض ماذا يحدث ؟ ولو ابتعدت أكثر من الأرض ماذا يحل في الأرض والاجسام الحية ؟

وهل تنخفض درجة الحرارة في الشمس في السنوات القادمة ؟

وهل يقل هذا الاشعاع وهل ذلك واقع ؟ وماذا يحل بعد ذلك ؟

وهل يستطيع الانسان الحياة غير الشمس ؟

وهل يمكن اختزان أشعة الشمس للاستفادة منهـــا في الامور العلمية والزراعية وتوليد طاقة لخدمة البشرية كما يطمح العلماء الى ذلك ؟

وهل في هذه الكواكب سكان ؟ وما هو مستواهم الثقافي بالنسبة لسكان الأرض ؟

وإذا كان ابن أبي طالب (ع) يصوّت « سلوني عن طرق السموات » ـ علناً ـ .

ولو سئل عن تلك الطرق عددها . ومسافاتها . وما هو الجواب إذاً وحيث لم يسئل عن ذلك . فماذا نحكم على أولئك المستمعين لصوت علي (ع) (١) .

---

(١) من هم المستمعون لكلام علي لانحكم عليهم بحكم واحد بأنهم قوم متخلفون عقلياً . أو أنهم قوم لا يدركون ماذا يقول علي (ع) حيث وجدنا في كلام علي . جملاً . وفقرات تحمل مفاهيم علمية دقيقة ومنه قطع من خطبه ومناطع من صياغته تدل على أن علياً كان يخطب على مستويات عليا ونستكشف =

وعلي يقف منادياً وقد استنزفت قواه الفكرية . وهدت نفسه وأنهار ألماً يرجو من السامعين سؤالاً علمياً ليخدم الانسانية . ولكن قومه ـ أشباه الرجال ـ ليس فيهم ذلك المستوى .

وهنا معادلة ـ فكرية جدلية علي . لم يتحدث عن الفضاء وما فيه من معاجز . السبب لان ذهنية الشعب . بعد . لم تعد ذلك الاعداد

وحيث عاش بين هؤلاء المتخلفين السذج . ارتحل وهو خزانة علم . ارتحل وهو وعاء ـ وهو وهو ـ وهل أفرغ إناءه وما حواه ؟ وهل تحدّث بما كان لديه ؟ وهل وجـــد سوقاً علمية تروج فيها النظريات والمعلومات ليفضي لهم بما هو ثمين مقبول وما ورثه وتلقاه وسمعه ورآه وأخذه واكتسبه ؟

إنها معادلة تقف عندها .

ونحن لا نستطيع القول بأن علياً ليس عالماً من العلماء . فاذا لم يكن عالماً فلا فرق بينه وبين الآخرين من الناس الأسوياء .

= ان علياً كان يخاطب فلاسفة عصره . او يخطب على طبقة مفكرة حيث كان يجتمع تحت منبره حشود من رجال تستمع له وتسمع هذه السيل من النظم المركّز . وبعبارة أخرى خذ مقاطعاً من خطبه وانشدها على مجتمع من المثقفين اليوم وبدرجة عليا . فان الاكثر لا يتوصل الى فهم حقيقة كلام أبي الحسين (ع) .

ولم يعرف ماذا يقصده وماذا يحاول ابرازه فكيف بالذين عاشوا أيام علي ويترددون على منبره . لا يمكن الحكم عليهم بأنهم قوم . من عوام الناس ! !

وهو الرجل الذي أخذ وتلقى وسمع ورأى (١) .

وهل ارتقى المجتمع ذهنياً ليقول ويسأل ويأخذ من أبي حسن ؟ فهل قام اليه أحد يسأله : ما هي المسافة بين عطارد والزهرة ؟ وأي كوكب أقرب الى الارض هل هو عطارد أم الزهرة ؟ ولكن القوم فاجأوه بأسئلة تافهة لا ثمن لها في دنيا العلوم (٢) !

وحقاً له لو تمنى الموت والفراق . !

رحمك الله يا أبا الحسن . عشت في هذا المجتمع وبين هؤلاء .

ولو وجد علي عقولاً خصبة ليسألوه ويأخذوا منه ما كان عنده من معارف عن القمر وعن السماء لكان علي هو الانسان الأول الذي وطأت أقدامه أرض القمر (٣) .

---

(١) يقول فيه الرسول انك ترى ما أرى ـ والرؤية المقصودة . هنا هي الرؤية القلبية ـ قطعاً ـ ليس البصريه . والا فلا فضيلة في ذلك .

(٢) راجع قضاء الامام علي (ع) للعلامة الدستري ط النجف ذكر كثيراً من الاسئلة ـ من خصوم علي ـ تجد ما يضحك . من أسئلة هزيلة وقحة . تدل على التخلف العقلي وتدل على النفوس المصابة .

(٣) ويصح القول ان علياً . رجل الفضاء . الأول في المسلمين . لأنه كان يطيل النظر والتأمل في هذا الفضاء وما وراء ذلك ؟ وماذايقصد علي من ذلك ؟ وتأملات علي قبل غيره كثيرة في هذه الأجواء العليا . يدعو غيره ان وراء ذلك مقاصد ثم جاء العلماء من بعده وحوّلوا الفضاء علماً مستقلاً . ثم تعددت العلوم الفضائية وتنوعت واتسعت وانشطرت وأصبحت =

وهل وجد من يقوم له بالسؤال التالي : هل يستطيع انسان السعود للقمر ؟ ولو وجدت واسطة لذلك وكيف الواسطة ؟ ! وهل يمكنك أنت أن ترتقي لذلك . وما هو السبيل ؟ ولو وجد علي إنساناً واحداً ليسأله ولو بنصف مسألة عن ذلك لقدم الاجابة المقبولة عن ذلك

وماذا يصنع علي والقوم متشاغلون بأمور الدنيا ومتعلقون بالجاهلية ويستأنسون بالكذب والنفاق ! ورغم ذلك ولم يسكت علي . فكان رائد مدرسة علمية . ورجل معرفة قبل أن يكون حاكماً . ورجل حق قبل أن يكون خليفة .

وهو الذى كان يردد قولته المشهورة على مسامع الحاضرين ـ صحابي وتابعي ـ « سلوني قبل أن تفقدوني » انها كلمة . تدل دلالة قطعية على المحتوى العلمي والقدرة على الأداء والمواجهة . عبارة روتها الكتب الاسلامية وإليه تنسب ولم تنسب لغيره ولم يقلها غيره من قبل ومن

= الملاحة الفضائية اليوم ذات أهداف سلمية وحربية ثم حقق الانسان معجزة جديدة ان خلق هذا الانسان في الفضاء ووطأت أقدامه سطح القمر ورجع وهو يحمل هدية لأهل الأرض ! وإذا سئل علماء الفضاء لماذا هذا النشاط والاتجاه نحو الفضاء ؟ وما وراء ذلك ؟ ولماذا تطلقون هذه الأقمار الصناعية والمركبات ؟ قالوا البحوث الفضائية تساعد على حل مجموعة كاملة من المشاكل العامة ـ من الاقتصاد الوطني . فهي تساعد في دراسة مصادر الثروة في كوكب الارض في الاستغلال الناجح الرشيد لها . وتؤدي خدمات للزراعة واقتصاد الغابات وتعاون البحارة وخبراء المساحة التطبيقية والجيولوجيين .

بعد . . قطعاً ! إلا خاتم الرسل (ص) .

وكان عليهم أن يتقدموا له بسؤال معقول فيه خدمة للاجيال . مثلاً : يقولون له اخبرنا من سكان السموات . أخبرنا عن كنوز الأرض(١) وعيونها ومعادنها . وهل في أرضنا منابع طبيعية نستطيع أن نفجرها أولاً نستطيع وأين هي يا أبا الحسن ؟ ما دام الامام له إحاطة وعلم أو على الأقل . يقولون له . أنت تدّعي العلم ادعاءاً . أرنا علمك يا أبا الحسن .

وكان المفروض أن يسأله أحدهم عن تلك المعادن والعيون والكنوز . كم هي ؟ وأين هي ؟ في الحجاز او في العراق او في جزيرة العرب ليستخرجها وينفع الأمة . ومنفعة الناس هي الدين . والامام أمام وما أحوج الأمة في عصره الى هذه الثروة المعدنية . ولو سألوا علياً (ع) عن ذلك لوصل الينا . وورد . ولو سألوه لنفعوا أنفسهم ونفعونا نحن . وخدموا الانسانية جمعاء . وعادت تلك المنافع للاولاد وإلا حفاد . وتكون من بركات علي ! وبالطبع هي موجودة منذ زمان علي (ع) ولا تزال وكثيرة جداً . وما استخرجوه انما هو القليل .

فلماذا سكت علي (ع) عن ذلك ولماذا لم يحاول التحري والاستفسار والتنقيب عنها أهو في شغل شاغل أهم من ذلك ؟

(١) وكنوز الأرض . هي الثروة . وليست دراهم ونقود - انما هي أغلى من ذلك - وعلي عاش الحجاز والعراق . وكل الأرض العربية هي ذات كنوز ومعادن فكان عليه هو أن يخبر عنها وعليهم ان يسألوه ليستخرج هذه الثروات الطبيعية قبل أن يكتشفها غيره من علماء فقد نقب هؤلاء واخرجوها .

فكيف جاء المتأخرون . وفي عصرنا . واكتشفوا واستخرجوا هذه الثروة النفطية لصالح هذه الأمة . وقطعاً على حياته قضى شطراً منها في الحجاز والشطر الثاني في العراق .

فلماذا لم يحاول أو ينبّه ذهنية أتباعه وفي العراق معادن وثروات وكنوز فلو أشار اليها اشارة . ولو كان ذلك - لورد إلينا فلماذا : هذا السكوت ؟ وهو أكثر إحاطة ببلاد العرب .

فهل أشغله قومه بأمور جانبية . وترك ذلك . ولم يسأله أحد منهم عن ذلك فماذا نقول في هؤلاء ؟

هل يستحقون اللعن لأنهم حرموا أنفسهم وحرمونا من علوم علي وماذا يكون العراق لو اكتشف علي (ع) هذه المعادن والكنوز في عصره ؟ وماذا يكون الحجاز لو استخرج علي هذه الثروات في أيام خلافتـــه ؟

وهو الذي كان ينادي : لو تعلمون ما أعلم « عا انطوى عنكم غيبه » وقال : « لو ثنيت لي الوسادة » وهل ثنيت له الوسادة ؟ وهل استقرت الأمور وهدأت البلاد وصفا له الجو . وأصبح هو السلطان . في الأمة حتى تحقق له ذلك ؟ ورغم ذلك وهو يصرخ وينادي قومه ويهتف بهم ، يكرر كلمته . « سلوني عن طرق السموات أنا أعلم بها من طرق الارض » .

لو استخرج لهم علي (ع) ثروة أو معدناً أو أرشدهم لكان أفضل له ولهم ولنا من إخباراته عن معاوية او عن الحجاج أو عن العصور المتأخرة وما يحدث والأرض التي سار عليها علي (ع) فيها كنوز وثروات طبيعية !

ولو استخرج ذلك لأستفاد هو وأفاد غيره وكان بطل الموقف قديماً

وحديثاً . والعراق منذ العصور القديمة فيه المعادن الكثيرة والآبار والعيون . ولم يستطع القدماء اكتشافها والاستفادة منها لعدم علمهم بها او لعدم الوصول إليها ولكن علياً العالم . الذي قال وتحدث عن القضايا العلمية(١) الدقيقة كما وجدنا ذلك في خطبه وأقواله .

يذكر الفاضل الدستري في كتابه إحقاق الحق ص١٠٤ لما وصل الى المدينة خبر انتكاس راية أهل الاسلام في مقابـــل راية العجم المسماة بالدرفش الكاوياني ـ بخاصية ما كتب عليها بعض أهل الطلمسات من الجدول المشتمل على مائة بيت في مائة بيت رسم أمير المؤمنين عليه السلام قواعد علم الجفر ـ المختص به ـ على راية أهل الاسلام جدولاً مشتملاً على مائة وواحد في مائة وواحد حتى أبطـــل خاصية ذلك الطلسم وانكسرت راية العجم عند المقابلة في المرة الثانية من الحرب(٢) .

« ومن العلوم التي كانت عند علي (ع) الاكتاف وقد تعرض لذكر هذا العلم الجلبي في كتابه كشف الظنون في ص١٠٤ قال هو علم باحث من الخطوط والاشكال ترى من أكتاف الضان والمعزى اذا

(١) خطب علي (ع) كثيرة ومختلفة كماً ونوعاً . ولغة وصياغة وجميع خطبه (ع) نجد فيها القضايا الاصلاحية والنزعة العلمية وروح البطولة . فهل وجد في خطب علي مصطلحات علمية ؟ كما ورد فيها التحدث عن الوجود . والدنيا . والآخرة وعن الانسان فلماذا ؟ وهو العالم وهذه خطبه بين أيدينا وقد أتعب الباحثون أنفسهم في جمعها وقد ملئت الكتب في أقواله (ع) .

(٢) ص١٠٤ ج١ احقاق الحق .

قوبلت بشعاع الشمس من حيث دلالتها على أحوال العالم الاكبر من الحروب والخصب والجدب وقلما يستدل بها على الأحوال الجزئيـــة لا لشأن حين يوجد لوح الكتب قبـل طبخ لحمه ويلقى على الأرض أولاً ثم ينظر فيه ثم يستدل بأحواله من الصفاء والكدورة والحمرة والخضرة الى الاحوال الحادثة في العالم وينسب اطراحه الأولية الى جهات العالم ويحكم بذلك على كل صنع بأحوال متعلقة بها وينسب علم الكتف الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(١) .

وجاء في الدر المنظوم لأبي طلحة الشافعي قال أمير المؤمنين (ع)

لقد حزت علم الأولين وانني ضنين بعلم الآخرين كتوم
وكاشف أسرار الغيوب بأسرها وعندي حديث حادث وقديم
واني لقيّوم على كل قيم محيط بكل العالمين عليم

وهو الذي قال «لو شئت لاوقرت من تفسير الفاتحة سبعين بعيراً» وقد اتفق الجمهور انه لم يقل أحد من الناس سلوني إلا علي بن أبي طالب فانه قال « سلوني قبل أن تفقدوني فلأنا بطرق السماء أعلم مني بطرق الأرض » وقال سلوني عن أسرار الغيوب فاني وارث علم الأنبياء والمرسلين قال ابن عباس اعطي علي تسعة أعشار العلم وانه لأعلمهم بالعشر الباقي(٢) .

وقال العلامة السيد حسن صدر الدين في كتابه الدرر الموسوية أجمع الناس كافة على أن علي بن أبي طالب كان أعلم أهل زمانه وسائر العلماء راجعون اليه ومتمسكون به ومعتمدون عليه في العلوم

(١) كاظم آل نوح في كتابه أمير المؤمنين ص٩١ مطبعة المعارف بغداد ١٣٧٤ هـ

(٢) كاظم نوح في كتابه أمير المؤمنين ص٩٠

العقلية والنقلية(١)

« ان رجلاً سأل معاوية عن مسألة فقال : سل عليا هو أعلم مني فقال أريد جوابك فقال ويحك كرهت رجلاً كان رسول الله يغرّه بالعلم غرا (٢) . هذا هو علي - باب مدينة العلم -

وما دام الاسلام حقيقة فعلي باب لمعرفة محمد (ص) ورسالته(٣)

وهو الذي نبّه ذهنية شعبه الى العلم بالكون العجيب والفضاء اللامحدود بقوله « سلوني عن طرق السموات »

لكن لم يرد في قوله الوارد منه ان في السماء سكان . أو هناك كواكب فيها بشر أو ليس هناك كوكب مسكون الا هذا الكوكب الأرضي - مسألة لا تزال - تشغل ذهنية . علماء الفضاء - اليوم - وفي غد - ولو سئل علي (ع) من قبل من هذا الفضاء هل له حدود وله نهاية وبداية ؟

(١) ويكاد يجمع العلماء على أنه كان اعلم رجل عرف في الصدر الاسلامي الأول ولا يعرف ذلك إلا بعد أن يدرس علياً بعقلية علمية موضوعية حيادية . لانه العالم الذي يمثل المدرسة الاسلامية وعلومها . ومن درس علياً وصل الى أبعاد المدرسة الاسلامية ولعل الحديث الشريف أنا مدينة العلم - ان محمداً كان جامعاً لكل الحقائق وعلياً باب لذلك الواقع الاسلامي .

(٢) كاظم نوح أمير المؤمنين ص٧٩

(٣) وهو مدخل وباب من دخله وسلكه وصل الى الواقع وعرف محمداً وعرف الاسلام حق معرفته لان عليا باب الاسلام ومدخل لمعرفة ما هو الاسلام ومعرفة محمد (ص)مسألة هامة . ومعرفة واقع الاسلام وحقيقته أهم .

وهل يمكن الاستفادة منه في القضايا العلمية ؟

وهل هناك كوكب مسكون غير كوكب الأرض هذا ؟ ؟

وهل هناك شرايع دينية لاهل السماء تختلف أو توافق الشرايع في الأرض ؟ أو هناك أنبياء بعثهم الله لأهل السماء غير الانبياء الذين بعثوا لأهل الارض ؟ مسألة لم نجد فيها نصاً غير ما ورد في القرآن من آيات (١) .

وهل رمق علي بطرفه نحو السماء أو نحو القمر والشمس . وخطب خطبة في ذلك ؟ كما وجدنا له الخطب الكثيرة في الانسان والحياة والموت والدنيا وعالم الآخرة .

ومسألة القمر والكواكب الأخرى والفضاء هي المسألة العلمية التي أشغلت بال علماء الدولتين : - أمريكا - والاتحاد السوفيتي - وأخذت الوقت من هؤلاء العلماء وكثرت البحوث العلمية .

ونحن نعيش في عصر المركبات الفضائية . التي بذل عليها الملايين وأطلقها العلماء وهم يحاولون الوصول الى الكواكب البعيدة . انه حلم - وقد تحقق ذلك فوصل هؤلاء العلماء الى الزهرة والمريخ ومن قبل وصلوا الى سطح القمر !

ونتساءل ونقول ماذا حقق هؤلاء العلماء في هذه الرحلات . ومن هذه المغامرات ؟

ونساءل العلماء ويكثرون السؤال اليوم عن هذه الاجسام الطائرة الغريبة والتي تسير بسرعة هائلة . وهي تفوق بسرعتها الصوت وهي تفوق أيضاً بسرعتها ما أخرجته الدول المتقدمة من طائرات النفاثة

(١) والآيات السماوية كثيرة في القرآن والذي يلفت الذهن ان القرآن ذكر اسم الموصول « ما » و « ومن » وفرق بينهما .

وغيرها . ويقول العلماء عنها وأكثروا القول فيها وعنها .

من أين قدمت هذه الصحون ؟ والى أين هي متوجهة في رحلاتها

وهل هي من السماء إبتداء هذه الحركة ؟ وهل هي من صنع أهل الأرض ؟ في الواقع إنها غريبة وستبقى لغز لا يعرف حله العلمي ولم يستطع العلماء الاجابة عن ذلك .

وهي تشاهد في أمسيات مختلفة وفي آخر الليل ويراها سكان القارات وأهل الأرض هنا وهناك .

وفي صباح يوم الخميس في ٧٨/١/١٩ وفي الساعة الثانية والربع نقلت إذاعة الكويت في برنامج العالم ـ غريب ـ نقلت الاذاعة هذا الخبر الغريب عن الصحون الطائرة :

وهو : في شيلي في أمريكا الجنوبيـــة خرجت مفرزة من الجيش الخاص لحراسة الحدود مع بوليفيا كانت تقوم بالدورية واذا قد شاهدوا « صحناً طائراً » وهو جسم بيضوي حقيقي قطره حوالي ٣٠م ويبعث أشعة بنفسجية وعلى جوانبه ما يشابه المحركات النفاثة على بعد بضعة كيلو مترات وقد حط على الأرض . فطلب قائد المفرزة العسكرية من جماعته الوقوف في إمكانهم . وهو ذهب لوحده لمشاهدته واذا به يعود بعد « ١٥ » دقيقة وقد تغير شكله ويهذي ويكثر الكلام . ويتلفظ بكلام غير مفهوم وقد طالت لحيته وشاربيه الى مدة خمسة أيام وفي خلال ١٥ دقيقة تقدم به العمر ٥ أيام والأغرب من ذلك ان ساعته أيضاً استمرت الى تقدم في الايام لمدة خمسة أيام وبعد ذلك فقدَ ذاكرته . وأرسل الى العاصمة لمدارسة حالته الصحية ودراسة ما شاهدته المفرزة (١) .

(١) نقلاً عن إذاعة الكويت وهذا الحديث الغريب العجيب . =

إنها مسألة علمية لا يستطيع العقل العلمي الوصول الى حقائقها . ولا تزال يدور حولها الحديث هل هي من السماء للأرض أو هي بالعكس ؟ والاجابات كثيرة والآراء أكثر . والتعليلات مستمرة . ونجد الحديث عنها في الحديث عن الفضاء وعن الاجواء وعن السرعة .

وقد أثار أحد كتاب العصر هذا السؤال حول الصحون الطائرة وحاول أن يضع الاجابة المقبولة (١) :

ويبدأ قوله سائلاً : هل هناك كوكب مسكون غير كوكب الارض ؟

ويسأل السؤال الآخر : منذ نحو عشر سنوات تساءلت في مقال طويل « هل الذي خلقنا لم يخلق سوانا ؟ » .

يقول وكان تساؤلي بمناسبة ما نقلته وكالات الأنباء عن إخبار الأجسام الغريبة الطائرة التي تحرق في سماوات بعض البلدان بسرعة تفوق سرعة أسرع الطائرات النفاثة التي اخترعها البشر حتى اليوم أي أنه لا تملك هذه الدول طائرات يمكنها ان تطير بمثل هذه السرعة .

إذن من أين جاءت هذه الأجسام الطائرة ؟ ويستمر هذا الكاتب في حديثه ـ بعد ذكر عدة أخبار ـ غريبة عن هذه الصحون ويختتم حديثه قائلاً : إذن فهناك أجسام مجهولة تطير بسرعة خارقة وقـــد عجزت طائرات المطاردة من اللحاق بها .

ترى هل يمكن أن تكون هذه الأجسام الطائرة المجهولة التي تتخذ حيناً بشكل طبق . وحيناً آخر شكل سيجار ضخم . هل يمكن أن تكون سلاحاً سرياً لدولة ؟ ربما . ولكنه إحتمال ضعيف . والنتيجة المنطقيه . هي أن هذه الأجسام الطائرة التي بدأت تحرق في

= وأمثال هذه المشاهدة كثير من المشاهدات .

(١) هو الاستاذ محمد التابعي نشرت ذلك احدى المجلات المصرية

السموات من الأفق الى الأفق ومن الشرق الى الغرب وبالعكس وبسرعة ما بين ١٥ و ٢٥ ألف ميل في الساعة .

وبعد فان الأمر ليس مستحيلاً أو محض خيال كما قد يظن القراء وكما سبق أن تساءلت منذ نحو عشر سنوات هل الذي خلقنا لم يخلق سوانا ؟ ! أتساءل اليوم هل هذا الكون بما فيه من ملايين الشموس وملايين ملايين النجوم والكواكب لم يخلقه الخالق إلا لأهل الأرض وحدهم ؟ . . وهذه الأرض أو هذا الكوكب الذي تعيش فوق سطحه لا يزيد على كونه ذرة واحدة في رمال الصحراء أو قطرة ماء واحدة في المحيط بالقياس الى الكون وما فيه !

لماذا إذن لايكون هناك كواكب أخرى ؟ فيها كما في الارض حياة وأحياء وإلا لكان هذا الكون العظيم الذي لا تحيط به حدود . . لكان عبثاً في عبث وتنزه الخالق جل شأنه عن العبث . وإذا كانت هناك حياة وأحياء في كوكب أو كواكب أخرى فلماذا لا تكون هذه المخلوقات قد حققت ما حققه أهل الارض من مدنية وحضارة ؟ ! أو لعلهم سبقونا في ميدان العلوم والفنون وعرفوا ووصلوا الى ما لم نعرفه أو نصل اليه بعد (١) .

وبعد هذه الجولة الكونية في الفضاء . نعود الى علي عليه السلام . ونتساءل قبل ذلك : هل يوجد بشر في هذا الكون وهـــل تحدّث القرآن عن هؤلاء ؟

وبعبارة أخرى : هل توجد كواكب أخرى أوسع وأفضل من هذا الكوكب الأرضي !

(١) مجلة آخر ساعة المصرية الاستاذ محمد التابعي .

« وهل توجد حياة أخرى في كواكب المجموعة الشمسية ؟ (١) » وهذه مسألة قديمة أشغلت أذهان المفكرين منـــذ أقدم العصور . وحتى الآن . ونتساءل ونقول :

هل استطاع علماء المسلمين وغيرهم الاجابة على هذه الاسئلة العلميـــة ؟

ومن يستطيع القول قاطعاً ؟ ومن يملك الدليل القطعي أو يعاضده البرهان المنطقي أو قام بالتجربة العلمية ؟ بأن هناك حياة أو يمكن للأحياء البقاء على سطح هذه الكواكب . والأجرام الكونيـة . وهي مسألة ليست حديثة . ولكن وجدت لها مجالاً في الدراسات الكونية . والفضاء . حديثاً . وأخذت الوقت من العلماء الفلكيين وغيرهم . رغم تعدد اختصاصاتهم ولكن رواد الفضاء والذين سافروا الى الاجواء العليا هم الذين يقدمون الاجابة عن هذا السؤال . وقولهم حجة . لأنهم رأوا ومكثوا ورجعوا بمعلومات قطعية . مقبولة وما دام العلم . والرحلات الفضائية في تطور واستمرار . وحيث أصبح الفضاء مادة علمية . والدراسات الفضائية نشطت . وتكررت الرحلات الفضائية الى هذه الكواكب(٢) وعلماء الفضاء هم الذين يدركون هذه الحقيقة . حيث يمكن الحياة في هذه العوالم أولاً . وهم الذين يتوصلون الى مكان الحياة . وان الانسان وغيره يمكنه الحياة على هذه الكواكب .

أما السؤال الآخر الذي يثار هنا . هل يصلح القمر للحياة ان عليه الانسان ؟

(١) مجلة الشرق العدد ٣٨ السنة الرابعة ص٩٦ ـ ٩٧ .

(٢) هناك ثمانية كواكب معلومة . وكل واحد منها له حقيقة معينة ومساحة وكل كوكب يختلف عن الآخر .

وهل تصلح عطارد مثلاً او الزهرة او المريخ فلا يمكن الاجابة على ذلك لأن هذه الكواكب مختلفة ويتصف كل منها بخصائص تميزه عن الأخرى ولو وجدت حياة على سطح هذه الكواكب فما هي نوعية تلك الكائنات الحية على سطح هذه الكواكب وهنا آثار أحد العلماء المعنيون بالفلك والفضاء الخارجي . أثار السؤال التالي :

« فهل تلك الكائنات العاقلة التي تسكن الكواكب الاخرى جميعها شبيهة بالبشر ؟ هل سيكون من الممكن لنا الوصول الى العوالم التي تسكنها تلك الكائنات(١) » .

وأجاب احد العلماء بايجاز قائلاً : « ان الانسان عظيم فلقد شبر اسرار الكون . ولسوف يعرفه بكل ما فيه من تعقيد(٢) »

ولنرجع الى ابن أبي طالب (ع) الرجل العالم بالقرآن وما فيه من أسرار ومعاجز كونية وفضائية دقيقة .

وهو الذي رفع صوته منادياً : سلوني عن أقطار السموات . ماهي تلك الاقطار التي قصدها علي (ع) . وما هي أقطار السموات وكم هي عدداً ونوعية ومسافة ؟

ونرجع للقرآن الذي يقول ويرشد ويشير الى ما في هذا الكون من أسرار علمية وقد جاء ذلك هذا الكون والسماء والفضاء . والاجواء والآفاق . وما فيها . جاء ذكرها أكثر من آية . فقد قرأنا أكثر من آية تتحدث عن السماء والأرض. وعن الاحياء والكائنات وحركاتها(٣)

(١) مجلة الشرق ص١٠٠ العدد ٣٨ السنة الرابعة ١٩٦٠ .

(٢) مجلة الشرق العدد ٣٨ السنة الرابعة ١٩٦٠ ص١٠١

(٣) « ولله من في السموات والارض كل له قانتون » سورة الروم « ولله يسجد من في السموات والارض طوعاً وكرهاً » =

فاذا كان الأمام علي رجلاً نطق بعلوم القرآن وتبيان أسراره للأمة بعد الرسول (ص) . وهنا يصح التساؤل هل في القرآن علوم ونظريات علمية وأحاديث علمية ؟ وكيف وهو مع القرآن . ونطق به ودعا اليه وأحتج به . وكان دليله القرآن وتحدّث وكان حديثه القرآن وأكثر من ذلك .

يقول الشاعر العربي النجفي الشيخ حسين الكبير يمدح علياً (ع)

كلامك كالقرآن نور وحكمة وكل كلام كان حلبه هذرا

ويقول علي (ع) : « ألا وان الأرض التي تقلكم والسماء التي تظلكم مطيعتان لربكم » الى أن يقول (ع) وأقيمتا على حدود مصالحكم فقامتا » (١)

وهنا نقطة قرآنية . وهي في الواقع مسألة تكاد تكون علمية ولغوية ـ ما الموصولة في القرآن . فقد ذكر علماء اللغة ان ما الموصولة لغير العاقل ومن الموصولة للعاقل . ونرجع للقرآن . يقول تعالى :

« يسبح لله ما في السموات وما في الارض » . وما الموصولة جاءت مرتين في الآية . هل هنا مستعملة للعاقل أو لغيره . او لكليها ؟

ونتساءل هنا ان سكان السموات من العاقل أو من غيره . وهل غير العاقل مكلف بالتسبيح وهو العبادة ؟ ويقابل الطاعة الثواب والجزاء . رغم انه مخلوق لله تعالى وأقرّ لله بالتوحيد. ولكن القرآن تكفل بالاجابة عن حياة هذه الكائنات . يقول تعالى : يعلم ما في

= سورة الرعد ١٣ .

« ألم ترى ان الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض»

سورة الحج ٤ .

(١) ابن عبده ص٢٤٧ خطبة الاستسقاء .

السوات وما في الارض - ويقول تعالى - « من في السموات »(١)

وبعبارة أخرى وبلغة جديدة من هو الذى يسكن السموات ؟ مسألة نرجع بها الى الحضارة الاسلاميه ونلتمس الاجابة من التراث الاسلامي . لنعرف من هم سكان السموات ؟ وهل فيها من يسكنها ؟ وهل هم بشر ؟ وقبل ذلك نرجع لأقوال علي (ع) .

فهو عندما يتحدث عن خلقة الكائنات وتصنيفها وعن السوات . ومن هو يسكنها . ومن هو ذلك المخلوق او تلك الكائنات التي استترت في السموات ؟ بارادة الله تعالى .

وقبل كل شيء نرجع للقرآن لنرى كيف تم تكوين هذه السموات ومن أين هي هذه الآيات القرآنيه فيها دلالة على وجود أحياء تسكن هذه الأجواء . أما علي فأسمع مايقوله : « وليس في اطباق السماء موضع إهاب إلا وعليه ملك ساجد او ساع حافد(٢) »

أما اليوم بدأت مسيرة العلم تقطع مسافات طويلة وتحقق نجاحاً بعد نجاح وتقدم نتاجاً فكرياً لخدمة الانسان في اكثر من ميدان ومن هذا المنطلق نتساءل وبجرأة وبصراحة . هل جاء الامام علي (ع) بغرائب ومعاجز علمية ادهشت عقلية زمانه ؟ وما هي تلك المعاجز ؟

ولكن - لو رجعنا لخطب علي (ع) . وما ورد عنه من تراث . لوجدنا نماذجاً علمية ومسائل وقضايا علمية أشغلت أذهان العلماء في

---

(١) وهذ الآيات القرآنية تشير الى وجود كائنات عاقلة وغير عاقلة مطيعة لله ومسخرة بأمره للاخرين - من أهل الارض .

(٢) ابن عبده نهج البلاغة ج١ ص١٦٥ مقطع من خطبته المسماة بخطبة الاشباح .

هذا العصر . ونتساءل هل لعلي خطب(١) او عليها طابع علمي . او فيها مصطلح علمي(٢) قبل بزوغ شمس العلم ؟ وبعبارة أخرى هل تحدث علي (ع) عن الهواء مثلاً - وهـــل تكلم عن البكتريات وخصائص البكتريا وآثارها ومضارها كما تكلم العلماء اليوم ؟ ؟

فقد قرأت لعلي (ع) خطباً . تحدث فيهـا عن الكون . وعن الانسان وعن الأرض والسماء . والقضايا الاجتماعية وقال فيها عن الحوادث المستقبلية والملاحم القادمة زمنياً وتنبأ بهـا علي قبـل أن تظهر للوجود وقبل أن تستقل . وقبل أن تتكامل .

أنا لا أقول ان كل ما قاله علي (ع) وتنبأ به هو واقع . ولكن قال علي (ع) وتنبأ بظهور نتائج علمية وحوادث اجتماعية . وكثير من عظماء العالم وساسة الدول وقادة الجيوش . يتنبأون عن قضايا عامة . يصل اليها الشعب او الدولة لشدة ذكائهم وخبرتهم وحد سهم ومن حيث معرفة المقدمات التي تؤدي الى نتائج حتمية فالسياسي والاقتصادي قد يتنبأ بالوصول الى نتائج سلبية .

---

(١) هذا وغيره نسمعه اليوم - فيقال هل لعلي أحاديث عن خصائص الأحياء؟ كما ذكرها العلماء اليوم : النمو ، التغذية ، الحركة التكاثر ، الافراز الحس ، التنفس .

(٢) هذه لغة العصر وهذا ما يقال اليوم - هل لعلي خطبة عن الماء وتركيبه ؟ وما علم هؤلاء ان القرآن اكثر في الحديث عن الماء ومنافعه وانزاله وآثاره في أحياء الارض والنباتات . وما علم هؤلاء عما تحدث بـه علي (ع) عن الهواء والتيارات الهوائية والفضاء ؟ ؟

أما علي (ع) الذي واكب مسيرة هذه الامة وعرف مزاجهـــا ونفسيتها . فقد عرف ما ستصل اليه هذه الامة في الاعوام القادمة . ولعلي ـ خرجت من وحدة الموضوع ـ وعلي العالم الذي خطب وأجاب من قبل . فقد قرأنا ما جاء عنـه فقد وجدنا فيه تفكيراً علمياً هذه نصوص موثوق بها وردت عنه . لنقرأها أولاً وبعد ذلك ندخل في تحليلها ودراستها .

ذكر العلامة اللغوي الطريحي الاسدي في مجمع البحرين والعلامة القمي في السفينة « في باب كوكب » الرواية عن أمير المؤمنين (ع) انه قال : هذه النجوم التي في السماء مدائن مثـــل المدائن التي في الأرض مربوطة كل مدينة بعمودين من نور طول ذلك العمود في السماء مسيرة مئتين وخمسين سنة(١) » وهناك مقاطع في خطبه تحمل مصطلحات علمية . راجع خطبة القاصعة . وخطبة الغراء وخطبة الاشباح . وخطبة يذكر فيها خلقة الطاووس . وخطبته التي ذكر فيها خلقة السماء والارض . هذا جانب من جوانب علي (ع) العلمية والفلسفية وقد تحاول أن تسأل بعقل فلسفي حديث ما هي فلسفة علي وهل له مذهب فلسفي ؟ او جاء في تراثـــه مصطلح فلسفي ؟ ورجائي منك أن تعفيني عن الجواب ودع السؤال يموت في ذهنك وعليك مراجعة خطبه لتعرف ماذا جاء في تراث علي وليس كلام كلمات وأقوال ومفردات . وأخيراً نقول ما هو حجم الذنب الذي اقترفه خصوم علي (ع) بحق الاجيال القادمة حيث حال بين علي وبين الانسانية ولم يدع علياً يفجر طاقاته وهو يهتف في رعيته يطلب منهم السؤال . وهذا نموذج من الاسئلة التي سئل بها علي (ع) ومن

(١) ج٢ ص٤٩٩ سفينة البحار عباس القمي

خلالها نجد أن في مدرسة علي حرية السؤال مهما كان ولو كان لقصد او لغرض الاحراج .

ذكر المجلسي ج١٤ ص٥٦ عن كتاب المحتضر للحسن بن سليمان بما رواه عن كتاب الخطب لعبد العزيز بن يحيى الجلودى قال خطب أمير المؤمنين (ع) فقال سلوني فاني لا أسأل عن شيء دون العرش الا أجبت فيه لا يقولها بعدي الا جاهل مدّع او كذاب مفتر فقام رجل من جانب مجلسه في عنقه كتاب كأنه مصحف وهو رجل آدم ضرب طوال ـ جعد الشعر كأنه من مهودة العرب فقال رافعاً صوته لعلي أيها المدعي ما لا يعلم والمقلد ما لا يفهم . أنا السائل . فأجب فوثب به أصحاب علي (ع) وشيعته من كل ناحية فهموا به فنهرهم علي فقال لهم دعوه ولا تعجلوا فان الطيش لا تقوم بـــه حجج الله ولا به تظهر براهين الله ثم التفت الى الرجل وقال سل بكل لسانك وما في جوانحك فاني أجيبك ان الله تعالى لا تختلج عليه الشكوك ولا يهيجه وسن ـ فقال الرجل :

كم بين المغرب والمشرق ؟ قال علي (ع) : مسافة الهواء . قال الرجل : وما مسافة الهواء ؟ قال علي : دوران الفلك . قال الرجل: وما قدر دوران الفلك ؟ قال علي : مسيرة يوم للشمس . قـــال الرجل صدقت(١) .

أما اذا تحدثنا عن توحيد الامام وفلسفته في الله تعالى . « قال يهودي لعلي بن أبي طالب (ع) : أين ربنا ؟ قـال : الذي أوجد الاين لا يسئل عنه بأين . قال كيف ربنـا . قـال : الذي كيّف

(١) بحار الانوار للمجلسي ج١٤ ص٥٦ .

الكيف لا يقال عنه كيف قال : متى كان ربنا قال ويحك ومتى لم يكن(١) .

حقاً ان علياً مدرسة عامة جامعة رغم مشاغله وأتعابه .

أما عناية الامام علي بالزراعة واصلاح الارض المهملة وإحيائها رغم انشغاله بالاصلاح الاجتماعي ورغم انشغاله بالجيش . فهو الخليفة المصلح وهو الخليفة القائد وهو الخليفة الخطيب والموجه والداعي والمهذب . والباعث في الامة روح اليقظة والادب .

« ان رجلاً جاء الى علي بن ابي طالب (ع) فقال أتيت ارضاً خربت وعجز عنها أهلها فكريت انهاراً وزرعتها . قال كل هنيئـاً وانت مصلح غير مفسد ومعمر غير مخرب(٢) » .

وعناية الامام بمصلحة الفرد وارشاده وعنايته العامة بالاصلاح والتوجيه العام . وعنايته بدعوة الانسان الى العبادة . كلها من أعماله في خلافته .

الامام على مدرسة الافكار العلمية

وهذا حديث علمي ـ بلغة علمية مقبولة ـ لأن علياً له أحاديث علمية كثيرة . وله مدرسة علمية كانت . وله كلمات علمية قرأناها في تراثه العلمي ولعلي تراث علمي . شهد به العلماء وحاولوا تحليله بعقل علمي معتدل .

(١) نزهة المجالس ج٢ ص٨

(٢) انظر يحيى بن آدم كتاب الخراج ص٥٩ .

اقوال خالدة وكلمات واردة

وهذه نماذج من كلماته البليغة في العلم والعلماء يقول عليه السلام : « العلماء غرباء لكثرة الجهال بينهم(١) »

ويقول عليه السلام : « شكر العالم على علمه ان يبـذله لمن يستحقـه » .

ويقول عليه السلام : « العلوم أربعة الفقه للأديان والطب للأبدان والنحو للسان والنجوم لمعرفة الأزمان » .

ويقول عليه السلام : « العلم أنيس في الوحشة وصاحب في الغربة ومحدّث في الخلوة وسلاح على الاعداء وزينة عند الاخلاء » وسئـل عليه السلام عن أعلم الناس فقال : « من جمع علم الناس الى علمه » وقال عليه السلام : « العالم حي وان كان ميتاً والجاهل ميت وان كان حياً » وقال عليه السلام : « اذا جلست الى عالم . فكن الى ان تسمع احرص منك الى أن تقول » . وقال عليه السلام : « لا خير في علم ليس فيه تفهم ولا خير في قراءة ليس فيها تدبر ولا خير في عبادة ليس فيها تفقه » . وقال عليه السلام : « كفى العلم شرفاً ان يدعيه من لا يحسنه ويفرح اذا نسب اليه من ليس من أهله وكفى بالجهل خمولاً أن يتبرأ منه من هو فيه ويغضب اذا نسب اليه(٢) » . وقال عليه السلام : « كل شيء يعز اذا نزر ما خلا العلم فانه يعز اذا غزر » . وقال عليه السلام : « أقل الناس قيمة أقلهم علماً ومن

(١) هادي كاشف الغطاء مستدرك نهج البلاغة ص١٨٦ .

(٢) هادي كاشف الغطاء مستدرك نهج البلاغة ص١٦٤ .

لم يتعلم في صغره لم يتقدم في كبره » . ويقول عليه السلام : « ما أحسن العلم يزينة العمل » . ويقول عليه السلام : « يا حملة العلم أتحملونه فانما العلم لمن علم ثم عمل بما علم ووافق عمله علمه . وسيكون أقوام يحملون العلم لا يتجاوز تراقيهم تخالف سريرتهم علانيتهم . ويخالف عملهم علمهم يقعدون حلقاً فيباهي بعضهم بعضاً حتى ان الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس الى غير أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك . الى الله سبحانه وتعالى » ويقول : « تعلموا العلم صغاراً تسودوا به كباراً - تعلموا العلم ولو لغير الله فانه سيصير لله » . وقال عليه السلام ليس شيء أحسن من عقل زانه علم ومن علم زانه صدق » . وقال عليه السلام : ما مات من أحيا علماً ولا افتقر من ملك فهماً » . ويقول عليه السلام « من حق العالم على المتعلم ان لا يكثر عليه السؤال ولا يعنته في الجواب . ولا يلح عليه اذا كسل ولا يفشي له سراً ولا يغتاب عنده أحداً ولا يطلب عثرته فاذا زل تأنيت اوبته وقبلت معذرته وان تعظمه وتوقره ما حفظ أمر الله وعظمه . وان لا تجلس أمامه وان كانت له حاجة سبقت غيرك الى خدمته فيها . ولا تضجرن من صحبته فانما هو بمنزلة النخلة(١) ينتظر متى يسقط عليك منها منفعة . وخصه بالتحية(٢) . واحفظ شاهده وغائبه وليكن ذلك لله عز وجل فان العالم أفضل من

---

(١) أما : النخلة - وأما النحلة - وكلا العبارتين مقبولتين - فالعالم عطاء فكري - وفيض . في ذهنه . تأخذ منه فهو بثر عذب

(٢) هذه نصوص تربوية . وسوف نشرح هذه النصوص في الحديث عن مدرسة علي (ع) التربوية .

الصائم القائم المجاهد في سبيل الله واذا مات العالم ثلم الاسلام ثلمة(١) لايسدها الا خلف عنه وطالب العلم تشيعه الملائكة حتى يرجع » . وقال عليه السلام : لا تحدث بالعلم السفهاء فيكذبونك . ولا الجهال فيستثقلونك ولكن حدث به من يلقاه من أهله بقبول . وفهم يفهم عنك ما تقول . ويكنم عليك ما يسمع . فان لعلمك حقاً كما ان عليك في مالك حقاً . بذله لمستحقه . ومنعه من غير مستحقه » وقال عليه السلام : قليل العلم اذا وقر (« قرّ » نسخة أخرى) في القلب كالطل يصوب الارض المطمئنة فتعشب » . وقال عليه السلام : « العبادة من غير علم زهادة تتعب الجسد » . وقال عليه السلام : « العلم سلطان من وجده صال به ومن لم يجده صيل عليه » وقال عليه السلام : « احترس من ذكر العلم عند من لا يرغب فيه » . وقال عليه السلام : « معصية العالم اذا خفيت لا تضر إلا صاحبها واذا ظهرت ضرت صاحبها والعامة » . وقال عليه السلام : الجاهل صغير إن كان شيخاً والعالم كبير وان كان حدثاً » .

سلوني قبل ان تفقدوني

وكان علي عليه السلام يردد دلك . وهي كلمة - وهو قائلها وعنه تروى وقالها في أكثر من موقف . وأعاد كلمته هذه في أكثر من مناسبة : « سلوني قبل أن تفقدوني » ومن هو الذي سأله ؟ ؟ وأخذ عنه ولكن ما قرأنا سؤالاً ذا أبعاد علمية ولعل ذلك يرجع الى هبوط

---

(١) وهل ثلم فقد علي في الاسلام ثلمة لانه العالم ؟ راجع الامام علي والعقلية العلمية - للمؤلف -

عقليـــة الامة .

ونستطيع القول إنها أمة بعد لم تنضج عقلياً ولم ترتفع الى درجة فكرية لتنطلق في الآفاق الواسعة . كيف وعلي (ع) العالم ـ يقف ـ ويصوت ويهتف فيها منادياً « سلوني قبل أن تفقدوني » والخطـــاب والطلب انما هو لجماعة وللجميع ولكل الحاضرين والسامعين انه صوت علي (ع) ! وهل ورد عن غيره انه هتف أمام الناس قائلاً كقول أبي حسين ؟ ! وهل طلب أحد من السامعين أن يسألوه كما طلب هذا البطل العالم من قبل ؟ !

وقد ذكر شيخنا الراحل البحاثة العلامة الاميني في كتابه الغدير ج٦ ص١٩٥ تعليقاً على حديث علي (ع) « سلوني قبل أن تفقدوني » جاء فيه « لم أرَ في التاريخ قبل مولانا أمير المؤمنين (ع) من عرض نفسه لمعضلات المسائل وكراديس الاسئلة ورفع عقيرته بجأش رابط بين الملأ العلي بقوله « سلوني » إلا صنوه النبي الأعظم (ص) فانه كان يكثر من قوله سلوني عما شئتم وقوله (ص) سلوني سلوني وقوله سلوني ولا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به(١) .

وندخل في حديث ونتساءل هل كان علي (ع) رجل علم ورئيس مدرسة علمية ومذهب فكري شأنه شأن المذاهب المشهورة والفلاسفة المشهورين وزعماء المدارس ؟ فما هو نتاج مدرسته العلمية . أو هو رجل ذو صلة مباشرة بمدرسة الاسلام ومدرسة القرآن فحسب ؟ ونتنقل الى حديث آخر . لدراسة المستوى العلمي في الآيات القرآنية فهل كان القرآن ـ ولا يزال ـ كتاب علوم وهل اعترف علمـاء

(١) نقل شيخنا الراحل هذه الاقوال للرسول (ص) عن صحيح البخاري وعن مسند أحمد ومسند أبي داود .

اليوم بمدرسة القرآن العلمية وبعد ذلك ندخـــل في حوار وبحياد وموضوعية . فما أخذ علي من مدرسة القرآن ؟

ونتساءل وبصراحة(١) عن هذا التراث العلمي الذي روي ومصادره وعن القيمة العلمية لهذا التراث . وعن هذه النصوص الواردة عنه عليه السلام . وهل يتعارض هذا التراث مع العقل العلمي الحديث والتجارب العلمية اليوم ؟ هذا ونحن نعيش في عصر المختبرات والتجارب . وفي عصر تطور فيه العقل وكثرت الاكتشافات ونشطت فيه المعاجز العلمية وتوصل فيه العلماء الى حقائق جديدة كانت مستترة وأبرزها العلماء اليوم ولم يدركها الأوائل .

جولة في تراث علي « عليه السلام »

ونحاول دراسة هذا التراث دراسة جريئة لندرك القدرة العلمية والمستوى العلمي الذي كان عند أبي الحسين (ع) . وإحاطته الفكرية بالحقائق . والقضايا العلمية . ومقارنته بالعلماء الآخرين . بعد جمع تراث علي وما روي عنه(٢) .

وكان لنا ان نجول هذه الجولة ـ القصيرة ـ في كلام علي (ع) فقد نوفق في دراستنا لهذا التراث وهذه الثروة المروية عنه ـ ع ـ

(١) وإباحة الكلام وحرية السؤال والموضوعية في البحوث لاتمنع من هذا السؤال عن الامام علي (ع) ومستواه العلمي في عصره وفي عصرنا هذا .

(٢) من قول وإجابة وتدوين ما قاله علي (ع) وأجاب من سؤال أو كلمة قصيرة ذات طابع علمي أو فيها مصطلح علمي

ثم نستطلع الطابع العلمي والفكرة العلمية التي فاه بها علي (ع) . ومالها من صلة بالموجودات الحية . والمرئية او غير المرئية . من الأحياء الدقيقة .

وبعد ذلك . قد نستطيع القول بأن علياً لـــه الاسبقية العلمية وانه الفكر العلمي العربي . في العصر الاسلامي الأول وان له الأسبقية على غيره بما صدر عنه او ما صرح بـه من مسائل علمية .

وقد يصح لنا القول أن علياً كان رجل علم حرمت البشرية من أفكاره حيث لم يجد له أرضية صالحه لغرس أفكاره وانه لم يجد لـه مجالاً خصباً ليزرع العلم فيه إلا بعض طلابه . وهم قلة فقد وجـد نماذجاً من مستمعيه وهم أفراد وقليلون . وقليلون جداً(١) .

وبعد ذلك . قد نوفق لردّ القولة الجريئة .

ماذا خلّف علي (ع) من أفكار ونظريات وعندما نقوم بترجمة علي ترجمة علمية لنقدم فائدة فكرية علمية . هي من نتاج أبي الحسين (ع) . ولندرك من هو علي ؟ !

وكيف قال فيه الرسول (ص) « أنا مدينة العلم وعلي بابها(٢) »

(١) فلم يجد من أصحابه مـــن يوثق به وذا قابلية ليأخذ عنه ويروى عن علي (ع) ويدرك ما يقوله علي إلا نفر قليل وهم حملة الاسرار .

(٢) حديث نبوي رواه الجمهور . ومن هذا الحديث النبوي ندرك واقع المدرسة الاسلامية . اذاً هلم معي لندرس علياً بعقل علمي لأنه يمثل هذه المدرسة وهو الباب ـ حقاً ـ ومنه نصل الى الواقع الاسلامي العلمي . فعلي باب هداية وإنطلاقة علمية وتفكير مقبول ومنه نصل الى معرفة جديدة للاسلام ـ وهو ـ

وكيف قال الرسول (ص) فيه وهل هو أكثر من ذلك كيف وهو القائل : « علمني رسول الله ألف باب من العلم » وهل هو دون ذلك ؟ او هو ادعاء منه بلا برهان او كان كذلك وهل قال فيه ما ليس فيه ؟

ونتساءل فما هي تلك الابواب العلمية ؟ التي سلكها علي(١) .

ونتساءل مرة أخرى :

هل كان علي (ع) من أصحاب النظريات العلمية والاكتشافات أو من ذوي التفكير التربوي أو هو ذو عقل فلسفي ؟ واذا كان كذلك فما هي أفكاره الفلسفية ؟ وهل ورد عنه ما يثبت ذلك ؟ ؟ ماذا يقال في علي إذن ؟

هل هو إمام وشجاع . مدحه الرسول (ص) على مواقفه الدفاعية عن الدعوة الاسلامية ؟ إن هذا ليس وحده فقط .

وهل هو شخصية سياسية أو هو ذهنية علمية ؟ نضجت قبل أوانها وبرزت قبل بروزها واذا قلنا ذلك .

فما هي إكتشافاته العلمية الدقيقة ؟

فماذا ينسب له من نظريات علمية وماذا ينسب له من مكتشفات ومخترعات وقضايا له دون غيره .

وقد قيل فيه انه شخصية فذة ولدت وكانت في عصر النبوة أخذت وتأثرت بالقرآن وما فيه ـ وتابع الرسول في خطواته وهو ذو استعداد

= الاسلام : لأن محمداً مدينة علم وعلي « هو الباب .

(١) إذا علينا أن ندرس علياً . دراسة علمية . وندوّن علياً . وحياته العلمية ونتاجه الفكري مقارناً مع الآخرين من عمالقة الفكر وعلماء العصر الحديث وذوي النظريات .

على الأخذ والادراك فجاء علي (ع) كما جاء الآخرون من الصحابة الصحابة العلماء الرواة الحفاظ(١) .

كيف والعقلية الحديثة في عصرنا اليوم . أدركت ان تمن الرجال هو العلم والرجل العالم هو الرجل المطاع وهو الرجل الفاضل وعلي (ع) أمام في الدولة الاسلامية وعلي له قيادة شرعية وشرط ذلك العلم .

فماذا يذكر له من آيات علمية ؟ وماذا ينسب له من نظريات كما نسب للآخرين من مسائل علمية ؟

فنحن اذا ذكرنا العالم الفلاني صاحب النظرية المعينة مثلاً . خرّ العلماء سجداً له لانه العالم . واذا ذكرنا العالم الآخر مدحوه ورجعوا اليه . اذاً فماذا يذكر لعلي ؟ وماذا ينسب له من كشوفات وأفكار علمية ـ وحتى في الفلسفة ـ فما هي فلسفة علي (ع) ؟ ـ هذه ـ قولة الشباب اليوم .

وإذا قلنا لهم كان علي في عصره وهو أعلم عصره . وهو وارث علوم الأنبياء . طالبونا بالبرهان . ونحن نعيش عصراً جديداً يختلف عن العصور السالفة .

فالرجال في عصرنا . الذين برزوا . في المجتمعات البشرية في الحياة واشتهروا : إما رجل سياسة وقيادة وادارة . او هو رجل علم وتجارب ونظريات عاش دهراً في المختبر . او هو رجل تفكير وضع

(١) ولكن نقول لهؤلاء هل خلق الرسول (ص) فيه ما ليس فيه وأوجد ذهنية جديدة لعلي (ع) وعقلية ؟ . او هو كان كذلك وولد كذلك وغذاه الرسول (ص) ما ليس فيه وتعاهده حتى وصل الى ما وصل اليه وتكامل فكان كما أراده الرسول (ص)

أفضل الأسس والأنظمة الناجحة ليقدّم للأفراد خدمة في رفع المستوى العام الاقتصادي والاجتماعي .

هؤلاء هم رجال اليوم . ومختلفون عن رجال أمس وعلي الذي بقي يتردد ويذكر ـ وحتى اليوم ـ فماذا يقال عنه ؟

هل هو امام ديني . أو رجل محراب وبكاء او كان زاهداً ترك ملاذ الدنيا ؟ هذا هو علي (ع) أو غير ذلك .

إما نحن لا نغالي في علي (ع) لو قلنا إنه معجزة ودليل على قدرة المدرسة الاسلامية على صياغة الافراد القيادين ـ الذين قادوا هذه الأمة من قبل ـ وأثبتوا انهم ولاة . ودعاة . وقادة وخلفاء . وعلي (ع) كان كذلك . ولا نقول فيه اكثر مما هو فيه فهو علي . وهو إمام وهو وارث الانبياء ! لكن : يقال ماذا كان فيه ؟ ؟

ما لم يكن في غيره من رجال الصـــدر الأول . ونحن ندرسه ونحاولين . مقارنته برجال الماضي ورجال الحاضر ومع رجال آخرين من أمم أخرى ارتفع كوكبه وعلا واستعلى . وبقي يشار اليه . كما وجدنا من هؤلاء في مجتمعات بشرية في عصرنا .

ونحن اذا كنا آمنا بعلي اماماً فقـــد آمنا به عالماً . فالشرط الأساسي في تكوين شخصية الامام ـ في الدولة الاسلامية ـ العلم فالعلم شرط . ويجب ان يكون امام الامة أعلم الامة لانه هو المرجع العام فعلي إمام في العلم . وامام في التفكير الاسلامي . وقد كان فعلاً

واذا أدركنا ذلك فعلينا ان نأخذ بنهج علي (ع) ونشايعه لانه امام . ومن سلك سبيل العلماء . وطريق العلم والعلماء . هو طريق الخير . وهو طريق الجنة ومن مشى في طريق العلماء فهو الانسان

الذي نجى وغرق غيره . وعلي (ع) علم . ومع العلم ومدح العلم ودعا اليه .

ونقول أيضاً ان علياً (ع) مدرسة علمية واسعة . وعلي علوم كثيرة . وعلي (ع) في القمة العلمية لايدانيه أحد .

وهو الذي يقول عن نفسه « ان محلي منها محل القطب من الرحى ينحدر عني السيل ولا يرقى إليّ الطير(١) »

انه عالم هذه الامة بعد نبيها . المصطفى . وهل نطق أحـــد في عصر علي كما نطق هو به ؟

فان التراث الذي يروى عن علي (ع) كثير ومختلف الجوانب . يدعونا الى دراسته دراسة جديدة مقبولة وإعادة النظر فيه .

ونحن اذا درسناه بعقلية علمية فقد ندرك فيه جانباً علمياً ومنبعاً علمياً غزيراً ونصل الى نتيجة لم يدركها أحد من قبل(٢) .

ودليلنا على ذلك ان علياً (ع) خريج مدرسة محمد (ص) وهو العالم الذي أخذ من محمد (ص) . ومحمد الذي أخذ من مدرسة ربه . أدبه ربه . فأحسن صياغته . وأحكم شخصيته . والمدرسة التي صاغت محمداً وأرسلته نبياً للبشرية داعياً للعلم هي المدرسة التي صاغت علياً اماماً

ودراستنا لعلي (ع) يعني دراسة لشخصية مسلمة . تخرجت من المدرسة الاسلامية واذا اعترفنا بقدرة علي (ع) العلمية وسعتـــه عرفنا المدرسة الاسلامية العلمية وجوانبها . وانها مدرسة بناها الاسلام وأثمرت وكان من ثمارها رجال(٣) علماء ـ أهـــل الذكر ـ وهم

(١) مقطع من خطبته الشقشقية .

(٢) راجع الامام علي (ع) والعقلية العلمية للمؤلف

(٣) رجال مدحهم القرآن . بأكثر من آية . مدحهم وأشار ـ

الراسخون في العلم وكان علي (ع) أفضل أولئك الرجال الذين تغذوا من فيض مدرسة محمد (ص) واستقى من فيضها ووحيها وهو القائل « علمني رسول الله (ص) الف باب من العلم » قال ذلك علي (ع) وسمعه كثير والسامع كان مقراً له ومعترفاً به (١) .

وعرفنا ان للمدرسة الاسلامية جمعت بين الدعوة . الى الخلق . والعلم والدين(٢) .

فكان الانسان المسلم رجلاً تحلى بذلك . بأفضل الصفات والكمالات النفســـة .

وعلي (ع) خير نموذج لذلك وعلي باب أخلاق ـ وباب لمعرفة من هو محمد ـ ومعرفة ما هو الاسلام ـ وكلمات علي (ع) خير شاهد فهو رجل علم . أحبّ العلم ودعا اليه وهو رجل علم قبـــل أن يكون رجل دين .

فكان وعاءاً لعلوم شتى وكثيرة .

ولو بث علي (ع) كل علومه لتحولت الدنيا الى غيرها . وتغير وجه الحياة . وازدهرت بالبركات وتحولت الارض الى بساط أخضر وربيع مقر . لكان الاسلام هو دين الارض وساد الدنيا وارتقت

ـ اليهم . وأمر الامة بالرجوع اليهم او الاخذ منهم .

(١) اما قوله سلوني ـ فقد روى عنه بطرق مختلفة وردد هذه المقالة كثير من العلماء ـ وعظموا علياً وهو القائل ولوحده ينسب له هذا القول .

(٢) ومن أراد الدخول لهذه المدرسة فليدخل من الباب وعلي هو الباب ومن عرف علياً عرف محمداً ولا يعرف محمد ـ المدينة ـ الا بعد الاجتياز من الباب وهو علي ! !

البشرية الى مرحلة فكرية فلا ظلم ولا تخلف ولا فساد ولأكلنا من ثمرات الأرض . ولكن علياً نطق وأجاب وعلّم غيره وربى غيره . وخلق رجالاً . علماء . عبّاداً .

ولو جمعنا ما روي عنه لأدركنا انه رجل علم ومدرسة علمية . ولكنه عاش في مجتمع لم يعرف للعلم ثمناً ولا للعلماء وزناً . مجتمع المنافقين . ولكن علياً (ع) حوّل ذلك المجتمع الى حركة فكرية

وكان رجل العلم والهداية وهو خير من مشى على الأرض وجلس عليها . فهو أبو تراب وهو أبو العلماء . وخالق حركة علميـــة مقبولة . ومدرسة اسلامية كان لها الأثر مدح العلم مدحاً وأثنى عليه(١)

وهنا يصح القول ان علياً من العلماء المظلومين في الحياة لانه لم يسمع له ولم يؤخذ منه كما أراد ورغب لانه العالم وليس كالعلماء

ونعيد السؤال لنضع الجواب ونقول وبصراحة .

هل كان علي (ع) عالماً وما مقدار احاطته العلمية ؟ وما هي نوعية العلوم التي كانت لديه من قبل ؟ وما هي العلوم الشائعة في عصره ؟ وهل فاق العلماء في تفكيره وآرائه الجديدة ؟ وهل كان محيطاً بالوجود والموجودات عامة ؟

وهل كان علي هو الوارث لعلوم الأنبياء ؟

فاذا كان أدرك عصر النبوّة وهي المدة الزمنية المحدودة ثلاث وعشرون سنة . فكم يا ترى . ما احتواه وتلقاه واستفاده بهذه المدة صحيح انه تلقى ذلك عن استاذه خاتم الرسل محمد (ص) لانـه أقرب من غيره اليه وأكثرهم صحبة له .

(١) راجع مائة كلمة له (ع) لابن ميثم البحراني . والجاحظ تجد فيها الدرر من كلماته . فيها مدح للعلم والثناء عليه .

وهل كان علم علي (ع) اوسع من زمانه ؟

وهل كان فوق عقلية الأمة وأكثر من متطلبات الأمة ؟

وهل كان يفكر بما هو آت وواقع فيما بعد وما تحتاجه الأجيال القـادمة ؟

وهل صدرت منه بعض النصوص الموثوق بسندها ورواتها وهي تحمل طابعاً علمياً وخطوطاً تتلائم ومسيرة الانسانية في غدها ؟

وهل كان ينظر للحياة القادمة وعرف أبعادها المستقبلة ؟ صحيح انه قال ونطق بالأمس وروى قوله . ووجّه صيحاته للآخرين . ذلك هو علي(١) .

ويدعونا قبـــل ذلك لدراسة هذه الروايات العلمية والنصوص الصحيحة . والوقوف عندها . ثم تحليلها . ومعرفة ما وراءها . لنعرف من هو علي ؟

إنه ذلك الرجل الذي عاش ودعا للعلم ووجه أتباعه نحو التأمل والسؤال والخوض في قضايا فكرية معقدة فهو رجل علم قبل أن يكون رجل خلافة وما قيمة الخلافة عند علي ؟ ! (٢)

وهو الامام الذي قدم للامة أفضل النصائح والتوجيهات . وظهرت في دور خلافته أفضل النتائج العلمية وقدم أفضل الخدمات الانسانية لانه قائد الامة وخليفة محمد (ص) حقاً . ذلك ! وهو الذي لم يترك كلمة مشرقة إلا ونصبها في الطريق . منارا . للضالين يشير لهـا من هنا السعادة .

(١) ومات علي (ع) وعنده ما تحتاجه الدنيا والانسانية . في غدها . وأمسها . انه ذو علم كثير ومعارف كثيرة . انه علي!

(٢) وهو الزاهد بالخلافة يوم رغب بها غيره .

فكان علي (ع) كتلة ملتهبة . أحرق أعصابه ألماً . لان أفكاره منبعثة من ضمير . وضمير علي . هو قلب . رحمة ورحيم . وقلب الامام هو قلب الانسان الذي يقدم الدواء للآخرين .

فكان يحمل قلب الانبياء . وهو قلب مؤمن . ا انه كذلك انه هو علي لم ينته دوره في الحياة . انـــه علي إستحق الخلود . ما دام الدين في الارض وما زال العلم ذا قيمة عند المفكرين . فعلي لازال حياً . ولا يزال على السنة المتكلمين ولا يزال في عقول المفكرين وهو في قلوب مؤمنة به . ولا يزال هو . وكم قالوا فيه وتحدّثوا عنه . فتطرفوا . واستقاموا وتعثر آخرون واعتقد آخرون فيه .

فقال قوم فيه انه لو لم يخلق الله محمداً (ص) لكان علي هو النبي (ص) ا

وقال آخرون لو لم يخلق الله علياً لم يكن كفؤاً لفاطمة .

وقال فريق ثالث لو كان نبي بعد محمد (ص) لكان علي (ع) هو ذلك النبي . لانه علي ا

وقال قوم إن علياً لم يمت وانه حي وهو في غيبة . وسوف يرجع الى الدنيا . وقالت فئة من الناس . ان علياً لم يقتل وان ابن ملجم الخارجي ما استطاع ولن يستطيع الى ذلك وانما شبه له وتخيّل له ذلك . وجاء قوم آخرون وقالوا : ماشاؤا ورغبوا وتحدثوا عن علي بأطناب ودونوا آراءه وأفكاره وسياسته . ومعاكله وأسبابها ثم انطلقوا في ميادين جديدة .

ولكن نحن نقول إن علياً (ع) هو الانسان المسلم . أو الشخصية المركّزة في الاسلام . والذي أستفاد من الرسالة ومن وحي النبوّة لملازمته الطويلة .

وتأثر بالقرآن وأخذ منه أكثر من غيره من الصحابة لانه الرجل الموهوب .

وذهب الكتاب المحدثون . الى أن علياً (ع) عبقري وحللوا تلك العبقرية . فقيل: انه ولد وهو عبقري . وقيل أخذها واكتسبها . فعلي عبقري . وفوق العباقرة ولكن نقطة الخلاف انه عبقري بولادته ولدت بولادته (١)

ودرسه آخرون من حيث كونه خطيباً بليغاً . فقالوا عنه الخطيب الذي طور الخطابـــة . وجدد في اسلوبه وأفكاره وهو الذي اوتقت الخطابة في أيامه في اللغة . والنهج والمقدمة . والمفردات(٢) والبيان الساحر وبعد مقارنته بالخطباء الآخرين . نستطيع القول انه خطيب بلغة القرآن ومعانيه . وفصوله .

---

(١) فالعقاد الكاتب الاسلامي . تحدث عن عبقرية علي (ع) . وعن العباقرة المسلمين . وترجمهم وحلل شخصياتهم ومواهبهم ولكنه حاول دراسة علي ولم يصب الهدف . وحام حول نقطة وأكثر من الجمل . والاستعارات ولكن علياً غير ذلك .

(٢) الخطابة فن أدبي قائم بذاته مستقل . تطور واستقل عن الفنون الأدبية والخطابة وسيلة لنشر الافكار . والثقافة على أكبر عدد من المستمعين . والخطابة وسيلة اتخذها الاسلام لنشر العقيدة الدينية . وهي مدرسة عامة يعرض فيها الخطيب ما يريد عرضه وغلغلته في أذهان مستمعيه . وعرف الرسول خطيباً وتتلمذ علي على الرسول فازداد مهارة في الخطابة وكان من نتائج مدرسة الخطابة في الكوفة ان نبغ خطباء مشهورون .

فهو الرجل المسلم . الذي تسلح بالقرآن وأخذ من بلاغة القرآن فهو البليغ الذي وصل الى الغاية في قدرته وبيانه فهو يقول ويطيل . ويقدم ويبدأ ويعود . ويصل وينتهي . فلا تكلف ولا حاجة الى التماس مفردات فهو فوق البلغاء والخطباء . هذا جانب من شخصية علي .

وأخذ جيل من علماء الامامية القدماء والمتأخرون . على عاتقهم البحث من علي الامام . وأكثروا من إقامة الحجج المنطقية العقلية . وحتى النقلية في إمامة علي (ع) . بعد النبوّة . وأثبتوا ان علياً هو الامام . وكل هذه الاقوال والبحوث . وعلي هو . كما هو . لم يدركه الفكر وهو على حقيقته وواقعه . لأنه علي ! وسوف تطالعنا دراسات جديدة في علي (ع) . وأفكار حديثة فيه .

وأما أنا فأقول في علي : هو والنبي (ص) شريكان . حتى في الدعوة ونشر الاسلام وبيانه للآخرين ـ وحتى في الآلام ـ فعلي والرسول عاملان لرفع مستوى الامة فكرياً .

وعلي (ع) والنبي (ص) ـ كف الى كف ـ وساعد الى ساعد ـ وقد روي ان علياً (ع) كان يتبع الرسول حتى في مشيته اذا خرج يدعو الى الله ويعلن للدنيا انه يدعو الى الاسلام وروي ان علياً كان يحرث الارض ورسول الله يزرع النوى(١) .

فكان هو والرسول (ص) يكتسبان . رغم النبوّة والامامة .

وروي أن علياً أعتق الف عبد من كدّ يمينه (٢) .

---

(١) حديث مشهور .

(٢) هذا وغيره ذكر في صفحات وسجل حياة علي (ع) .

لماذا كان لعلي خصوم ؟

والعجب أن يكون لهذا الرجل العظيم خصوم ! وهو بهذا المستوى ! وهو سيد المواقف . في العلم والبيان ـ وحتى السياسة ـ وحتى في الحرب والعلم بها ـ وحتى في العبادة ـ ورغم هذه العظمة . كان له أعداء وحساد . وكثيرون وكانوا يقدحونه ويمسونه . ويتقولون عليه .

فالأشعث كان اذا سمع علياً (ع) يؤذن ويقول أشهد أن لا إله إلا الله فيقول كذب علي بن أبي طالب .

لماذا كان له خصوم في عصره وبعد عصره ؟ وحتى في عصرنا . وهل في علم علي أو في سياسته أو في عدالته نقطة ضعف ؟ .

وهو الذي عرف بمكارم الاخلاق وأفضل الصفات . فهو العطوف الرحيم على البائسين الجياع .

دعوته الى الاستفادة من وجوده

وكان ينادي . ويعلن قائلاً : « عندي علم المنايا والبلايا والوصايا والأنساب وفصل الخطاب ومولد الاسلام ومولد الكفر وأنا صاحب الميسم والفاروق الاكبر فسلوني عما يكون الى يوم القيامة وعما كان قبلي وعلى عهدي والى أن يعيد الله (١) » .

هذا صوت من أصوات علي (ع) العلمية وموقف من عشرات المواقف : « سلوني قبل أن تفقدوني هذا سفط العلم ، هذا مازقني

---

(١) كاشف الغطاء هادي . مستدرك نهج البلاغة ص١٨٠ .

رسول الله زقاً ولو شئت لأخبرت كل واحد منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه(١) .

وفي موقف آخر . اوفي مجلس آخر يهتف منادياً « وقال عليه السلام إن في صدري هذا لعلماً جماً علّمنيه رسول الله لو أجد له حفظة . يرعونه حق رعايته ويروونه كما يسمعونه مني اذا أودعتهم بعضه ولقد علمني ألف باب من الحلال والحرام وما كان وما هو كائن الى يوم القيامة كل باب يفتح لي ألف باب حتى علمت المنايا والوصايا وفصل الخطاب(٢) .

ويعود الى هذه القولة والى هذه الكلمة مرة أخرى . ويهتف معلناً للملأ وقال عليه السلام : « علمني رسول الله ألف باب من العلم فاستنبطت من كل باب ألف باب (٣) ».

وهذه الاصوات وهذا التكرار والهتاف فلا يجد سائلاً معقولاً .

رغم ذلك فيعود منادياً ! « وقال عليه السلام وهو يخطب سلوني قبل أن تفقدوني فانكم لا تسألون عن شيء فيما بينكم وبين الساعة ولا عن أرض مخصبة ولا عن أرض مجدبة ولا فئة تضل مائة وتهدى مائة إلا ان شئت نبأتكم بناعقها وسايقها وقائدها(٤) »

وتذهب أصوات علي أدراج الرياح فلا سامع ولا مجيب . وكأنه يكلم من لا يسمع ويخاطب من لا يعي .

ويعود علي ويعلل نفسه قائلاً :

(١) كاشف الغطاء . هادي . مستدرك نهج البلاغة ص١٨٠

(٢) نفس المصدر ص١٨٤

(٣) نفس المصدر ص١٨٦

(٤) نفس المصدر ص١٨٤

« العلماء غرباء لكثرة الجهال بينهم(١) »

ويعكس علي (ع) آلامه النفسية وآهاته وحرقاته وهو يعيش اللهيب الباطني شفقة بالجهّال من الامة حرصاً عليهم وتذوب نفس علي عليه السلام عليهم حسرات يدعوهم للعلم والأخذ منه . والسؤال له عن أمور تخص الانسانية فلا يرى الا وجوهاً قاتمة وقلوباً خشنة وصوراً مستوحشة . وهو يعيش الألم(٢) .

ولم يدرس علي دراسة نفسيّة . ليصل الباحث الى أعماق علي وخلاياه وما في نفسه من صور وجراح وآهات . وقد صرح مراراً عن آلامه وآهاته . « قال عليه السلام :

« آه آه لو اجد حملة(٣) »

ثم يهتف ويعلن . ويقسم والله لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً

(١) هادي كاشف الغطاء مستدرك نهج البلاغة ص١٨٤ .

(٢) وآلام علي (ع) النفسية كثيرة . فهو ذو قلب جريح وكلماته وتصريحاته هي تصوّر حياته النفسية وماذا في قلبه من جراحات وما في داخله من دماء فقد ارتحل علي (ع) وفي قلبه أكثر من جراح . وفي صدره خزانة علم . وفي قلبه جموع من الألم ولا يعرف جراحات علي إلا من كان له هوىً بعلي او درس علياً نفسياً . ودرس نفسية الشعب الذي عاش فيه ليدرك ماذا كان في قلب علي (ع) من جراحات وآلام اختزنها وهي التي قتلته قبل قتله .

(٣) بحر المعارف ص٤٢٣ .

وهنا نسمع قول علي (ع) ونتأمل فيه . بعد قراءته .

ما هو الغطاء المقصود له ؟

وهل كشف له ذلك الغطاء والحجاب ؟ وهل علم علي له حدود ؟

اويختلف علم علي (ع) عن علم الرسول من حيث المحدودية واللامحدودية فان علم الامام له حدود معينة وقد يقف عندها .

فعلم علي (ع) لم يصل الى درجة الكشف والاتصال بالعوالم البعيدة(١) فهو محدود من حيث الاحاطة والاستفادة مهما بلغ . فهو دون الرسالة والرسول (ص) في علمه وبطولته ودرايته والرسول أكثر واكبر وأعظم وأوسع .

ولكن علياً (ع) عظيم . ومعجزة وشخصية كثيرة الجوانب والملكات لم يدرسها الدارسون ولم يعرفها المفكرون ولم تنته الأقلام من دراستها ـ وحقاً هو ـ كما قال فيه الرسول . يا علي ما عرفك إلا الله وأنا(٢) .

واذا قلت علي حيّر أكثر من عقل وتراجع أكثر من مفكر . وقد ورد عنده (ع) قائلاً : « أنا النقطة تحت الباء »

ماذا يقصد علي بذلك ؟ ؟

وهل هو نقطة . حجماً وقالباً . وما هو ثمن النقطة عند علماء اللغة والهندسة . وما محيط النقطة بالنسبة للحروف الهجائية المختلفة حجماً وصورة وهيأة . ورسماً .

(١) وهناك طوائف تعتقد بأن علياً (ع) قد كشف له ذلك الغطاء . وأتصل وأطلع وأستمد ورأى وتوصل الى عوالم بعيدة وأخذ عنها الكثير كما يدعون ذلك ويشرحون ويقولون ويذكرون

(٢) حديث نبوي مشهور .

هل يريد علي (ع) أن يقول أنا ذلك الانسان البسيط ؟ المتواضع وانا ذلك العبد المخلوق . أنا الذي غذاني وعلمني محمد (ص) وأنا بالنسبة اليه كنسبة النقطة الى باقي الحروف . صغر بالحجم والقالب فهو علي . ولو قيس للرسول (ص) كان دونه وهو الذي كفانا عن ذلك بقوله « أنا من رسول الله » أي أنا تلميذ محمد (ص) . وأنا منه . وأنا بعض من فيضه الوافر الفياض الطاغي الذي جرى وأغرق الدنيا فهو من النبوة مأخذاً ـ أنا ـ وما عندي . علما ووعياً . كل ذلك أخذته من مدرسة محمد (ص) رغم هذه العظمة ورغم هذا الحجم ورغم هذه الطاقات التي وقف عندها العقل حائراً . فقد ضل أعظم المفكرين حائراً متردداً في عظمة هذا الكائن . الذي تصوّر بصورة انسان ويبقى حائراً متردداً في علي ولم يستطع الوصول الى أبعاد شخصيته فهو علي (ع) ! كان وكذلك اليوم وغداً . كثرت حوله الشبهات والفلسفات والتأويلات . ـ وحقاً ـ لو قال (ع) « أنا النقطة التي وسعها الجاهلون »

وفعلاً . كثرت فيه الآراء والمذاهب والمعتقدات الدينية . لانه رجل عظيم . ولعظمته اكتسب هذه الصلة والقربى للرسول وللرسالة علماً ونفساً :

وهناك حديث نبوي يبين صلة هذا الانسان بالرسول نفساً « قال الرسول (ص) ما سألت ربي شيئاً في صلاتي إلا أعطاني وما سألت لنفسي شيئاً إلا سألت لك(١) .

وأكثر من ذلك فقد صرح الرسول(ص)« ان علياً خلق من طينتي(٢) »

(١) النسائي خصائص أمير المؤمنين ص٣٨

(٢) بحر المعارف ص٣٣٥ عن العيون .

ولذلك صرّح صاحب بحر المعارف في ص٣٣٧ في كلامه في فضل علي (ع) ، وعلو شأنه على الآخرين قال : « والمتقدم بين يديه كالمتقدم بين يدي رسول الله والمتفضّل عليه كالمتفضل على رسول الله والراد عليه في صغيرة وكبيرة راد على رسول الله » .

ولعل هذه الفكرة مستقاة من قوله تعالى (أنفسنا وأنفسكم) حيث فيه دلالة على المساواة والمماثلة وإلا ففيه دليل على الافضلية لانه نفس والنفس واحدة لا تتجزأ فعلي (ع) نفس النبوّة اذاً وهو امام بعده (ص) .

ومن هذا المنطلق . نصل الى نقطة ان علياً ذو صلة بالرسول . ونتيجة ذلك أخذ واقتبس الكثير من علم النبوّة . وهو عالم هذه الأمة بعد الرسول (ص) .

الامام علي (ع) افكار علمية فوق عصره

الامام علي مدرسة . أو قل هو باب للمدرسة الاسلامية بما فيها من آراء وأفكار . ولعل قوله (ص) يشير لذلك أنا مدينة الحكمة(١) ثم جعل علياً (ع) باب هذه المدينة .

ومن هو المقصود ؟ وما هو المقصود ؟ وماذا أراد الرسول بالحكمة والحكمة عطاء ربك . ويقول تعالى يوتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب فاذا كان العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده ، فقد ملأ الله علياً عليه السلام قابليات واستعداداً ومواهباً وطاقات ونفساً واعية مطمئنة

(١) حديث نبوي قام الاجماع عليه .

عارفة أخذت وتفتحت وأثمرت . واتصلت . انه سيد العارفين حقاً . وهو العالم بكتاب الله . وأسراره ورموزه وخفاياه .

وقد أثار علماء الاصول هذا السؤال من هو أعلم بالقرآن ومن هو المقصود بأهل الذكر ؟ ؟ وللاجابة عليه وبصراحة الا أن نرجع للاجابات التي صدرت عنه (ع) والأدلة والاستنباطات القرآنية التي صدرت عنه أيام الخلفاء وهناك مجموعة من الاخبار تدل على حصر علم القرآن وأسراره في النبي (ص) أولاً والأئمة عليهم السلام .

من ذلك ما رواه الكليني عن الصادق قال انما يعلم القرآن من خوطب به وفي رواية أخرى عنه عليه السلام جاء فيها . قد أنزل الله القرآن وجعل فيه تبيان كل شيء وجعل للقرآن ولعلم القرآن أهلاً الى أن قال (ع) وهم أهل الذكر الذين أمر الله هذه الأمة بسؤالهم(١) - وقطعاً - ولا شك فيه . ان علياً (ع) . من أهل الذكر الذين عناهم القرآن وهم أهل الدراية :

وهو في طليعة الراسخين في علم القرآن وأسراره . والاحاطة به . ولذلك كان ينادي ويطلب من الآخرين ان يسأل عن القرآن وغير القرآن .

لله در ابن أبي طالب ذلك العيلم . وهو الذي كان يردد قولته المشهورة « سلوني عن طرق السموات أنا أعلم بها من طرق الأرض » أصحيح ذلك . كان يقول وهل قال أحد الخلفاء من قبل . وهل قال أحد علماء الارض ؟ وهل قالها من يدعي العلم !

فهو أعلم من غيره من علماء عصره . وحتى اليوم !

هو أعلم ما في السماء وما فيها وما بين السماء والأرض .

(١) قوانين الأصول القمي .

ولكن . ياهل ترى لو سئل ابن أبي طالب . عن المسائل العلمية الحديثة التي سمعناها وقرأناها وترددت على ألسن المعنيين بالفضاء .

والسؤال العلمي الاول . الذي بقي يتردد على ألسن علماء الدنيا هل توجد حياة في كواكب المجموعة الشمسية ؟ ؟ ومن أجاب عن ذلك . وعما يؤسف له ان علياً لم يسأل عن ذلك قطعاً . وما قرأنا وما وجدنا وما عثرنا . وما سمعنا . ان أحداً من معاصريه وحتى من أعدائه الذين يحاولون إحراج علي (ع) واستثارته بالأسئلة المؤلمة . لم يتقدم اليه بسؤال مثل هذا السؤال :

ولو سئل عن ذلك فما هو موقفه اذن . كيف وهو الذي كان ينادي « ان ههنا لعلماً جماً » فالرجل الذي ورد عنه مثل هذا التصريح ويتردد ذلك على لسانه ويصرح به امام الملأ بأنه قد حوى من العلم الكثير فلو سئل عن الفضاء الكوني وما هو فيه من كائنات حية . لأراح روّاد الفضاء من عناء السفر ومن هذه المغامرات في تسلق هذه الاجواء العليا اليوم .

ولكن القول وبصراحة . أليس له هو أن يتحدث عن هذا الفضاء الكوني . من قبل . ليكن بطل الفضاء . وبطل العلماء . وراثد الفضاء للعرب والمسلمين من قبل ؟

لماذا ؟ والجواب ان ذلك فوق عقلية العصر ـ قطعاً ـ ومايدريك . لو صدر منه ذلك لكذّبوه . وقالوا فيه أكثر مما قالوا في الرسول(ص) . هذا الساحر الكذاب ،

وهنا نقطة لقاء ومشابهة

بين علي وابن عمه المصطفى

وما ثبت للرسول (ص) ثبت لعلي (ع) وما يليق لهذا يليق للأخ وللامام الوصي كيف والثاني نفس الأول .

فهل صدر من الرسول حديث عن الكواكب وسكانها . وهل تصلح للحياة مثلاً ؟ وعلي نفس الرسول (ص) والناطق بلغته . وحامل أسراره وهذا حديث عنه (ص) « عن رسول الله يا علي ما سألت ربي شيئاً الا سألت لك مثله غير أنه قال تعالى : لا نبوة بعدك أنت خاتم النبيين . وعلي خاتم الوصيين(١) .

وهو الذي قال لتبيان صلته المباشرة بالقرآن « قال أنا النقطة تحت الباء(٢) . ويقصد باء (بسم الله الرحمن الرحيم) . ومن هنا تدرك الصلة القرآنية له والمعرفة لرموز القرآن وحروفه واشاراته وكلها عند أبي الحسين (ع) .

إذاً ما مقدار علم علي ؟ ولو كان علم علي (ع) عند غيره لما استطاع أن يحمل تلك الاسرار العلمية وقطعاً لقتله العلم وفاه بالاسرار الخطيرة وقطعاً كل عالم يتلاشى ويذوب ويتصاغر عند عظمة علي .

ويصح القول بأن علياً (ع) سر من أسرار الاسلام او حامل أسرار محمد (ص) . وهنا نقطة أخرى . ان علياً (ع) خدم الدين بأخلاص فأعطاه الله وأثابه في الدنيا قبل الآخرة . وفتح له باب العلم

---

(١) بحر المعارف ص٣١٥ .

(٢) نفس المصدر

لانه تقرب الى الله تعالى فأعطاه الله ولم يعط غيره وكساه من العظمة ما ظلت به عقول الآخرين فقد ترددت فيه عقول معاصريه وتقول أكثر من ذلك ان عقول اليوم . وكتابها ومفكريها وحتى في غد . لا تستطيع معرفة ابن أبي طالب من هو ؟ ؟ ؟

فلقد كان يعلم . علم المنايا والبلايا . وهو علم له وجوده ولم يستطع أحد الاحاطة به . إلا من أوتي نصيباً من العلم . وهو من العلوم الخطيرة التي لم يتخصص بها إلا نفر قليل من أصحاب علي (ع) . « ومن ذلك علم المنايا والبلايـــا . أي : علم الآجال وعلم الحوادث والوقائع التي يبتلى بها الناس وهذا العلم قد يأتمن عليه أبو الحسن بعض الأفذاذ من رجاله ، فنجد منه شيئاً عند : رشيد الهجري وحبيب ابن مظاهر ومحمد بن أبي بكر وأويس القرني ، وعمـار بن ياسر وعمرو بن الحمق وكميل بن زياد وأشباههم من أهل القلوب الممتحنة للايمان(١) .

ولكن العقلية الحديثة المتطورة المتفتحة اليوم قد تقول وقد قالت وسمعناها تقول هذا صحيح رواية ولكن التساؤل ماذا توصل اليـــه علي (ع) في عصره من مكتشفات وأسرار علمية كما توصل علماء اليوم الى أسرار علمية هامة خدمة للبشرية .

فقد استطاع هؤلاء العلمـــاء تحضير العناصر المختلفة والمركبات المختبرية خدمة انسانية خالدة لا تزول وبقي اسم هؤلاء العلماء يذكر والبشرية مدينة لهم بالفضل .

فقد توصل كثير منهم الى تحضير عناصر من الارض وهي موجودة

(١) المظفر محمد الحسين . في رسالته عن ميثم التمار ص٢٨ ط النجف الاشرف ـ الحيدرية .

في قشرة الأرض وهي موجودة أيضاً في المحيطات . وموجودة في الجو ونتيجة للبحث والتجارب استطاعوا تحويل التراب الى حديد او ذهب او فضة أو غير ذلك من العناصر الجديدة نتيجة لقيام العلماء بجهود علمية مختبرية بالتركيب والغليان والاختلاط والتقطير . والتأكسد . والعمليات الكيمياوية فاستحضروا عناصر أخرى بوضع مواد أخرى على غيرها . من المواد . وأدركوا وجود عناصر أخرى بعد أن كان عدد العناصر عند العلماء الاوائل محدود بكمية وموجود لا غيره .

ولكن الصعوبة بتحضيره واخراجه واستخراجه وتصفيته وصقله .

واستطاع هؤلاء العلماء ان يوجدوا عناصر جديـــدة ويركّبوا المركبات الجديدة نتيجة إيجاد المناجم المختلفة وتطور المختبرات الحديثة وظهورها بعد الأجهزة . والمحاليل . فأجروا العمليات العلمية والتجارب على الكائنات الحية ونجحوا في ذلك وخدموا الانسانية بهذه البحوث الجديدة . وأكثر من ذلك فقد استطاع فريق من العلماء تحويل هذا التراب وتصفية المعادن . وزرعوا المكروبات وبنوا المفاعلات . والافران وأدركوا وجود طاقات وقوى . أخرى قابلة للفائدة والاستفادة منها وبعد ذلك كله تمهيداً لما يلي :

نحاول القول لو أن علياً (ع) حضر اليوم . في عصر العلم والمختبرات . والمخترعات . لو حضر ماذا يقول . وماذا يكون . موقفه أمام هذه النجاحات العلمية وأمام هذه المراحل الجديدة التي قطعها العلماء في شرق الارض وغربها .

فماذا يقول علي (ع) اليوم فهل يقول « إن ههنا لعلماً جماً » وهل يأتي بجديد ؟ وماذا يصرح في عصر العلم والعلماء وفي عصر غزت المركبات الفضائية هذا الفضاء وقطعت ملايين الاميـال وحلقت .

وغزى العلماء هذه الاجواء ورجعوا وهم يحملون هدية جديدة .

بماذا رجع هؤلاء للارض وهل رجعوا بجديد ؟

أتدري ماذا جاء به هؤلاء . رجعوا وهم يحملون انها كمية من تراب القمر . ومن سطح هذا الكوكب . المظلم . الذي يكتسب نوره من الشمس . رجعوا الى أهل الأرض بعينيات . ليدرسوها .

فهل كان علي (ع) بهذا المستوى العلمي ؟ وهل كان علي يعلم بذلك ؟

وهل أخبر بما يحدث اليوم من قبل . ولو قدّر لعلي ان يعيش اليوم فهل يقول ما كان يقوله من قبل « سلوني قبل أن تفقدوني »

وهل يستطيع القول . بعد هذه النجاحات العلمية . وقطع هذه المسافات الكونية في الطبقات العليا .

ولقد قال علي من قبل ـ أنا وارث علم الأنبياء ـ وهـل يقول كذلك اليوم لأهل الارض . كما قال بالأمس ـ وهل يصرخ كذلك أنا أعلم ـ وأنا وارث علم الأولين والآخرين ـ أو يقول علمني رسول الله (صلى الله عليه وآله) ألف باب من العلم . أيقول علي كذلك اليوم أمام هذه النجاحات العلمية القاهرة . والمعاجز التي لا يدنو إليها أحد فهل يقول علي (ع) أمام هؤلاء العلماء أنا أعلم . او العالم .

وهل يستطيع علي (ع) أن يقول أو يجيب علماء الارض لو سألوه . او يعيش مع العلماء . لو قدر له ان يحشر اليوم . والعلماء هنا وهناك قد حققوا المعاجز الكونية المختلفة . واستخدموا الهواء والحرارة والبرودة واستخدموا الحديد لنقل الاصوات من هنا وهناك . وركبوا الحديد وحلقوا في أعلى الطبقات وعبروا القارات . كل هذا من فعل علماء اليوم .

فهل يستطيع علي (ع) العالم . أن يقول كلمته العلمية أمام جمهور علماء الأرض ومعالقة الفكر الانساني .

وهل يستطيع العيش في الحياة المعاصرة في مجتمع العلماء . في عصرنا ؟

وبعبارة أخرى أين علم هذا الانسان من علم هؤلاء العباقرة . في هذا العصر .

وهل علم علي (ع) يتلائم مع هذا العصر وعلماء هذا العصر قد ضربوا الامثلة القاهرة والمعاجز العلمية .

وهل علم علي يحتاجه أهل الارض في هذا العصر . او هو علم كان . ثم انتهى دوره في الحياة .

وأين علم علي من علم هؤلاء الذين غاصوا وحققوا . وتوصلوا الى أبعد الامور .

صحيح ان علياً كان عالماً .

ولكن ما هو علمه نوعاً . وما كان يعلمه هو . قد لا يقال له علماً وهو في عصر الكهرباء والذرة والمجاهر والأفكار والاسلاك وعصر التلفزة وعصر المركبات في عصر نجحت فيه الافكار والحروب الفكرية والأسلحة الكيمياوية . وعصر انتشرت فيه الاسلحة النووية وتفجير القنابل الفتاكة . والافلام لأبعد الاجرام السماوية .

هذا هو العلم . وهذه النجاحات العلمية اليوم فماذا يقال بعد هذا ؟

ونتساءل ان ما كان عند علي (ع) من أسرار علمية وما يعلمه علي من معلومات عامة هل يخدم الانسانية في هذا العصر او في مراحلها وفي ايامها المقبلة ؟ وكيف نثبت ذلك للآخرين ؟

ونتساءل مرة ثانية وبعبارة جديدة ان علم علي (ع) هـل ذو

نوعية معينة ومحدودة زمنياً وهو علم كان تحتاجه الأمة من قبل وهل كان علم علي من العلم المتناهي الذي يقف عند حد زمني . ومن نوعية معينة ـ كماً ـ وكيفاً ـ ولا يتعدى ذلك الى عصرنا . والاجيال المعاصرة والاجيال القادمة . فان الحاجات والمتطلبات كثرت وانشطرت وتفاعل الانسان وهو من حيث الحاجات والمتطلبات أحوج الى معلومات وأفكار جديدة . وما يحتاجه الانسان بالأمس يختلف عما يحتاجه اليوم وفي غد .

فما هو نوع ذلك العلم الذي حواه واحتواه علي (ع) هل يتكفل حاجات الانسان بالأمس او يتعداه الى اليوم وغد .

فهل هو علم لا متناهي ولا يقف عند زمان ومكان ولنوعية معينة من البشر ؟ .

او هو يعلم بامور عامة لا محدودة او أن علياً عنده إحاطة عامة بأمور معينة وبمسائل أحاط بها وكشف له عنها ووعاها قلبه وانطبعت في ذهنه وأخذها من معدنها وجهلها غيره ولم يدركها احد غيره .

أي هو من ذوي الدراية . وكشف له ذهنياً بواسطة او بغير واسطة .

أو هو علم لا متناهي ولا انتهاء له ولا يقف عند حد زمني يستطيع أن يواكب مسيرة هذا الانسان . فعلي (ع) بالأمس واليوم وغد ؟ وعلمه مع هذا الانسان وعلمه ذو قوة ولا يقف عند فترة . ثم يتلاشى وينقضي دوره في الحياة . أو لا حد له او زمان او جيل أو حياة او عصر او متطلبات خاصة .

إذن ما معنى قول علي « علمني رسول الله ألف باب من العلم » ا فهل هي ألف مسألة علمية ؟ .

ولماذا جعل هذا الرقم فقط ولماذا لم يقل اكثر من ذلك .

وماذا قصده بالأبواب هل هي الفنون والأنواع . او هي ألف مسألة علمية تواكب مسيرة الانسان فقد يحتاج هذا الانسان أكثر من ذلك . وأبعد من ذلك ؟

واذا كان علي ذو صلة قرآنية والقرآن . كتاب الانسانية . وكتاب جامع وكتاب كل شيء . ويقول تعالى « لا رطب ولا يابس إلا في كتابي مبين »

ويقول تعالى «ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها»

وقوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء .

وكوّن علي (ع) مدرسة قرآنية . حقاً .

وما دام القرآن كتاب علم وأنيس العلماء من قبل ومن بعد . قبل أن يكون كتاب عبادة ودعاء وهو كذلك . وبعد ذلك كله . فهل تنبأ علي عن او بظهور هذه المخترعات الحديثة .

أو قل هل ذكر في الكتاب هذه المخترعات او المكتشفات . او أشار اليها ولماذا لم يكن المسلمون هم أصحاب هذه المخترعات الحديثة ؟

وهم الذين قرأوا هذا الكتاب وفسروه من قبل وهم السباقون لذلك . ليقدموا للانسانية خير نتاج فكري .

ولما كان علي (ع) هو رجل القران وهو مع القرآن فهو أعرف به فلماذا لم يكن علي هو المخبر عنها ليأخذ الذكر الحسن ويأخذ المنزلة العليا ويحتل المنصب الأعلى في ديوان العلماء ومجلس المفكرين

واذا قلنا لعلماء الأرض اليوم ان علياً كان يقول كذا ـ لقالوا لنا ماذا ورد عن علي في هذا المجال اوفي ذلك الميدان العلمي . ليأخذ مكانه اللائق اليوم بين العلماء وبين المفكرين .

هل لعلي تراث علمي عن أجهزة الانسان وخلاياه .؟

وهل لعلي . كذا تراث أو ليس تراثه ـ روايات وأحاديث . وكلام فيه زجر وفيه كناية واستعارة وتنبيه . ويقولون علي ذهب وانتهى دوره وحيث عاش علي (ع) في زمان ونعيش نحن في زمان آخر . وبيننا وبينه زمان .

ماذا نقول لهؤلاء ؟ وبما أن علياً رجل علم كما نعتقد به اماماً نحاول اثبات ذلك ورد هذه الشبهات الواهية . التي تخيلها جيل من شباب اليوم .

ونحاول إقامة شواهد وأدلة مقبولة مقنعة للآخرين ؟

ونقول إن علياً (ع) كان رجل علم ان لم يكن أعلم المسلمين . على الاطلاق . وهو رئيس مدرسة علمية .

وإن علياً (ع) دعا الى العلم أكثر من غيره وحاول نشره ودعوته كانت الى الفكر والعلم أكثر من دعوته الى العبادة(١) .

وهذا هو نهج قرآني وهو الذي دعا اليه القرآن ونطق . فهو والقرآن في دعوة واحدة .

وارتحل علي (ع) وخلّف نتاجاً علمياً قوياً وبقي هذا النتاج تراثاً خالداً والى علي ينسب وعنه يروى ووصل الينا . ومن قرأه أدرك من هو علي (ع) .

انه الانسان المحيط . ذو القدرة العلمية اللامحدودة .

(١) هذه نماذج من كلماته (ع) في مدح العلم : قال (ع) العلوم أربعة الفقه للاديان . والطب للابدان . والنحو للسان والنجوم لمعرفة الازمان . مستدرك نهج البلاغة ص١٨٩ هادي كاشف الغطاء .

فقد تكلم علي (ع) في كل مجال علمي . ونطق بما ينفع الانسانية وأرشد طلابه الى أفضل العلوم وهو الذي كان يقول « وقال عليه السلام لا خير في علم ليس فيه تفهم ولا خير في قراءة ليس فيها تدبّر ولا خير في عبادة ليس فيها تفقه(١) .

الامام علي وعلماء الفسلجة

لو جمعنا نماذجاً من كلام علي (ع) في هذا الباب وهو . في فسلجة الانسان ـ ووظائف الاعضاء . لرأينا علياً قد أحاط به اكثر من غيره فقد قال كثيراً من أجهزة الانسان ووظيفة كل جهاز قبل ظهور المختبرات .

« ان رجلاً أتى الى علي (ع) فقال ان امرأتي هذه حامل وهي جارية حدثة وهي عذراء في تسعة أشهر ولا أعلم الا خيراً وأنا شيخ كبير ما افترعتها وأنها لعلى حالها فقال له علي (ع) انشدنك الله هل كنت تهريق(٢) على فرجها فقال علي ان لكل مخرج ثقبين ثقب يدخل فيه ماء الرجل وثقب يخرج منه البول ، وأفواه الرحم تحت الثقب الذي يدخل فيه ماء الرجل فاذا دخل الماء في فم واحد من أفواه الرحم حملت المرأة بولد واحد وإذا دخل من اثنين حملت المرأة

(١) هادي كاشف الغطاء . مستدرك نهج البلاغة ص١٦٣

(٢) تهريق . فعل مضارع وماضيه إهراق ـ ورد الفعل في لسان الحسن السبط . في وصيته لأخيه الحسين . أخي لا تهريق في أمري ملأ محجمه دماً ـ لا تجري . او لا تريق او يجرى دم في سببي او يسيل دم من أجلي .

بأثنين واذا دخل من ثلاثة حملت بثلاثة واذا دخل من أربعة حملت بأربعة وليس هناك غير ذلك(١) وقد ألحقت بك ولدها فسوغها القوابل فجاءت بغلام فعاش(٢) »

ونستمع له وهو يخطب ويتحدث عن هذا الكائن البايولجي . في عصر لم يكن ظهور لهذه الدراسات الفسلجية ولم يكن عالم تخصص في خلقة الانسان وتركيبه يقول (ع)« أم هذا الذي أنشأه في ظلمات الأرحام وشغف الاستار ، نطفة دهاقاً . وعلقة محاقاً ، وجنيناً وراضعاً ووليداً ويافعاً ثم منحه قلباً حافظاً ، ولساناً لافظاً وبصراً لاحظاً (٣) .

وهنا نعود الى القرآن لنرى مدرسة القرآن التي تأثر بها علي (ع) واقتراب منطق علي الى الآي القرآني يقول تعالى :

« ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين(٤) .

وهذا قبل ظهور الدراسات الفسلجية وقيام علماء الفسلجة بدراسة التركيب المختلف عند الانسان والحيوان .

فقد حاول علماء الفسلجة حديثاً . دراسة التركيب العجيب .

(٢) وهذه مسألة علمية أقرها العلم الحديث : وقوله ليس هناك غير ذلك . فهل كان غير ذلك ؟ وهل ولدت المرأة خمسة او ستة ؟

(٢) قرب الاسناد ص٩١ .

(٣) ابن عبده نهج البلاغة . ج١ ص١٤٠

(٤) سورة المؤمنون . وجاء شبيه ذلك في سورة الزمر آية ٦ .

لدماغ الانسان . وعند الحيوانات المختلفة كالفقريات . وعند القرود العليا . المشابهة للانسان وبعد ذلك توصلوا الى نتيجة علمية ان تركيب المخ عند الانسان وخلاياه العصبية يختلف كثيراً عن الحيوانات الاخرى

أما علي (ع) العالم فقد سبق هؤلاء في بيان هذه التراكيب . والأنسجة وهذه الاعضاء ووظائفها المختلفة . وبيان الفروق بين أنسجة الانسان وخلاياه وأدراكه وادراك الحيوان .

وهذا ما توصل اليه العلماء حديثاً بأن الحيوان يدرك الامور الجزئية والانسان يدرك الكليات (١)

علم التفسير

وقد وردت عن علي (ع) عدة تفسيرات في أكثر من آية سئل عنها فأجاب . وعليها اعتمد الفقهاء واخذوا بها . ونسبت اليه آراء في القرآن مذكورة في كتب التفسير وأخذ عنه الصحابة وغيرهم .

ونبغ في التفسير أولاً ابن عباس(٢) وغيره وأخذ ميثم وغيره . من

(١) وفرق بين عقلية الانسان وذهنية الحيوان . فالحيوان يدرك الخوف والجوع والعطش .

(٢) ابن عباس من أعلام الصحابة والمفسرين أخذ عن علي (ع) آراءه في القرآن . واذا قلنا : علي تبيان القرآن . أو هو لسان القرآن . فلأنه ذو صلة بالقرآن او هو حاول تأويل القرآن . وفرق بين قولنا : تفسير القرآن . وتقريبه الى الأذهان . وقولنا محاولة فهم القرآن وعلي حاول ذلك ملاءمة لعقلية عصره وبقي القرآن كنزاً او صندوق لم يفتح ولعلي (ع) حديثان عن =

تلامذة علي (ع) . وعلي هو الذي علم بالكتاب وعرف ظاهره وباطنه وتلقى ذلك عن الرسول (ص)

« وان ميثماً كان عالماً بالتفسير وأخذ هذا العلم عن أمير المؤمنين (عليه السلام) فما أنفس علمه وما أصدق تأويله(١) »

قال ميثم لابن عباس وقد اجتمع به في المدينة : يا بن عباس سل ما شئت من تفسير القرآن فاني قرأت تنزيله على أمير المؤمنين فعلّمني تأويله فدعا ابن عباس بدواة وقرطاس وقبل أن يكتب قال له كيف بك يابن عباس اذا رأيتني مصلوباً تاسع تسعة أقصرهم خطبة وأقربهم من المطهرة فقال ابن عباس انك لتكهن عليّ ثم رمى القرطاس فقال ميثم له . يابن عباس احفظ مني فان يك حقاً امسكه وان يك باطلاً تركته ثم ذكر له من تفسير القرآن ما وعاه من أمير المؤمنين عليه السلام(٢) .

- القرآن : وهو في دورين ومقامين مختلفين : الاول مع العامة تارة وهو مع الخاصة أمثال إبن عباس فله (ع) عدة آراء عن الآية الواحدة حسب مقتضى المقام وما يتناسب والسامع والسائل . راجع كتب التفسير تجد ما روي عنه وبها أجاب فهو في مدرسة التفسير علم من الاعلام « ومن علومه علم تفسير القرآن ومن يرجع الى الكتب الموقوفة لهذا النوع يرى ان أكثره قد نسب الى ابن عباس وليس ابن عباس غير المتعلم منه الملازم له المنقطع اليه » علي بن أبي طالب والاسلام محمود سبليني ص٧٧ .

(١) المظفر محمد الحسين رسالته عن ميثم التمار ط النجف ص٢٣

(٢) نفس المصدر ص٣٤ . نقل هذا الحديث عن رجال الكشي ص٥٤

هذه صفحة من حياة علي (ع) العلمية نحاول قراءتها . لندرك كيف كان ذلك الرجل وبأي زمان عاش انه ذو الخبرة الواسعة والعقلية العلمية المتفتحة . عرف الماضي وأشار الى المستقبل فكان يرى الابعاد البعيدة . ورؤى علي مختلفة . فقد اطلع وأخبر عما يقع ويحدث في المستقبل . وقال عن دراية وواقع .

فهو يختلف عن غيره ولا يشابهه غيره ومن هو الذي يقاس به .

وهنانقطة ثالثةيجب الوقوف عندهاطويلاً : ان الخبرة والعقلية العلمية التي كانت عند علي . وقل : تلك القدرة اللامحدودة واللا مقيدة . على الاجابة السريعة عن أي سؤال ومهما كان ذلك السؤال(١) فانه

(١) وهناك نماذج من الأسئلة التي سئل بها : ذكرها الدستري في القضاء . وابن أبي الحديد وغيره . راجع : ما لا يحضره الفقيه . وجاء في نزهة المجالس ج١ ص١٤٧ . سئل علي (ع) عن الوقوف لم كان بالجبل دون الحرم ؟ فقال : لان الحرم بيت الله والجبل بابه فلما قصدوه أوقفهم على الباب يتضرعون قيل يا أمير المؤمنين فالوقوف بالمشعر الحرام لماذا ؟ قال لانه لما أذن لهم بالدخول اليه أوقفهم على الباب الثاني - وهو المزدلفة فلما طال وقوفهم إذن لهم بذبح قربانهم بمنى فلما أن قضوا نفسهم أي قص الشارب والاظفار ونتف الابط وإزالة الأوساخ وتطهروا بها من الذنوب . اذن بالزيارة على طهارة . قيل يا أمير المؤمنين من أين حرم صيام أيام التشريق قال لان القوم زاروا ربهم فهم في ضيافته ولا يجوز للضيف أن يصوم إلا بأذن من أضافه فقيل يا أمير المؤمنين فتعلق العبد باستار الكعبة لأي معنى ؟ ؟ قال هو كرجل بينه وبين صاحبه -

قدير على الاجابة لانه يملك الجواب بما يملك من مواهب ونفس فياضة على العطاء الفكري .

هل كان ذلك مكتسباً أم كان عطاءاً ربانياً ولد بولادته الله أعطاه والهمه .

وبعبارة أكثر وضوحاً علي وما لديه من علم ومعرفة هل هي وحي وفيض نفسي وتفتح عقلي وأدراك واتصال بعالم آخر أخذ عنه ؟ أو هو رائد ومدرسة تعلّم بها وأخذ واستقى منها وتدرج وأصبح بهذا المستوى العلي الذي فاق به غيره من صحابة وعلماء . بالأمس وحتى اليوم .

واذا كان هناك رائد أخذ منه الكثير فاي رائد هو الذي أمدّ عليا فأصبح الرجل الفاضل فوق وأعلى من الآخرين .

وهو الذي تشد اليه الرحال عن كل مشكلة وسؤال ليجيب عن كل مسألة عرضت عليه في الدين وغير الدين وكان العالم الذي يقصد وهو البطل .

وهو الذي يكفينا عناء الاجابة عن ذلك فيقول عليه السلام نحن صنايع الله . والناس بعد صنايع لنا(١) .

فهم صناعة آلهية وإيحاء وغذاء الهي .

= جناية فتعلق بثوبه ليهب له جنايته .

(١) من كلام له . في بعض خطبه ـ وجاء في بحر المعارف ص٤٠٨ عن النبي (ص) . فلم يعلم الله رسوله حرفاً مما علمه إلا وعلم علياً . وجاء في بحر المعارف ص٤٢٠ عن علي قال والذي نفسي بيده لأني أعلم علم النبين وعلم ما كان وعلم ما هو كائن .

علوم المدرسة الاسلامية

واذا كان هناك مدرسة علمية إسلامية جاء بها الاسلام وأشادها ودعا الى العلم فما هو نتاج هذه المدرسة ؟

واذا كان علي رجل علم وعاش في هذه المدرسة الاسلامية وأخذ منها وتأثر بها . فما روي عنه فهو أكبر زمناً وأرفع عقلية من الزمان الذي عاشه في تلك المدرسة ونطق بها فوق عقلية أمته . قطعاً .

وقد قرأنا له في كل علم . وفي كل مسألة علمية فقد تكلم عن الفلسفة قبل ظهور الفلاسفة المسلمين وقبل أن تتطور النظريات الفلسفية والمذاهب الفكرية في المحيط الاسلامي الواسع .

الامام علي والعقلية المتفلسفة

وعلى الصعيد الفلسفي ومن خلال تأملات الفلاسفة في الكون والوجود والانسان والخلق .

سنلتقي بعلي لنسمع كلماته لنرى وراء ذلك عقلية تفلسفت قبل ظهور الفلسفة الاسلاميه . وقبل ولادة الانسان المتفلسف في البلاد العربية الاسلامية وقل : وقبل نضوج الفلسفة وقبل ذلك كله كان علي عليه السلام هو الرائد الأول الذي تحدث عن القضايا الفلسفية في خطبـــه .

علي (ع) وديكارت

وديكارت فيلسوف يمثل مدرسة خاصة في الفلسفة الحديثة وهي مدرسه الشك واليقين . وديكارت توصل بتأملاته وفلسفته الى الوصول الى وجود الله عز وجل ديكارت توصل بفلسفته الى الايمان بوجود الله تعالى وأصبح ذلك ، مسألة فلسفية .

أما علي (ع) الامام المتفلسف . في الله ووجوده وضرورة وجوده فقد رأيناه يكثر التأملات والاستبطان والرجوع الى الفكر . وتوصل الى الايمان بالله عز وجل ولكنه عليه السلام يختلف عن باقي الفلاسفة بمسلكه ومشربه الفلسفي وبرهنته على وجود إله خالق مدبر(١) .

ديكارت المشكك

يقول أولاً : « نحن نعلم إن ثمة إلهاً يدير الكون ويدبّره . وقد عرفنا وجود الله بوساطة العقل ولكن العقل كثيراً ما يؤدي بنا الى الخطأ والزلل . واذن فنشك في وجود الله وما دمنا قد شككنا في وجود الطبيعة وفي وجود الله . فقد إنهدم علمنا بأجمعه ويستمر قائلاً

(١) والفلاسفة الآلهيون نوعان : لميون . وأنيون . يأخذ بالدليل اللمي . أو الأني .
أما علي فوق ذلك لم يستدل بمخلوقات الله عليه وانما اتبع دليلاً فكرياً . أشار اليه بخطبه وأحاديثه عن واجب الوجود سبحانه وتعالى .

ولكني مهما شككت وقضيت على كل شيء عا أعلم فستبقى لي حقيقة واحدة تبقى أمام الشك الجارف وستظل ثابتة لا تميل أمام عاصفة الأفكار التي اكتسحت كل شيء بل انها ستزداد يقيناً كلما أمعنت في الشك والأفكار وتلك الحقيقة هي ان هناك ذاتاً تشك فان من الشك نفسه تتولد حقيقة لا سبيل الى الطعن في ثبوتها ويقينها هي وجود الشخص الذي يشك . نعم اني ، مهما التحمت في الشك فلن أشك في اني أشك . ولما كان الشك ضرباً من ضروب التفكير إذن فلست أستطيع في أن أفكر وبديهي انني لو لم أكن موجوداً لما شككت او فكرت .

فما دمت أفكر فانا موجود . وهكذا أوضح ديكارت قاعدة المعرفة أنا أفكر + فانا موجود .

وأتخذها قاعدة أقام عليها فلسفته برمتها . فمن وجود نفسه أثبت وجود الله ومن وجود الله أثبت وجود العالم الخارجي . فالله تعالى إذاً موجود وليس في وجوده شك .

ونرجع الى الامام علي (ع) وهو أسبق من ديكارت في هذه الفكرة الفلسفية . وقد قال أحد أساتذة الفلسفة اليوم(١) .

قال : إن من الجدير بالذكر في هذه المناسبة ان الامام علي عليه السلام سبق ديكارت في هذه النظرية بألف عام .

فقد جاء في دعاء الصباح « يا من دل على ذاته بذاته وتنزه عن مجانسة مخلوقاته » وعلق هذا الاستاذ الموسوي قائلاً : « ان المضمون الوارد في دعاء الامام هو نفس الفكرة التي نادى بها ديكارت وأقام

(١) وهو السيد الموسوي مدرس الفلسفة في النجف في كلية الفقه محاضراته ص٣٨ .

الحجة :ار الحجة لاثبات وجود الله وأصبحت نقطة انطلاق للفلسفة الاسلامية(١) .

ونحن إذا درسنا الامام علياً (ع) . لا من جهة دينية وإنما دراسته من حيث العقل العلمي . ومقارنته بالعقل العلمي المعاصر . قد نصل الى نتيجة علمية .

واذا أكثرنا القول عن الامام علي (ع) وانه علم من أعلام العلم . أو من أعلام المدرسة الاسلامية أو بطل من أبطال الشريعة الاسلامية وقرأنا الأحاديث المروية عن منزلته وهنا . نرى مستواه العلمي أمام العقل العلمي المعاصر الذي أدرك واغترف من العلوم والحقائق أكثر فأكثر إذاً نصل الى نقطة هامة وجريئة هل يعترف هذا العقل العلمي المعاصر بعلي بكونه رجل علم ؟ او يمثل المدرسة الاسلامية . وقطعاً . نقول وبموضوعية ان العالم لا يعرفه الا العالم .

وسوف نرجع للعقل العلمي وما أنتجه اليوم . ثم نرجع للامام علي عليه السلام وما ورد عنه من قبل ونحاول مقارنته بموضوعية وبتجرد وحيادية .

وقبل الدخول في البحث والمقارنة : نتساءل هل كان الأمام علي عليه السلام في أيامه ذا عقل علمي ؟ أو هو بطل سياسي لعب دوره في العصر الأول الاسلامي(٢) .

(١) محاضرات الموسوي في الفلسفة الاسلامية ص٣٨ .

(٢) راجع كتابنا الامام علي والعقلية العلمية للاجابة على سؤال ما هو تراث علي العلمي ؟ وهل ورثنا تراثاً عربياً علمياً وما هو ذلك التراث العربي ؟ وهل هو عمل إسلامي وبعقلية مسلمة وفي محيط إسلامي ؟ ؟

ويقال أيضاً ان علياً تحدث عن الكون والطبيعة والحياة ونشأة السماء والارض وفسر كثيراً من الظواهر . ومن لم يعلم بذلك فعليه مراجعة خطبة الأشباح وغيرها من خطبه (ع) وبعد ذلك يستطيع القول بأن علياً ذو عقل علمي(١)

علي ونوابغ الفكر البشري

وما أكثر هؤلاء النوابغ قديماً وحديثاً الذين خدموا البشرية من أقدم العصور . بانتاجهم الفكري في المجال التربوي والسياسي والتكنلوجي . والحقائق التي اكتشفوها او أظهروها للوجود(٢)

فالانبياء والفلاسفة والعباقرة ورجال القانون وأئمة التربية والواضعين أفضل الأفكار لراحة هذا الانسان هؤلاء الذين وجدناهم في القاموس العلمي والتربوي وحتى السياسي لو قارنا علياً معهم لرأينا علياً رغم

(١) العقل العلمي مصطلح شاع حديثاً ويقصد به العقل الذي ينصرف الى ظاهر الكون والطبيعة والى واقع الافراد محاولاً تفسير الظواهر وتعليلها بما لديه من قواعد جزئية مجتمعة لديه

(٢) وفرق بين المخترع والمكتشف : فالمخترع هو الذي يأتي بشيء غير موجود ووجوده يستند اليه . والمكتشف هو الذي يوصلنا الى موجود لم نهتد اليه . ذلك الشيء هو موجود . مثلاً الكهرباء موجود ولكن المكتشف أوصلنا اليه وحول الطاقة الكهربائية الى طاقة ضوئية فغيّر طراز معيشة الانسان وأعماله وواسطة النقل فقدم خدمة جبارة للبشرية وهو رجل خالد .

مهاغله وأتباعه لم يغفل هذا الجانب الانساني .

فلو قارنا بين علي (ع) ولقمان في الحكمة ووضع الأسس التربوية ولو قارنا بين علي وسليمان بن داود في الطموحات ومحاولة استخدام الهواء لنقل الجسم ووضع أسس التفكير الأولي البدائي لوضع واسطة لرفع هذا الجسم في الهواء وانها مسألة ليست بضرب من المستحيل ـ قطعـــاً ـ .

ولو قارنا بين علي (ع) وافلاطون في فلسفته وأفكاره . أو بين علي وفيثاغورس . أو بين علي وديكارت . أو بين علي وابن سينا . وغيرهم مما قدموه من نتاج فكري ، لوجدنا تراث علي مشحوناً بذلك من الأفكار والآراء والارشادات .

علي (ع) ولقمان الحكيم

لقمان رجل الحكمة كما يقولون . ويأخذون منه شاهداً في إرشاد الطفل ووضع أفضل الطرق أمامه لسعادته .

لقمان الذي ترجمه القرآن ترجمة تربوية وهو في الواقع حقاً : الواضع للاسس التربوية في إرشاد الطفل .

فقد ترجم القرآن لقمان ـ في سورة فهو المربي والمفكر القديم ـ هو لقمان الحكيم الذي ورد ذكره في القرآن مع وصاياه وارشاده لولده باسلوب حكاه القرآن بأكثر من فصل . وبخطـــاب « يا بني » ونقرأ لعلي وصايا أخرى تكاد تشبه وصايا لقمان وبنفس الاسلوب فقد بدأ لقمان بتوجيه ولده قبل توجيه أولاد الآخرين ولقمان أسبق من علي (ع) في نهج هذا الأسلوب الناجح .

وبهذا الاسلوب التربوي يشترك علي (ع) واخوه من قبل لقمان التربوي ـ فهو رجل تربية ـ ومن بعده جاء علي فقد وضع أسس التربية . فعلي رجل تربية قبل أن يكون إماماً دينياً أو رجلاً يسعى وراء المنصب والخلافة وما صرح به لقمان . هو نفسه نطق به علي رجل التربية .

هل قرأت نماذجاً من وصاياه لأولاده ؟ ولم يترك واحداً منهم إلا خاطبه وأرشده . على إنفراد .

أنا لا أقول ان هذا اكثر صواباً أو تركيزاً أو قوة من الآخر .

أو هذا أعلم من الآخر .

لكن كلا الرجلين البطلين سارا على خط واحـــد . في الدعوة التربوية ومقتضى ذلك فان التربية هي الدين . وهي التوجيه الفردي . ونفس المنطلق والطريق الذي بدأ به لقمان جاء وسار عليه علي (ع) فعلي ولقمان في طليعة رجال التربية . وحقاً مما قد وضعا أسسها وبدأ بتربية الاقرب فالاقرب .

وقفة حول النصوص الواردة

ورد عن علي (ع) نصوص كثيرة وتصريحات تحدّث فيها عن علمه فمن ذلك :

١ ـ جاء في بحر المعارف ص٤١٥ عن علي عليه السلام قال لابن عباس ان الله علّمنا منطق الطير كما علم سليمان بن داود ومنطق كل دابة في بر وبحر .

٢ ـ وجاء في بحر المعارف ص٤٢٠ عن بصائر الدرجات سئل

علي عن علم النبي فقال علم النبي (ص) جميع علم النبيين وعلم ما كان وعلم ما هو كائن الى يوم القيامة ثم قال والذي نفسي بيده لاني أعلم النبيين وعلم ما كان وعلم ما هو كائن فيما بيني وقيام الساعة .

٣ ـ وجاء في بحر المعارف ص٤٠٦ ورد عن الصادق في حديث طويل قال عليه السلام : إن قلوبنا غير قلوب الناس أنا مصفّون مصطفون نرى ما لا يرى الناس ونسمع ما لايسمعون . . . الخ .

٤ ـ وجاء في بحر المعارف ص٤٧٠ عن إبن عباس سئل عن علي عليه السلام فقال : انه الانزع من الشرك والبطين من العلم .

٥ ـ وجاء في بحر المعارف ص٤٧٠ عن كفاية الاثر عن الصادق عليه السلام في جواب الشيخ الذي سأله يا سيدي بعضكم أفضل من بعض قال نحن في الفضل سواء ولكن بعضنا أعلم من بعض .

٦ ـ وجاء في بحر المعارف ص٥٠٧ عن النبي (ص) : قال ياعلي أنت مني بمنزلة السمع والبصر والرأس من الجسد والروح من البدن

٧ ـ وجاء في بحر المعارف عن قرب الاسناد في جوابه للخراساني قال : سبحان الله اذا كنت لا أحسن أن أجيبك فما فضلي عليك ؟ !

إذن من هذا كله ان الامام اذا لم يكن بهذا المستوى . من العلم والمعرفة فليس هو إماماً .

فنحن بين أمور ثلاثة :

١ ـ إما أن نصدق بهذه النصوص والتصريحات ونقول هي لعلي عليه السلام وهي نصوص صحيحة وهو صادق بما قاله وروي عنه . وانه كان يملك قدرة علمية فاقت غيره قديماً وحديثاً من علماء الارض ومفكرو الامم في الاحاطة والوصول والقدرة والانكشاف والاستيعاب

والعطاء العام والتفكير بكل متطلبات الحياة وبالشؤون الانسانية وحاجات البشرية فهو عالم حقاً .

٢ ـ أو نقول هذه نصوص لا واقع لها وانها وضعت على لسانه وإنها مبالغ فيها . قيلت ونسبت للرجل وفيها مبالغة في علي وهو ليس كذلك

٣ ـ أو نأخذ طريقاً آخر او نحن أمام واقع جديد نحلل ذلك وندرس سيرة علي عليه السلام وحياته ونتاجه وما ورد عنه .

ونتساءل هل كان لعلي قدرة علمية . كالذي تحدث عنه القرآن وهو الذي أعطي علم الكتاب . وهو الذي كان مع سليمان بن داود وهو الذي استطاع ان يحضر عرش بلقيس بقدرة تفوق سرعة الصوت او أي واسطة نقل من الوسائط الحديثه اليوم .

حتى قيل . فما أحس سليمان إلا ورأى عرشها مستقراً بين يديه بأقصر وقت ولم يحتج لوقت أطول !

والتساءل هنا وبصراحة هل بلغ علي عليه السلام هذه القدرة المتناهية لو قارنا بين هذا الرجل(١) الذي تحدث عنه القرآن وبين قدرة علي عليه السلام ـ الرجل العالم ـ أيهما أكثر وأوسع وأكثر قدرة ؟ ؟ !

ونقول وبعبارة جريئة وأكثر جرأة فلو كان عنده قدرة من هذا النوع لاستخدمها في شؤون الامة أو في أموره العلمية والخاصة او لصرّح بها خدمة للبشرية جمعاء ! أو جاء بشيء من ذلك ليستعمله

(١) وإن لم يعين القرآن أسمه بالذات ولا نعلم ان هذا الرجل كان شخصية حقيقية أو رجلاً وهمياً ولكن القرآن تحدث عنه ونسب له قدرة فائقة وهناك شخصية أخري تحدث عنها القرآن في إحاطته وقدرته العلمية .

المسلمون أو يكون وقاية او دفاعاً وما هو المانع من ذلك ؟

فلو كان عند علي عليه السلام هذه القدرة ما المانع أن يجلب معاوية من الشام ويقضي عليه ويريح المسلمين وتهدأ البلاد من الفتن الداخلية . أو يستخدم هذه القدرة العلمية في وسيلة وقائية او دفاعية للمسلمين تقيهم شرور الامم الاخرى فهل كان عند علي عليه السلام من هذا النوع ؟ !

وهل ورد عنه تصريح فيه إشارة على قدرته الفائقة في هذا المجال ؟ فهل وصل علي الى ذلك المستوى في التصرف والاحضار والتغيير والفاعلية ؟ وبعد ذلك كله نرجع الى حديثنا ونتساءل ما هي حدود علم علي عليه السلام ؟

فهل كان عالماً بالقضايا الدينية فحسب ؟ أم هناك أمور أخرى هو يعلم بها وكان أعلم من غيره وأكثر من غيره إحاطة . وهو أعلم من غيره في عصره وحتى اليوم .

إذن من القول المباح . هل كان يعلم بما حواليه ؟ وما يحدث . أو ما هو في باطن الارض من ثروات وكنوز وآثار . ومعادن أو هو أبعد من ذلك وأوسع من ذلك .

فهل كان عالماً بما هو في باطن الارض من معادن ؟ وهل كان باستطاعته الاخبار عنها أو استخراجها . ولماذا لم يخبر عنها ولم يستخرجها هو ؟ وهل كان يعلم بما هو في السماء وما في هذه الاجرام وما في باطن البحار من ثروات ؟

كما استخرجها العلماء . وتوصّل اليها العلم .

أصحيح إن علياً كان يكرر من قوله : « سلوني قبل أن تفقدوني » وبماذا يسألونه ؟ ولماذا يطلب السؤال ؟ واذا لم يكن عندهم قدرة ذهنية

على السؤال العلمي .

فهو أعرف بمتطلباتهم وحاجاتهم . ولكن يقولون كان علي عليه السلام يكرر هذه القولة . وأعادها في أكثر من موقف ومقام . لماذا هذا كله ؟ ! ولكن السامعين له لا يقيمون للعالم وزناً وللعلم ثمناً . وللقضايا الجوهرية إهتماماً . كاهتمامهم بالامور الخاصة والاحداث فهم لم يرتفعوا الى مستوى فكري بحيث يسألون علياً عن السماء وعن الاجرام وعن أبعادها .

فهل سألوه عن كنوز الارض وما فيها من منابع ومعادن مختلفة ؟ وفعلاً فيها كثير من الثروات وقد جاء قوم بعد ذلك واكتشفوها واستفادوا منها وحققوا نجاحات . وثروات أخذت بالامة للأفضل(١) والارض العربية . الحجاز والعراق . فيها كنوز ومعادن فهل كان علي عليه السلام يعلم بذلك ؟ ولماذا لم يطلع الناس عليها ولماذا لم يستخرجها للافادة والاستفادة من هذه الكنوز ؟ وما أودع الله في باطن الارض من خزائن . وعلي عليه السلام من قبل كان ينادي ويعلن : « سلوني قبل أن تفقدوني » .

ولعل سائلاً يسأل وقائلاً يقول لماذا لم يخبر علي عليه السلام عن النفط هنا وهناك ؟ وأخيراً ما سألوه . وفقدوه . وجاءهم غيرهم . ولم يسمعوا غير علي عليه السلام يقول ذلك .

(١) فقد اكتشف منابع كثيرة . ففي سنة ١٩٢٢ اكتشف بئر «باباگرگر» في كركوك وكانت فكرة اكتشاف النفط موجودة من سنة ١٩٠٠م أيام عبد الحميد على أساس يمد خط برلين الى الكويت قامت الحرب العالمية والسنة التي أكتشف فيها البترول في البلاد العربية أيام السلطان عبد الحميد ١٩٠٥م

والله انها كلمة عظيمة تدل على عظمة قائلها . وما يحمل . وكان الانسب لهم أن يسألوا علياً عليه السلام بما يعود عليهم بالنفـــع والفائدة ولو سئل علي مثلاً عن درجة الحرارة في الشمس أو مساحة القمـــر .

وهل قال غيره هذه المقالة ؟ في الاخبار والقصص التاريخية يقال إن أحدهم قال ذلك ولكنه تراجع حيث سئل عن النملة التي جاء ذكرها في القران أهي ذكر أم أنثى(١) ؟ !

لكن علياً عليه السلام من قبل صوّت بذلك بجرأة . وما وراء هذا القول أي وعاء للعلم وأي إحاطة في المعرفة . انـــه سقط العلم انه علي عليه السلام !

وان كان غير علي عليه السلام يقول ذلك ولم يقل ذلك حديثاً خاصاً أو قال لواحد « سلني قبل أن تفقدني » أو قال لاثنين او قال لولده أو أحد أقاربه . انه وقف خطيباً وخاطب حشداً وحشوداً وجمعاً وجموعاً من الناس المختلفين في العقليات والنفسيات فيهم العراقي

(١) وهل يستطيع رجل الاختصاص في الكائنات الحية اليوم ان يفرق بين الذكر والانثى ؟ وهي من المسائل العلمية الدقيقة فالنملة على إختلاف أنواعها وحجومها وأشكالها لا يستطيـــع العالم أن يميز بين كائني الذكر والانثى ـ ولكن علياً عليه السلام استطاع أن يحدد علمه بقوله : أنا أحصيه . قـــل سبحان الله باريه ـ ثم يقول عليه السلام : أنا أعرف الذكر والانثى ـ حقاً ان علياً عليه السلام طاقة جبارة . ولكن لم تجد المجال المناسب لتتفجر في هـــذا العالم الواسع العالم الانساني إنها طاقة مليئة بالخير والعلم والارشاد .

وغيره وفيهم الموالي له وغيره وهو يقول سلوني .

وهنا يعلق أحدهم قائلاً : « ومن ذا يجرأ من الناس أن يقول مثل هذا الكلام وعلى المنبر وفي حشد فيه ألوف الخلق وما يؤمنه ان يسأله سائل سؤالاً لا يكون عنده جوابه فيخجله ؟ لا يجرأ على هذا القول إلا من يكون واثقاً من نفسه بأن عنده جواب لكل من يسأله

نعم إن ذلك هو علي بن أبي طالب عليه السلام الذي رفع صوته منادياً شعبه ينادي سلوني . سلوني . لانه أدرك حاجتهم للعلم والمعرفة ولانه طال عمره وأشرف على الرحيل نادى معلناً سلوني قبل الرحيل وعلي ملأ فيهم من الجاهل العنيد وفيهم العدو الشديد ! !

عظمة على فى المعرفة

نحن لا نغالي في علي عليه السلام او تحدثنا عنه . باطناب فالامام علي من عظماء هذه الامة الذين خدموا الانسانية بمعارفه الغزيرة . وهو بان من بناة مجد هذه الامة الذين بنوا مجدها حجراً حجراً وهو بطل من أبطال التاريخ العربي والذين أمدّوا التاريخ العلمي والادبي ومن تراثه ومعارفه وأدبه تكامل التاريخ فعلى أمدّ التاريخ العلمي والفكري بوجه عام . وتكامل سطراً سطراً . وحرفاً حرفاً . وهو في طليعة أولئك الاعلام الذين لعبوا دورهم في النتاج العلمي والأدبي .

فقد كتب التاريخ العربي صحائف مشرقة عن علي عليه السلام ومواهبه وقدراته وبطولاته المختلفة فهو بطل حق في عبادته ومناجاته وطقوسه وتراتيله ورجائه من ربه ! ! .

ان علياً عليه السلام عاش وارتحل وخلف تركةً عظيمة للاجيال

تتوارثها وتقرأها وتفخر بها .

وتراث علي عليه السلام الذي ينسب اليه نوعان : التراث الأدبي ومنه العلمي الذي لم يدرس(١)

فقد قرأنا خطب علي عليه السلام فوجدنا فيها كثيراً من المصطلحات العلمية . التي ظهرت في القاموس العلمي حديثاً . ولكن علياً عليه السلام تكلم بها من قبل فعلي من قبل زرع شجرة علمية لهذه الامة وأثمرت ونبّه ذهنية هذه الامة إن العلم أساس التقـــدم والرقي فدعاها للعلم .

إنني كلما فكرت في علي عليه السلام تراجعت عند عظمتـــه . وجدت علياً كل شيء . رجعت مضطرباً . ووقفت عند باب مدرسته وفي رحاب علاه ساكناً متحيراً وقد حيّر أناساً غيري وهذا هو .

إبن أبي الحديـــد . العالم الموسوعي . نجده تعثر في الطريق ويتردد في معرفة قصد علي عليه السلام ويقدم الاعتذار عن عدم معرفة

---

(١) التراث العربي الذي ورثناه ووصل الينا وتحدّر عن الآبـاء والاجداد ينقسم الى نوعين: تراث علمي وتراث أدبي . وحق ما جاء في القرآن فهو علمي وأدبي وما جاء عن علي عليـــه السلام كذلك . فهو تراث عربي . أصيل ويقال اليوم . ماذا ورثناه عن العرب ؟ وقد ورد نحن معاشر العرب لا نورث الذهب والفضة . إنما ورثنا جميل القول وبديع البيان . إننا لم نرث من آبائنا إلا الصياغة في الكلام وانشاد القول المقبول ونظم الشعر الموزون . وورثنا عن علي عليه السلام . الخطبة والرسالة . والكلمة الحلوة . والفكرة القوية . والاجابة المنطقية

كلام أبي الحسين ولا يستطيع الحكم على علي بحكم واحد . فالحكم عليه بحكم منفرد حكم لا مبرر له فهو كـل شيء . وحقاً هو جمع الاشياء والصفات .

فالقول ان علياً عليه السلام شجاع دون العلم أو هو عالم دون البطولة أو هو رجل سياسة دون العبادة والورع او الفروسيـة دون الرحمة على الآخرين . إنها أحكام لا أساس لها . فقد جمع الاضداد فهو زاهد بطل وهو عالم عسكري . وهو موجّه إجتماعي عادل ولذلك كثر فيه القول . وكثر الغلاة والكاذبون والمخطئون والمغالون . فقـد غالى فيه . قوم ورفعوه فوق مستوى البشرية الى مستويـات عاليـة . وجردوه من العبودية لله ! وغالى فيه قوم آخرون فصوّروه رجل سيف ورجلاً أحب الحروب والقتال وأكثر من هذا . قالوا فيه رجل أبـاد الناس يوم أحد وخيبر فقتل بلا تأمل وبلا حساب . ليس هكذا انه رجل رحمة لا يقتل إلا من توقف عليه إعلاء كلمة الله فالقتل هو الدواء فقتل كل رجل فتنة وفساد اجتماعي ولولا ضربات سيفه لما تراجع جيش الكفر . فهو الذي دافع عن الدين بلسانه وسنانه .

وهو والرسول شركاء في نشر هذا الدين الاسلامي . جاء في بحر المعارف ص٣٤٥ . إن حقيقة علي وحقيقة النبي (ص) واحدة »

وإن اختلف علي ومحمد في الصورة البشريـة وهـو بشر . وفوق البشرية وأي بشر ارتفع مستواه العقلي ليكون علياً في علومه وقدراته انـه علي عليه السلام !

وعلينا أن نأخذ في علي عليه السلام القول المعتدل والخط المستقيم لا نميل ذات اليسار او اليمين . انه علي (ع) !

وأرجو من عزيزي القارىء لا يفسر قولي هذا بتفسير معاكس بما أعتقده في علي عليه السلام . وأنا أصرح بعقيدتي في علي بكلمة واحـــدة .

أنا لا أرى في الوجود . غير ذات علي عليه السلام ولا في عالم العقائد فرداً عقائدياً إلا علياً . فهو الاسلام . فكرة وعقيدة . وسلوكاً فهو من الاسلام . بدأ ونما ونشأ وتكاملت شخصيته وبدأ والاسلام ونما وقوي عوده وأثبت وجوده .

وهو الفرد الذي خلق الوجود العقائدي في الوجود الاسلامي وبه خفقت راية التوحيد فوق سماء التوحيد . فهو علي عليه السلام وبه علا هذا الوجود .

وهو الفرد الذي غذّى شجرة العقيدة بدمه . وعلّم الآخرين الدفاع عن العقيدة فهو المثل في دنيا العقائد .

وهو الذي جاد وبذل كل ما لديه من قوة وطاقة في سبيل كلمة الله تعالى وتشهد له ميادين القتال وسوح الحروب وضرب أروع الأمثلة في المعارك وانهزم امامه أبطال الحجاز والعراق والشام .

فهو الذي خدم الاسلام خدمة منذ أيام صباه . وحتى كهولته وشيخوخته منذ العشرين . وحتى الستين من عمره . وهو الذي قال ولقد نهضت بها ولم أبلغ العشرين وها أنا قد ذرفت على الستين(١)

وواصل هذا الجهاد منذ أيام النبوّة وأيام المحن . ثم بدأ يخدم الاسلام بلسانه . وبيانه بعد ما خدم بسنانه من قبل(٢) . فلم يترك

(١) هذه كلمة . من خطبة الجهاد التي رواه مؤرخو الأدب . اجمع انها لعلي (ع) .

(٢) وبيان علي عليه السلام وخطبه تمثل الاسلام . والمدرسة =

نصيحة ناجحة باسلوب مؤثر إلا وسلكه أبو حسن (ع) رغم مشاغله العامة والخاصة فكان يطوف ويلاحظ ويغوص في الاوساط وضرب أروع الأمثلة في المعارك وأنهزم أمامه أبطال الحجاز والعراق والشام

فهو الذي خدم الاسلام خدمه منذ أيام صباه . وحتى كهولته وشيخوخته منذ العشرين . وحتى الستين من عمره . وهو الذي قال « ولقد نهضت بها ولم أبلغ العشرين وها أنا قد ذرفت على الستين(١) »

وواصل هذا الجهاد منذ أيام النبوّة وأيام المحن . ثم بدأ يخدم الاسلام .

أ جاء في كتاب من لايحضره الفقيه . ج٣ ص١٢٠ « كان علي بالكوفة يغتدي كل بكرة فيطوف في أسواق الكوفة سوقاً سوقاً ومعه الدرة على عاتقه . وكان لها طرفان وكانت تسمى السبيبة(٢) قال :

= الاسلامية والاسلام على واقعه . رحم الله استاذنا المظفر . سمعته يقول في إحدى محاضراته : « اذا أردنا أن نستقى العقيدة الاسلامية الصحيحة فلنأخذها من خطب علي عليه السلام ونرجع إليها ونتأمل فيها . ومن حاول الشك فيها فألحق إن هؤلاء لم يفهموها ولم يدركوها ولم يتوصلوا الى معرفة هذه الخطب » العلامة المظفر محاضراته في الفلسفة في كلية الفقه بتاريخ ١٩٦١/١١/١٩ .

(١) هذه كلمة . من خطبته الجهاد التي رواه مؤرخو الادب . إجمع . إنها لعلي عليه السلام .

(٢) من ألقاب علي صاحب الدرة . راجع نزهة المجالس للصفوري أحد علماء الشافعية ج١ ص٤ قال : دخل أعرابي المسجد فصلى صلاة خفيفة فقام اليه علي عليه السلام بالدرة وقال =

فيقف على أهل كـــل سوق فيناديهم : يا معشر التجـار قدّموا الاستخارة وتبركوا بالسهولة وأقتربوا من المبتاعين ، وتزّينوا بالحلم وتجانوا عن الظلم وانصفوا المظلومين ولا تقربوا الربا وأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين قال فيطوف في جميع أسواق الكوفة ثم يرجع فيقعد للناس » .

ب ـ وجاء في كتاب من لا يحضره الفقيه ج٣ ص١٧٢ ودخل أمير المؤمنين سوق التمارين فوجد إمرأة تبكي وهي تخاصم رجلاً تمراً فقال لها مالك ؟ فقالت يا أمير المؤمنين اشتريت من هذا تمراً بدرهم فخرج أسفله رديئاً وليس مثل هذا الذي رأيت فقال له ردّ عليها فأبى حتى قال له ثلاث مرات فأبى فعلاه بالدرة حتى رد عليها .

من هنا نعرف أن علياً جمع بين رعايته الأمة اجتماعياً ووقاها من الأفكار السامة متمادياً وراقب المتلاعبين المتطفلين على القيـــم الاجتماعية . وتدخل حتى في السوق والبيع والشراء وذكر الفقهـاء أكثر من ذلك « كان علي عليه السلام يكره أن يجلل التمر » كان يتدخل حتى في قوت العباد وحتى في الاسعار . وحتى في الموازين وحارب الاحتكار . وهو يتولى ذلك بنفسه لانه مسؤول هو أولاً . فهو رقيب إجتماعي . وهو موجه عام .

ج ـ وجاء في كتاب من لا يحضره الفقيه ج٣ ص١٢١ عن الاصبغ بن نباته قال سمعت علياً عليه السلام يقول على المنبر يا معشر التجار الفقه ثم المتجر ، الفقه ثم المتجر ، والله للربا في هذه الامة دبيب

= أعد الصلاة فأعادها مطمئناً فقال عليه السلام أهذه خير أم الاولى؟ فقال الاعرابي الأولى لأني صليتها لله والثانية صليتها خوفاً من الدرة .

أخفى من دبيب النمل على الصفا شوبوا أموالكم بالصدقة ، التاجر فاجر والفاجر في النار إلا من أخذ الحق وأعطى الحق .

هذا درس من دروس علي عليه السلام . ألقاه على العامة من الناس ، وهو يطوف بين سوق التمارين والنجار . ولنسمع اليه وهو في سوق القصابين .

د ـ جاء في كتاب من لا يحضر الفقية ج٣ ص١٢٢ مر علي (ع) على جارية قد اشترت لحماً من قصاب وهي تقول زدني فقال (ع) زدها فانه أعظم للبركة .

هذا هو علي (ع) . أبو هذه الأمة والمربي وماذا يقال عنه .

كان يقصد البائسين الجياع الى دورهم لله درّ علي (ع) ما أعظم هذه الرحمة الا تخفى عليه حاجة محتاج أو جوع أرملة في شعبه أو أنين يتيم فقد أباه رغم ذلك وهو يجوب الأسواق ويشارك الناس أحوالهم رغم ذلك . ورغم هذه المتاعب والمشاغل والمهاكل ورغم المسؤولية التي أخذت منه الوقت رأينا له نتاجاً وافراً ونتاجاً غزيراً(١) فهو الذي إستلم مقاليد الزعامة وحاول إصلاح الامة وهو المسؤول عن كل صغيرة وكبيرة في الداخل والخارج وهو الذى يدير محكمة بنفسه والمراجعات ويسمع المدعي والمدعى عليه وهو الذي يصدر الحكم والقضـاء .

---

(١) أحد المسؤولين سئل عن نتاجه الفكري : فقال لولا المسؤولية التي أخذت الوقت مني لكان نتاجي أكثر ولكان قلمي أكثر عطاءاً . ان المسؤولية تملك الوقت فماذا يقال في علي (ع) الخليفة هو عسكري وهو . . وهو !

من هو اعلم الناس من بعد رسول الله ؟

هل يقال ان علياً عليه السلام أعلم الصحابة بعد الرسول ؟ او كل الصحابة في العلم سواء .

وهل يقال ان علياً (ع) أعلم أهل زمانه في عصره أو هو أعلم المسلمين وهو المرجع . ولم يرق اليه أحد في علمه . أمس واليوم وغد ويمكن أن نترقى الى أبعد من ذلك .

في السؤال والاجابة والبرهان ونقول :

إن علياً عليه السلام حوى علوم الأولين والآخرين . وهو أعلم زمانه وفي كل زمان وهو كذلك . وهو مرجع العلماء . لم يتوصل عالم من علماء الدنيا الى مستواه وخبراته ومقدراته .

أصحيح ذلك أو هذا قول فيه تطرف ومبالغة والدراسة العلمية . شرطها أن تكون مجردة عن كل تحيّز وتطرف !

وقبل الدخول في الحديث

اذا كان علي عليه السلام وارث النبي والنبي وارث علوم الانبياء . وإذاً كان علي (ع) يعلم بجميع ما كان يعلم به النبي وهما في العلم سواء . غير أن النبي (ص) كان علمه فيض ووحي ومن الله بوحي والهام وعلم علي (ع) مأخذه من النبوّة . وقد رجح على غيره باعتراف الآخرين(١) وعلم علي عليه السلام يغاير علم الصحابة من حيث الاحاطة

(١) هذه رواية عن ابن عباس قال علم رسول من علم الله وعلم =

وما علمه علي (ع) وأخذه وتلقاه من وحي الرسول كان أوسع وأكثر مما أخذه الصحابة ـ قطعاً ـ وهم يعترفون ويشهدون له بذلك ـ

وتعليم النبي (ص) له كان يغاير سائر أصحاب النبي (ص) وعلم علي (ع) الذي تلقاه وأخذه عنه لا يقتصر على السماع فحسب وإنما بعمليات مختلفة(١) .

إذن هل يصح القول إن علياً عليه السلام أعلم المسلمين بعد الرسول (ص) أو هو الأعلم بعد محمد مباشرة . إذاً قد تطالبني بالبرهان . ولكن اذا قلت إن علياً (ع) جمع علوم الأوائل والأواخر وفاق غيره ورجع اليه غيره ولم يرجع الى غيره وهو أعلم عصره . إذاً هنا نحتاج لاكثر من برهان .

ولكن نتساءل هل يوجد عالم في عصرنا هذا أو في العصور القادمة أن يكون رجلاً عالماً يدعي انه أعلم العلماء ؟ هل ولد هذا الفرد او سوف يولد ليكون كذلك ؟

ومن هو أعلم العلماء أجمع ؟ ومن هو الذي جمع علم الأوائل والأواخر ؟ومن هو الذي فاق أكثر العلماء في الاحاطة والنتاج العلمي ؟ من هو ذلك الانسان اليوم وأمس من هو الذي له في كل علم . إثرة

= علي (ع) من علم النبي (ص) . وعلمي من علم علي . وما علي وعلم أصحاب محمد (ص) في علم علي (ع) إلا كقطرة من سبعة أبحر .

(١) هذا قول للرسول . هاك فاسمع هذه الشهادة في حق هذا العالم . ماذا يقول الرسول فيه ؟ علي خازن علمي علي عيبة علمي ويقول له ليهنك العلم أبا الحسن (ع) فقد شربت العلم شرباً ونهلته نهلاً .

مشهورة من هو وهل يوجد أعلم العلماء في الأرض وللاجابة على هذا السؤال .

يستدعينا القول بالتخصص في الحقل الخاص والموضوع الواحد . فيكون السؤال . بهذا الشكل .

أ ـ من هو الأعلم بالرياضيات من غيره ولم يستطع غيره الوصول اليـــه ؟

ب ـ ومن هو الأعلم بالفقه والذي فاق الأوائل والأواخر ؟ لنقطع بالأجابة انه أعلم الناس في عصره ومن هو أعلم الأولين والآخرين في هذا الموضوع بالذات ؟

فلا نستطيع الاجابة على هذا السؤال قطعاً . فقد يلد الزمان رجلاً هو أعلم من سابقيه .

فأرسطو كان أعلم أهل عصره وافلاطون وابن سينا والخوارزمي وغيرهم كل واحد أعلم أهل عصره في حقل إختصاصه . ولكن لا نستطيع القول ان افلاطون أعلم الناس في عصره وفي هذا العصر ما هو البرهان والدليل على ذلك ؟ ولكن من الزاوية الدينيـــة . ـ عقائدياً ـ نستطيع القول إن الانبياء أعلم من غيرهم . وقد يقال إن الانبياء كانوا علماء عصرهم فقط . ليس في كل العصور .

فكيف . وقد جاء أنبياء متعاقبون ومختلفون في الشرايع والبراهين والمعاجز . وأحدهم أوسع وأكثر إحاطة من الآخر فليس بينهم تساوي في الفضل والفضيلة . قطعاً . فهم درجات .

فكيف وقد جاء من بعدهم علماء وخطوا خطوات جديدة وظاهر علماء في مجالات واخترعوا واكتشفوا والانبياء لم يكونوا يعلمون بهذه الحقائق العلمية فلانستطيع القول إن كل نبي مساو للآخر في علمه . قطعاً

غير متساوين بالاحاطة ولا نستطيع القول إن النبي الفلاني أعلم أهل عصره والعصور الأخرى ولا يدركه المتأخرون في العلم ! كيف يعرف الأعلم وكيف يميز أعلم الأوائل والأواخر والذي لا يدركه المتأخرون في العلم . ان مثل هذه الدعوى تحتاج الى عناء وتكلف ـ ودراسة ـ ودراسة علماء العصور السابقة . ودراسة المستويات العلمية للعلماء الاعلام في كل عصر وبعد ذلك نستطيع القول ان هذا العالم . هو أعلم من تقدّم ومن تأخر او هذا الامام علي . او غير علي (ع) . هو العالم الأوحد . وهو الذي فاق المتأخرين والمتقدمين وأهل زمانه ولا يقاس عليه أحد من العلماء الآخرين وهو النموذج الفرد الواحد الأحد وبطل العلم . وهو ليس له ندٌ . او شبيه . ومن يستطيـــع الوصول لذلك . ؟ !

حدود علم الامام ومقدار معلوماته

هل كان يعلم بكل مايحدث ويتوصل اليه العقل ؟ إذن من هذا نتساءل وهل كان يعلم بالذرة والعلوم الذرية وهل كان يعلم بالطاقة الكهربائية لماذا لم يكتشفها الامام خدمة للانسانية وللبشرية جمعاء ؟

ولو كان يعلم بذلك الامام لصرّح به ولماذا لم يصرح به ثم جاء غيره من بعد سنين .

مثلاً : جاء العالم أديسن . واكتشفها وأخذ هذه الشهرة العالمية الخالدة . وهل كان عند الامام علي (ع) ذوق علمي عام في كل المجالات أو في مجال العلوم الفرعية فحسب .

إذن نتساءل . هل شجّع علي (ع) صناعةً معينة . كصناعة

الأسلحة . مثلاً كيف وكان عصره هو عصر حروب وهو رئيس جيش ومسؤول عن قوة عسكره وعن عتاده وسلاحه فلماذا لم يشجّع جنده أو يشجع الآخرين وهي مسألة علمية . أباحها الشرع .

وبعد هذه الخطوات نصل الى نتيجة يمكن القول إن علياً (ع) فاق الصحابة في المدركات الشرعية وعرف عمق الشريعة ولذلك رجعوا اليه واحتاجوه في الامور المستحدثة بعد الرسول (ص) . وشاعت في الأمة بعده .

الامام علي (ع) ومدرسة البيان العربي

وهي مدرسة تحمل جمال العبارة وروعة الاسلوب والقدرة على الصياغة . لا تكلف فيها ولا دخيل وجدنا هذه المدرسة العربية في كلام علي (ع) وهي فرع من مدرسة القرآن . والقرآن بيان ساحر واعجاز قاهر وسيبقى معجزة كما كان من قبل .

فقد أعجز الآباء وعجزت عنه أجيال ولا يزال كذلك . وقد وجدنا في القرآن التشبيه في أكثر من آية .

وقد وجدنا هذا الاستعمال في كلام علي (ع) . وقبل دراسة هذا الفن في القرآن . وفي كلام علي (ع) علينا أن نقدم بين يديك هذه النصوص الواردة عنه (ع) لندرس التشبيه في مدرسة علي البيانية .

فقد استعمل التشبيه للتوضيح وإيصال المعاني لذهن الآخرين . وتارة يقصد به الذم .

وحيث أن اكثر سامعيه . هم عرب ومن حملة الكتاب . فالتشبيه

فن بلاغي مألوف . أكثر علي عليه السلام من التشبيه في كلامه .

وحيث أن هذا الفن شايع في لسان العرب . فقد خاطبهم القرآن بما هو مألوف عندهم . وعلي والقرآن في مسار واحد . وفي لغة واحدة فتأثر علي (ع) بلغة القرآن وبأسلوبه . فغبّه لسامعيه . الأمر العقلي بالمحسوس المألوف .

وهذه نماذج ومقتطفات من كلماته . بين يديك لتدرس التشبيه في مدرسة الامام علي عليه السلام .

ودراسة هذه النصوص الواردة في خطبه ورسائله . تتوقف على الذوق العربي والقدرة البلاغية .

وبعدها ندرك الصله بين مدرسة علي عليه السلام البلاغية ومدرسة القرآن وان علياً حتى في التشبيه تأثر بالقرآن . قوله :

فصاحبها كراكب الصعبة ان اسلس لها تقحم وان اشنق لها خرم .

شرح وإيضاح :

يريد عليه السلام أن صاحب الخلافة كراكب الناقة الصعبة والظهر الذي لا ينقاد لصاحبه وفي ذلك خطورة وأتعاب ووجه الشبه هو الصعوبة والخطورة والاتعاب .

فراكب الصعبة محفوف ومحاط بالمخاطر لا يدري متى ترمي به فتوقعه في حفرة او بئر او تقذفه في هوة اذ ليس بسهل على راكبها لانه ارتقى مرقاة صعبة وصاحب الخلافة الذي لا يستطيع إدارة أمور العامة وتدبير شؤونها وسياسة الامة فالخلافة منزلة ومسؤولية كبرى .

فشبّه عليه السلام : الخليفة بالراكب للصعبة وشبّه الخلافة بالصعبة . ووجه الشبه كل منها فيه خطر ومخوف به وهو بحاجة الى الاحتفاظ والحذر والسيطرة لادارة الامور وتصيير ما هو بيده ولا يميل عن الطريق المستقيم . ويشترط فيه أن يكون ذا قدرة على ادارة هذا المنصب إذا كان أهلاً له .

وفي هذا النص الذي يروى عنه عليه السلام مناسبة أخرى وصلة بالمحيط الذي كان يعيش فيه الامام وهو المحيط العربي .

فان الانسان البدوي العربي لا يعرف إلا الناقة واسطة له . وهو بين القدرة وعدمها . أما أن يرخي أو يشدد . فكيف اذا كان الراكب جديداً ولم يتدرب من قبل .

ان مثل الدنيا كمثل الحية لين مسها قاتل سمها

والحق كذلك . فان الامام علي عليه السلام في مقام ذم الحياة الدنيا ليحذر هذا الانسان من الاندفاع من أجلها وليحذر المهالك وليكن على حذر لئلا توردة المهالك فشبّه الدنيا بالحيّة .

كأنما يساقون الى الموت

شبّه عليه السلام حثهم الى الجهاد ودعوتهم الى النهوض ودفعهم الى القتال لحماية أنفسهم . شبه هؤلاء من حيث العصيان والتراجع . بالشخص الآخر الذي يدعى الى الموت .

ووجه الشبه هو عدم الرغبة وعدم الطواعية والخوف والتمانع

وعدم الاستجابة والطاعة او محاولة الانهزام وعدم السير نحو الجهة المقصودة .

الا ان مثل آل محمد (ص) كمثل النجوم

وقصد عليه السلام الهداية كما أن النجوم يهتدى بها . وهذا هو الموجود في القرآن بقوله تعالى : وبالنجم هم يهتدون به وهي علامات لمن أراد السير والدلالة ومعرفة الجهة المقصودة . فكذلك آل محمد (ص) فأنهم هداية أهل الأرض الى الحق والصواب .

وفي الأرض يهتدى بهم الى الحق وبهم عرف الحق .

يخضمون مال الله خضمة الأبل نبتة الربيع

شبّه مؤلاء بأكلهم أموال الله بلا ورع وباندفاع ورغبة كالأبل الجائعة التي تخضم نبتة الربيع لا مانع يمنعها ولا رادع يردعها . من أكل هذا النبات في هذه الارض الفسيحة كذلك هؤلاء لا عصمة تمنعهم من أكل مال الله .

جرجرتم جرجرة الجمل الأسر وثاقلتم تثاقل النظو الادبر(١)

شبّه أهل الكوفة . او قصد مجموعة من الرجال بهذا الحيوان .

(١) ابن عبده نهج البلاغة ج١ ص٩٢ .

ـ بالجمل الأسر ـ او بالنضو ـ وهو الحيوان المتعب . والجرجرة يرد صوته في حنجرته . شبّه هؤلاء بالحيوان عند دعوتهم للجهاد . والأدبر الذي فيه دبرة فينثاقل من المشي ويدفعه صاحبه بالقسر والقوة وبالجبر وهو لا يطاوعه .

ويقصد عليه السلام ان الجمل الأسرّ (١) الذي يرد صوته في حنجرته اذا لم يستطع إخراج صوته فأهل الكوفة كانوا كذلك !

وعندما يدعوهم عليه السلام . تختنق أصواتهم في حناجرهم وهو يدعوهم ويكرر الدعوة للخروج والدفاع عن الوطن فيتهامسون بالخفاء ويكثر الهمس بينهم فلم يعلم منهم شيئاً هل هو الرفض او القبول او العصيان او الطاعة او القبول ؟ فتبقى أصواتهم محتنقة في حناجرهم بعدم الصراحة منهم وعدم فهم مقصودهم ولم يظهر منهم . نعم أو لا او السكوت او الكلام بوضوح فهم يشبهون هذا الحيوان إذا جرجر بصوته .

قوله (ع) : فتداكوا علي تداك الابل الهيم يوم ورودها قد ارسلها راعيها

شبّه عليه السلام المجموع من هؤلاء المتدفعين لبيعته بالأبل الهيم الضامئة يوم ورودها . لما في هؤلاء من الرغبة والدافع الذي يدفعها الى حصول مقصدها وإرواء ضمئها والشوق للغاية .

(١) والاسرّ المصاب بداء السرر وهو مرض ينشاء من الدبرة والنضو المهزول من الأبـــل الادبر المدبور : أي المجروح المصاب بالدبرة بالتحريك وهو القمر والجرح من القتب ونحوه

ان تحلي منها محل القطب من الرحا

كما ان القطب محور الرحا الذي تدور عليه ولولاه لا تحصل إستدارة . او استدارة غير مفيدة ولا نافعة فهو الذي تدور بـه رحى هذه الأمة وهو كذلك .

وانا من رسول الله كالصنو من الصنو

ومراده وقصده عليه السلام أنا من النبي كالنخلة المتفرعة وفرعها يقصد به الصنوان . او الفسيل ولكنه أراد عليه السلام أنـا وحمد أخوان من أصل واحد . فالمشبه علي وحمد كلاهما . والمشبه بـــه النخلة ذات الفرع .

فاعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب ان يعطيك الله من عفوه وصفحه .

وهذا كلامه عليه السلام مع عامله مالك الأشتر حين ولاه مصر ومقصده يجب أن تكون أعمالك مطابقه للعدل كما انك تنظر للناس الذين خالفوا العدل فنظرة بنظرة . يجب أن تنظر نفسك بتلك العين التي كنت تنظر بها للوالي أي أن النقد الذي كنت توجهه للوالي من قبل اذا خالف العدل يجب أن توجهه لنفسك اذا خالفت العدل .

ثم قال عليه السلام في حديث آخر له :

« كأنكم نعم أراح بها سائم الى مرعى وبيّ ومشرب دوي وانما هي كالمعلوفة للمدى لا تعرف ماذا يراد بها اذا أحسن اليها تحسب يومها دهرها وشبعها أمرها » .

شبههم بالنعم التي تتبع نعماً أخرى سائمة أي راعية وإنما قال ذلك لأنها اذا أتبعت أمثالها كان أبلغ في ضرب المثل بجهلها من الأبل التي يسمها راعيها .

والمرعى الوبي : ذو الوباء والمرض . والمشرب الدوي ذو الداء وأصل الوبيُ اللين الوبيء المهموز ولكنه ليّنه . يقال أرض وبيئة على فعيلة ووبئة على فعلة ويجوز أو يأت فهي موبئة . والأصل في الدُوي ودوٍ بالتخفيف ولكنه شدّده للازدواج ثم ذكر إن هذه النعم الجاهلة التي أوقعت أنفسها في هذا المرتع والمشرب المذمومين كالنعم وغيرها من النعم المعلوفة للمدى «جمع مدية» وهي السكين لا تعرف ماذا يراد بها . وتظن ان ذلك العلف إحسان اليها على الحقيقة . ومعنى قوله « تحسب يومها دهرها » أي تظن أن ذلك العلف والاطعام كما هو حاصل لها ذلك اليوم يكون حاصلاً لها أبداً .

وقوله عليه السلام . وشبعها أمرها « مثل ذلك » أي تظن انه ليس أمرها وشأنها إلا أن يطعمها أربابها لتشبع وتحسن وتسمن ، ليس يريدون بها غير ذلك(١) .

وبعد هذه الجولة القصيرة حول هذا النص . وهذه القطعة .

ما هو التشبيه المقصود للامام ؟ كأنكم نعم . يقول ذلك وهو

(١) نهج البلاغة ابن أبي الحديد ط دار إحياء الكتب العربية ص١١ ج١٠ .

يخاطب مستمعيه . من بني الانسان فهل هذا ذم ؟ او هو الواقع .

وعلي عليه السلام هو السيد للمدرسة الواقعية يقول صدقاً وينطق حقاً .

وهل يتناسب مع الانسان الذي كرّمه القرآن ؟ والدعوة الاسلامية إنما جاءت لاثبات الكرامة لهذا الانسان ليعيش كريماً في حياته .

هل يتناسب ذلك مع الانسان ؟ والاجابة : المقصود فيه نوعية خاصة من البشر . وهو من قوله تعالى « فهم كالأنعام »

« حتى لا يبقى منكم إلا القليل كالكحل في العين »

ووجه الشبه هو القليل المحسوس وهو الذي يدرك بالبصر وهو القلة . والبقية .

الرائح الى الله كالضمآن يرد الماء

ووجه الشبه معنوي يدرك بالعقل . والمقصود ان نفسية هذا الرائح فيها دافع وشوق . والرائح . والضمآن ـ كل منهما له غاية يحاول الوصول والبلوغ اليها وكل منهما له مطلب معين له . فالرائح الى الله يجد الثواب أمامه وحسن المقام وهو القصد والغاية . والضمآن الذي يفتش عن الماء واذا عثر عليه فهو الغاية . وهو يفتش عليه ليرتوي به ويزيل عطشه ويطفيء لهيبه .

الثائر في دمائنا كالحاكم في حق نفسه . وهو الله

ووجه الشبه هنا مفرد بمفرد . فالحاكم الذي يثور ليحقق العدل

في الأرض . وهو الواحد ـ وهو الله ـ الذي لا عدل كعدله . ولا حلم كحلمه سبحانه وتعالى .

ووجه الشبه معنوي . عدل الثائر وعدل الحاكم في حق نفسه ولا يمكن أن يكون حسّياً . تعالى الله أن يقاس بخلقه أو يوصف بصفات عباده !

الا وان مثل آل محمد كمثل النجوم اذا هوى نجم طلع نجم .

ويمكن أن يكون التشبيه حسيّاً أو معنوياً . فالتشبيه معنوي يدرك بالعقل وهو الهداية والرشد للضال .

او شبه هذه المجموعة بالأخرى . وشبه هذه الكمية من آل محمد بالمجموعة النجمية المقصودة . ويمكن أن يكون التشبيه حسياً أن آل محمد (ص) يدركون بالحس والنجوم أجسام نورية تدرك بالحس . وماذا قصد علي (ع) هل هو التشبيه الحسي أو المعنوي ؟ !

المنجم كالكاهن والكاهن كالساحر والساحر كالكافر والكافر في النار

وهو تشبيه بسيط واضح يدرك وهو تشبيه مفرد بمفرد . هذا يشبه هذه في سلوكه ولغته وضلالته وتصرفاته .

اما ان له امرة كلعقة الكلب انفه

والتشبيه مفرد بمفرد والمقصود بهذا الذم هو مروان . ويقصد خلافته من حيث قصر المدة التي يحكم فيها وتحقق ذلك كما قال عليه السلام . فشبّه المدة القصيرة بالمدة القصيرة الأخرى وشبه هذا بالكلب . او شبه هذا الفعل المحدود الذي لا يطول ولا يستوعب زمناً في حدوثه وفي الفاعل الاول والثاني تصرف متشابه . وهو حالة موجودة في المشبه والمشبه به . ووجه الشبه يدرك بالفطرة السليمة وبالذوق العربي بلا تكلف ولا إطالة تأمل .

زانجحر انجحار الضبة فى جحرها والضبع فى وجارها .

والمقصود له عليه السلام هو الجبان الذي فرّ من الحرب وتأخر عن الخروج مع الجيش شبه هذا الفار . بالحيوان . وشبهه مرتين بالضب والضبع فكأنه عليه السلام . أراد أن يقول ان هذا الفار الجبان يشبه هذا الحيوان ويشبه هذا الحيوان الآخر يشبه الضبة ويشبه الضبع اذا رجعت الى وجارها وآوت اليه ولازمت جحرها فلا تخرج منه . بالقوة والمطاوعة فهو شبيه بالحيوان الذي لا يدرك وبالحيوان الذي رقد في جحره وهذا غاية الذم .

ويجتنى الثمرة لغير وقت ابتياعها كالزارع بغير ارضه .

تشبيه المجتني بالزارع . وهو تشبيه مفرد بمفرد ووجه الشبه هو عدم الفائدة من العمل . فالمجتني الذي أدخر الثمرة لغير وقت بيعها قطعاً لا يستحصل على الفائدة المقصودة والغاية المطلوبة له لأنه عمل بلا فائدة وكذلك الزارع بغير أرضه لأن الأرض لها مالك وهو أولى بها فهو يزرع وينتجه لغيره لأنه أولى بها وهذا قد تصرّف وزرع في أرض ليست له ولا يملكها ويزرع ويعطي لمالك الأرض .

فأراد أن يقول عليه السلام إن هذا العمل بغير ثمرة ولا فائدة يشبه عمل الآخر الذي لا يحقق فائدة له .

والله لا اكون كالضبع تنام على طول اللدم

أراد عليه السلام أن يترفع عن الركود والسكون وعدم الاحساس بالآلام وما يدور في مجتمعه وشعبه ولا يصد ولا يتفاعل مع التيارات الوافدة ومع الأفكار الرائجة ولا يرد على المنبهات ولا يلعب دوراً بما يصل اليه من قال وقيل . أو يصل الى سمعه من أنباء ودعايات . أو انذار من خصمه بالشر والحرب .

فيقول عليه السلام أنا لست بالانسان الراكد او النائم أنا رجل وعي ولست براقد او يغض نظره ولا يستجيب على ما يدور ويحدث حوله من حوادث .

فهو تشبيه مفرد بمفرد وحالة بحالة من حيث حالة هذا تشبه حالة الآخر . ومن حيث الركود والسكون والبقاء والخمول والانطواء ويريد ان يقول الذي يقوم بالمنصب ويجلس على قمة هذا العرش أن لا يكون شخصية مغلقة لا تمارس فعالياتها !

كاني بك يا كوفة تمدين مد الاديم العكاظي

شبّه علي (ع) الكوفة ـ وهي المدينة ـ أو الارض الحمراء ـ او البقعة المستديرة من حيث الاتساع وكثرة البناء فيها بالجلد الذي يتسع ويستطيل . والاديم العكاظي هو الذي يباع في سوق عكاظ وهو تشبيه مفرد بمفرد ووجه الشبه هو الامتداد والاتساع والاستطالة

وقال عليه السلام ذلك وتحقق ذلك كما قال فامتدت الكوفة واتسع البناء وقارب«ذي قار» أصبحت الكوفة العراق وهي كذلك .

كاني انظر الى مسجدها كجؤجؤ سفينة او نعامة جاثمة .

ويقصد (ع) ان مسجد البصرة بعد الفيضان الذي سيحدث او سوف يحدث . فان مسجدها يشبه صدر السفينة التي رست كلها في الماء وبقي صدرها مرتفعاً ومشاهداً .

وهو يشبه النعامة الجاثمة التي يشاهد سنامها او ظهرها من بعد فهو تشبيه مفرد بمفرد ووجه الشبه إنما هو محسوس بمحسوس وهو

المسجد وصدر السفينة او النعامة الجاثمة . ولكن القول أن هـذا الذي قاله (ع) وقع او هو لم يقع ؟

اريد ان اداوي بكم وأنتم دائي كنا قش الشوكة بالشوكة .

يقول (ع) وهو في معرض الذم لأهل الكوفة . ويوجه ذمه الى العصاة الانهزاميين والى من لا يطاوعه ولا يستجيب لما يريده له أو دعاه اليه فلا يأخذ بقول القائد الناصح . هكذا كان يقول وهنا . له (ع) قصد آخر ان الشوكة يستفاد بها لقضاء حاجة المستخدم لها لغرضه لا يضرب بها شوكة مثلها ويريد ان الشوكة تستخرج عند الحاجة .

وهذا تصريح منه (ع) بألمه . الذي كان يعيشه وهو ألم فوق ألم نتيجة ما كان يعانيه من جيشه والامة التي عاش بينها وهم أهـل الكوفة ا ومشائخ القطر وغيرهم وهو يريد أن يصول بهم ويدافع بهم او يدفع بهم واذا هو يقي شرهم وهم يعاملونه بأساءة ويذيقونه أشد الآلام النفسية وليس له إلا التصريح بها للتنفيس عن آلامه وما هو إلا نفس واحساس وما علي (ع) إلا بشر يتألم وكيف لايتألم ولا يتأثر وهل ابتلي انسان كعلي (ع) ؟

وهل تأثر انسان مثل علي ؟ وهو الانسان الصبور الذي يريد الخير ويدعو الى الخير لأمته ولا يطاع في دعوته ا

وفي هذا دلالة واضحة على آلامه الخفية ويكشف عصيان ذلك

الشعب وتمردهم عليه وماذا يصنع ؟ وهذا التشبية يراد به الذم وهو تشبيه مفرد بمفرد وهو أما حسي او معنوي .

الشاذ من الناس للشيطان كما ان الشاذ من الغنم للذئب .

وهذا النوع من التشبيه للذم ويقصد (ع) فيه الخارج على قومه والداعي الى تفريق الصف الواحد ولا يتلائم مع مجموع الامة فهو شبيه بالشاة التي تشذ عن القطيع وتنفرد عنه في طريقها وفي مشيها وهي اذاً معرضـة للمخاطر والى سطوة الحيوان المفترس الفاتك كذلك هذا الفرد الذي خرج على أمته وشذ عنها ولم يلتحق بصفوفها هو معرّض للمخاطر وبعد ذلك لا يستطيع الدفاع عن نفسه لانه فرد واحد اذا هو تابع للشيطان وأصبح عبداً له وعبداً لهواه والشيطان هو الذي سيطر عليه وأفرده وأخذه عن قومه وهو لو أنظم الى المجموع والى قومه الذين يشكلون قوة تستطيع أن تدافع عن نفسها بقوتها وبأعضائها والامة التي لا تستطيع ان تدافع عن وجودها هي أمـة ميتة ـ حقاً ـ .

وهذا تشبيه مفرد بمفرد . وهو من النوع الحسي . كأنه يقول عليه السلام هذا يشبه هذا بحاله وانفراده وإطاعته لغيره وهذه الحالة وهي الانفراد والشذوذ ـ تشبه حالة الآخر وما يؤول اليه هذا ـ كذلك الآخر ـ يقع فيه . لانه كذلك :

فتن كقطع الليل المظلم

شبه هذه الصورة القاتمة السوداء بالصورة الأخرى نتيجة الكوارث والحوادث المتعاقبة على دنيا المسلمين وهي تشبه الليل اذا سجى واذا ارتدى الثياب السوداء وخيّمت عليه بلونها الأسود وبثوبها الحزين وأصبحت الدنيا كذلك .

فهو تشبيه حسي بحسي او يكون معنوي أي يقصد (ع) شدة الامور وتدهورها وانهيار الوضع العام .

ها انتم الا كابل ظل رعاتها فكلما جمعت من جانب انتشرت من آخر .

شبّه هذه المجموعة المتبعثرة هنا وهناك والمتفرقة في اعدادها والتي سيطرت عليها أهواؤها ورغباتها وتحكمت بهم رجال لا يهتدون الطريق . لا قدرة لهم ولا حنكة ولا كفاءة يستطيعون القيام بالمسؤولية الكبرى فهم شبيهون أو هم يشبهون ابلاً تائهة في صحراء ورعاتها لا يهتدون الطريق وطبيعة الابل لا تهتدي طريقها الا برعاتها فاذا كان راعيها ضالاً طريقه فمال حال هذه الأبل ! وهي حيوانات سائمة تسير على غير هدى .

ويقصد (ع) بهذا التشبيه هو الذم لهؤلاء الذين لا يطيعون ولا يسمعون ولا يأتمرون ولا يستجيبون له وأخذوا برأي غيره فهم كثرة بلا قائد يهديهم او حاكم عادل يوصلهم طريق العدالة فهم

تابعون عشوائياً فقدوا البصيرة والبصر والهدي فحقاً هم يشبهون الابل الضالة . ونفس هؤلاء يسيرون كما تسير هذه الابل الى ما لا نهاية له ولا غاية معينة لهم وما بعد ذلك !

اما انتم كالمراة الحامل

وهذا نهاية في الذم شبّه هذا الشعب بالمرأة تشبيه صورة بصورة ووجه الشبه هو حرمانهم من الثمرة وعدم حصول الغاية فان المرأة الحامل التي لاقت الشدائد أيام الحمل فلم تحقق غايتها وحيث قاربت أيام ولادتها أسقطت حملها وأنتم من حيث الحالة والوضع العام كذلك بعد الصبر والمرابطة وبعد مفارقة الأهل ومقابلة العدد وبعد كل هذا وبعد هذه المدة كلها وعند قرب النصر وأوشك العدو ان ينـــدحر ويغلب . تخاذلتم ومرت عليكم هذه الحيلة والخدعة .

وكأنه (ع) يقول شددتم رحالكم للحرب فلم تحققوا غايتكم فأنتم تشبهون الحامل التي لم تحصل على فائدة ونتيجة فهو تشبيه حسي أو هو معنوي وهو عدم الحصول على فائدة أو تحقيق غاية بعد المتاعب والجهـــود .

فالمرأة كذلك قطعت مدة الحمل وهناً على وهن ومشقة على مشقة وأخيراً فقدت حملها السقط وأنتم فقدتم ثمرة هذه الجهود وهذه المتاعب وقطع هذه المسافة وبعد الوصول الى ساحة القتال تراجعتم وتأثرتم بما قام به معاوية من حمل المصاحف والتظاهر بالاسلام واستجبتم لهذه الصيحات !

أو يريد عليه السلام أن عقولكم ضيقة تتأثر كما تتأثر المرأة

وهو في مقام بيان حال وطبيعة المشبه وهو للذم قطعاً لأنهم لم يحققوا شيئاً يأملونه ويرجونه وهو النصر . ولكن عند آخر ساعة من الوصول تخاذل جيشه وتراجعوا وأختلفوا وخرجوا عليه !

مجتمعين حولي كربيضة الغنم

فهو يصف هؤلاء عند إجتماعهم حوله وهم بين قيام وقعود وبين بكاء وعاطفة . وبين أصوات وكلها رحمة وشفقة ورغبة وتلهفاً وشوقاً له

فهم في حاله عامة هذا يسرع في كلامه وهـــذا يتكلم وبصوت مرتفع لهم دوي وهذا ينادي وهذا يدور حوله يقبل يديـــه يرجوه القبول . فهذه الحالة وهذه الوضعية العامة وهذا الوصف العام لهذا الجمع حوله ساعة البيعة وجمهرة المسلمين عنده بين صادق وكاذب وبين فرح وبين حزن شبّه هذه الوضعية بحالة الاغنام إذا آوت الى مربضها فهي بين أصوات وحالة مختلفة . فشبّه هذه الحالة بالأخرى وليس غرضه عليه السلام المدح لهؤلاء لأنهم اندفعوا وسارعوا اليه . وليس هو (ع) يتكلم ليمدح هذا الجمع على حبهم وطاعتهم وبيعتهـــم . وفيهم أناس مختلفون وبأي صفة فيهم يستحقون المدح . وفيهم عدو له . وقد بايعه وفيهم طامع ويأمل فيه ان يجود عليه من الأموال بعد هذه البيعه هكذا ظن فيه (ع) ولكن تبين خلاف ذلك ولذلك غدروا به ونكثوا بيعته . ولم يف لعلي عليه السلام ببيعته . وهنـاك شذاذ وضعفاء العقيدة والايمان وهناك إنتهازيون وغيرهم . وعلي (ع) هو الذي اختبرهم وعرف طباعهم وعرف الشاذ منهم وعرف الصادق

والكاذب وعرف الشجاع والجبان . لانهم فرّوا في أكثر من موقف . وفيهم المنافق .

كل هؤلاء اجتمعوا حوله وكثرت أصواتهم وهو أعرف بهم من غيره لانه عرف ماضيهم في الاحداث الأولى خصوصاً أيام الحروب والغزوات ومقابلة الاعداء هذا الجمع الكثير الخليط من الناس يقول فيهم كذلك .

صاحب السلطان كراكب الاسد

وصاحب السلطان وهو زميله وصاحبه المقرب لديه وافتخر بقربه فالمشبه هنا مفرد بمفرد ـ صاحب السلطان ـ والمشبه به وهو راكب الأسد . فهو مفرد بمفرد . والمقصود هو الموصوف بالصحبة بالمفرد الموصوف كذلك .

ولكن الثبات والبقاء لا يدوم له فسرعان ما ينقلب عليه ويذهب ضحية هذا التهور وهذا الفخر والزهو . وهذا الترفع وهذا التقرب الى هذا الكرسي . وجلس مجلس السلطان في المكان الرفيع . واستعلى وهو يشبه من ركب الأسد وأستعلى عليه وهو القوي . الذي يقاوم ومن يركب هذا الحيوان الشرس المتهوّر الذي لا يقصر وهو لايعلم بأي وقت يفترس وهو لايعلم بأي وقت يهلك والسلطان الأسد من حيث الروح الانتقامية شبيهان وبدون ورع إذن صديق السلطان والاسد لا دوم ولا صداقة . ونتيجة هذا تشبه نتيجة ذلك ولا تفيده الصحبة ولو كانت طويلة .

من شكا حاجة الى مؤمن فكانما شكا بها الى الله ومن شكاها الى كافر فكانما شكا الله

وغرضه الاستطراف في الأول وتشويه في الثاني ليترك السامع هذا العمل لانه عمل مناف وعمل مخالف لفعل العقلاء .

اخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك فرب كلمة سلبت نعمة وجلبت نقمة .

وقصد بالاختزان المحافظة وادخار اللسان هو المحافظة عليه . كما يخزن ويحافظ الفرد على الذهب . فهو مفرد بمفرد الذهب باللسان . واختزان هذا مقصود ومشبه باختزان الآخر المرغوب به وهو تشبيه حسي .

انواع التشبيه في كلام الامام علي (ع)

قسم علماء البيان التشبيه الى أنواع :

١ ـ التشبيه الحسي .

وهذا النوع يكثر في كلام علي عليه السلام . فقد شبّه الفتن كقطع الليل المظلم . وشبّه آل محمد كالكواكب في الهداية .

وشبّه بين أمية كالناب الضروس . وشبّه أهل العراق كالمرأة الحامل وشبّه إمتداد وإتساع الكوفة كالاديم العكاظي . وشبّه الدنيا

كالحية قاتل سمها . لَيّن مسها . وشبّه الحاج كالانعام والحمام .

وشبّه إجتماع المسلمين عليه وحوله وعلى باب داره عامة البيعة كعرف الضبع . وشبّه ولي الامر من حيث عدم قدرته على القيام بالامر . كراكب الصعبة .

وشبّه بني أمية . أو جماعة جياع . أكلوا أموال الدولة الاسلامية بغير استحقاق وبدون حق ومبرر كالابل الجائعة عند الربيع يخضمون مال الله .

مقاصد وغايات

وللامام علي عليه السلام قصد وغاية في إستعماله فهو إذ يشبّه هؤلاء بالابل الجائعة . بيان حالة المشبّه . وهو الجوع وأكله مال الله وليس له حق فيه ولا ملكية أو بأزاء عمل أو مشروعية .

شبههم بأبل جائعة في فصل الربيع حيث أربعت الأرض وكثرت حشائشها وهي قد مرّ عليها فصل طويل جاعت فيه ثم أطلق سراحها وليس هناك مانع يمنعها أو حدود تقف عندها . أو تجوالها في الارض الواسعة من ذهابها ومرحها هنا وهناك وتجوالها شرقاً وغرباً تأكل ما تشتهي والاكل المقصود أكل نهم . وجشع . وهو الخضم . . للنبتة من عروقها وعدم إبقاء للعروق . لانه حيوان جائع مدفوع للاكل دفعاً . وبجوع شديد وافتقار .

التشبيه عند علماء البيان . وفي مدرسة الامام علي (ع)

ذكر علماء البيان . فصولاً متعددة وأبواباً كثيرة في التشبيه . وعندهم إن التشبيه له أركان إدوات التشبيه . والمشبّه والمشبّه به ووجه الشبه . وقسموا وجه الشبه الى حسي . وعقلي وبالعكس(١)

وهذا ورد في مدرسة علي عليه السلام حذف أداة التشبيـــه . يقول عليه السلام يردونه ورود الانعام وهو تشبيه حذف منه أداة التشبيه . ويقول أيضاً عليه السلام يخضمون مال الله خضمة الابـل نبتة الربيع . وقوله عليه السلام فجرجرتم جرجرة الجمل الاسّر وتثاقلتم تثاقل النضو الادبر . وقوله عليه السلام فتداكوا عليّ تداك الابل الهيم يوم ورودها . ويقول عليه السلام إن محلي منها محل القطب من الرحى .

وفي هذه الامثلة . حذفت الأداة وذكر المشبّه والمشبّه بـــه . وتقدير الاداة . كورود الانعام . وكخضمة الابل . وكجرجرة الجمل وكتثاقل النضو الادبر وكتداك الابل . وان محي كمحل القطب .

وهذه المدرسة . نجدها في القرآن كثيراً . فقد حذفت أداة التشبيه وحذف الاداة جائز وذكر في لسان العرب وجاء بكثرة في الشعر والنثر وفي الحديث النبوي الشريف وفي خطب الخلفاء .

حذف احد أركان التشبيه

فقد ورد ذلك في الكلام العربي وجوّزه علماء البيان . وورد ذلك في لسان علي عليه السلام .

(١) وقسموا المشبه والمشبه بـه الى مفرد بمفرد ومركب بمركب والى حسي وعقلي وبالعكس .

١ ـ قوله عليه السلام لعامله مالك فاعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه .

٢ ـ ويقول عليه السلام . وانك اذ تحاولين الامور وتراجعني السطور كالمستثقل النائم تكذبه أحلامه .

٣ ـ ويقول وتحذر من أمامك كحذرك من خلفك .

٤ ـ ويقول عليه السلام وأنا من رسول الله كالصنو من الصنو .

ادوات التشبيه

والادات عندهم . الحرف . والاسم والفعل . أما الحرف هو الكاف أو كأن . والاسم يقصد به المضاهات والمساوات . وهو مثل . ومضاهيه ومماثل . ومثيل . وشبه وشبيه والفعل يشبه . يساوي يضاهي . يحاكي يشابه يماثل . يمثل .

وقد وردت هذه الادوات في الكلام العربي شعراً ونثراً . وورد بعضاً منها في القرآن . ووردت هذه الادوات في كلام علي (ع) . مع مراعات أحكام كل أداة والغاية التي ذكرها علماء البيان(١)

(١) فذكروا أحكاماً خاصة . للحرف . كأن . الدالة على التشبيه وذكروا حكمين له وموردين . الاول اذا كان الخبر جامداً كقولك كأن زيداً أسد . والمورد الثاني اذا كان الخبر مشتقاً كقولك كأن زيداً قائم . او قاعد . وذكروا للكاف حكماً . أن تلي المشبه به ويمكن دخولها على غير المشبه بـه اذا كان التشبيه غير مفرد وقد يحذف المشبه به الذي يلي الكاف وقد يكون ملفوظاً به وقد ورد كل ذلك في كلام علي (ع)ـ

اغراض التشبيه في مدرسة علي (ع)

وجدنا التشبيه في القرآن يقصد منه عدة أغراض ذكرها المفسرون وحاولوا بيانها والدواعي العامة المقصودة من التشبيه(١) .

وبعبارة أخرى لماذا يستعمل الامام علي عليه السلام التشبيه وما هو قصده ؟

فقد يقصد التوضيح والتبيان . او يقصد تشويه المشبه وتقبيحه في ذهن السامع وهذا قصد من قصوده فيقول (ع) إن مثل الدنيا كمثل الحية لين مسها . قاتل سمها ويقول (ع) إن الدنيا جيفة وأهلها كلاب عاوية ينهش بعضهم على بعض فمن أحب الدنيا فليصبر على معاشرة الكلاب . هذا قول من أقوال علي(ع) وهذا كلام من عدة أقوال في ذم الدنيا . وذم الحياة البشرية .

- مراعياً هذه الاحكام البلاغية المذكورة .

(١) وقدذكر علماء البيان أغراضاً كثيرة من التشبيه وهي : بيان الامكان في الامر الغريب وجعل المشبه من الممكن الوقوع . وبيان حال المشبه وذكر صفاته بيان مقدار حال المشبه في القوة والضعف والزيادة والنقصان . والغرض الرابع تقرير حال المشبه وتقوية شأنه في نفس السامع . والغرض الخامس تزيين الشبه في عين السامع والغرض السادس تشويه المشبه وتقبيحه في نفس السامع والغرض السابع هو للاستطراف جعل المشبّه طريفاً بديعاً يهواه السامع ويقبله وهي أغراض عربية . وهذه الاغراض جاءت في كلام علي (ع) .

وغرضه عليه السلام من ذلك واضح وهو تشويه المشبه وهي . هذه الحياة الدنيا ـ صفة للحياة ـ الحياة الواطئة الدانية بما فيها(١) وهي التي ترفع عنها الامام علي عليه السلام الى الحياة العليا . فكان الانسان الذي أعرض عنها وكان قدوة . ومثّل الاستقامة التي أرادها القرآن ـ بقوله تعالى استقم ـ فلم يتأثر بزبرجها وببريقها وبرنقة الدرهم فكان يهتف قائلاً اليك عني . غري غيري . ويدعو غيره الى ذلك فكان يدعو الى الاعراض عن هذه الحياة التي لا ثمن لها . وأراد عليه السلام أن يخلع هذا الفرد . الذي ضحك للدنيا وعشقها وأقبل إليها أراد منه (ع) ان يتجرد من الشهوة والانسياق وراء هواه ووراء شهواته .

أما علي عليه السلام فهو الذي اكتفى بدنيا بقرص وأدام ملح . وجرعة من الماء . هذا هو علي (ع) . الذي تجرد عن البشرية في إتباع هواه وترفّع الى مستوى نكران الذات وهو ابن شرف البطحاء وهو البطل وهو العالم . ولكن سحق جماح هذه النفس وأطلق قائلاً : إنما هي نفسي أروّضها بالتقوى . هذا علي عليه السلام فأين نحن منه

(١) وكان الحياة عنده عليه السلام حياة عليا وهي الحياة الرفيعة حياة المفكرين . حياة الانسان المجرد عن الماديات والملذات والشهوات . وهي حياة الملائكة وحياة مجردة من الرغبات . وحياة مادية واطئة وهي الحياة الحيوانية ـ وهي الحياة التي يمر بها الانسان بين اللهو واللعب والتكالب نحو الرغبات . وإشباع البطون كما نرى هذا الفرد يلهث في سبيل شهوته وينساق وراء هواه تدفعه نفسه الامارة . هذه هي الدنيا وثمنها في فلسفة الامام علي عليه السلام .

وقد يقصد عليه السلام غرضاً آخر في التشبيه : وهو النقـــد للانسان ليتراجع وليعرف الخطأ . ولعل عليه السلام نقد كثير . نقد غيره في هفواتهم الادارية والسياسية وأعمالهم :

يقول وقام معه بنوابيه يخضمون مال الله خضمة الابل نبتة الربيع

ونتساءل مع رواة هذا النص(١) من هو المقصود . وماذا قصده ؟ وما هو غرضه بذلك ؟ ؟

هو بيان حال هذه الاسرة الجشعة . الجائعة مدة طويلة كأنهم إبل جياع . ماذا يقال في قوم مرت عليهم مجاعة في سنين عجـــاف ؟ ثم يرون طعاماً ولا رادع وهم يملكون الامر ولا رقابة ولا حدود يقفون عندها ولا يخشون حاكماً ماذا يأكلون ؟ ؟ يأكلون خضماً لا قضماً(٢)

يأكلون بدون تروي ولا ورع ولا خشية . ولا حد لذلك الاكل ولا كمية له . إنما يأكل ما رغب به وما رآه . مثله مثل الابل الهائجة الى أرض الله الواسعة تسير وكل ما تشاهده عدت عليه .

اغراض التشبيه

وهذا غرض ثالث لعلي عليه السلام وهو بيان حال المشبه وما عليه . فيقول (ع) : « صاحب السلطان كراكب الاسد » . لبيان

(١) رنجع خطبته الشقشقية المذكورة في نهج البلاغة وغيره من الكتب التأريخية والأدبية .

(٢) وقيل ان هذا القول فيه ذم او شتم لمن كان قبله ولكن ليس هذا الذي قصده وحاشا علياً أن يكون سباباً وهو الذي نهى أتباعه أن يكونوا سبابين . إنما هو نقده والنقد مباح وفيه تنبيه للآخرين الذين أساؤا التصرف .

عدم الثبات والدوام والاستقرار . وأراد عليه السلام بالاسد هو السلطان الحاكم . الذي حكم وارتفع بالحكم . وصاحبه الذي قرّب اليه وركب هذا المركب العالي وهو الاسد . وبينهما حال وتشابه . ونفسية هذا تشبه الآخر . ومن تقرّب الى هذا الحاكم يشبه من تقرّب الى الاسد . ومن استند الى هذا واعتمد عليه فهو شبيه بالآخر

وقد يتجمع غرضان في كلام علي عليه السلام بيان حال المشبه وذكر صفاته وغرض آخر هو الذم والقدح .

يقول عليه السلام : فجرجرتم جرجرة الجمل الأسر وتثاقلتم تثاقل النضو الادبر .

ويقول (ع) : وانجحر إنجحار والضبـــة في حجرها الضبع في وجارها .

ويقول عليه السلام « ان تلقه كالثور عاقصاً قرنه » ويقول (ع) كم اداريكم كما تدارى البكارة العمدة والثياب المتداعية .

ويقول عليه السلام« ما أنتم إلا كابل ظل راعيها فكلما جمعت من جانب إنتشرت من آخر »

ويقول فصاحبها كراكب الصعبة ان أسلس لها تقحّم وان اشنق لها خرم .

وقد يقصد عليه السلام بيان حال المشبه . بما هو عليه أو يكون عليه من حيث الزيادة . او الاتساع . أو النمو . فيقول عليه السلام « كأني بك يا كوفة تمدين مد الاديم العكاظي »

والغرض من ذلك ليس هو الذم والمدح وإنما . غرضه هو تشبيه هذه المدينة باديم ـ جلد ـ يباع في سوق عكاظ ـ وهو إخبـــار

منه عليه السلام ان الكوفة تتسع وتمتد الى جهات عديدة لتشمل منطقة واسعة من العراق .

وقد يقصد عليه السلام بيان صفات المشبه المتعددة وبعد البيان غرضه هو القدح والتألم منه وبيان أذاه . من طبيعة المشبه . بما فيه من طباع وصفات .

فيقول عليه السلام ببيان عن العراق وغدره وتخاذل شعبه وتفرقهم عنه .

« أما أنتم يا أهل العراق كالمرأة الحامل فلما تمّت أملصت ومات قيّمها وطال تأيّمها »

شبّه عليه السلام هذا الشعب الذي تنطلي عليه الاعيب المتلاعبين والمخربين وحركات الانتهازيين والمغرضين . وكانت النتيجة . ان تراجع الجيش ووقع الخلاف بين الصفوف . وتركوا الساحة .

وإذا به عليه السلام يتألم . فيشبههم بالمرأة الحامل . ما هو غرضه ؟ ليس غرض علي عليه السلام هو الذم او الاحتقار والتحقير ولكن بيان حال لعدم حصولها على ثمرة ونتيجة بعد الحمل والعناء .

ويقصد عليه السلام غرضاً أن المرأة التي لا تحصل على ثمرة من عنائها . وآلام الحمل . وبعد ذلك وعند الولادة . ألقت حملها . فهو تشبيه متعدد بآخر مثله . لا تشبيه مفرد بمفرد . لا من حيث هي امرأة . وليس قصده أن يقول أنتم يا أهل العراق او يا أيها الجيش أنتم كالمرأة ، ليكن قصده الانوثة . ليس هذا هو القصد .

وليس قصده الانوثة ليكن إحتقاراً للمرأة . وإنما أراد المرأة الحامل بما هي عليه من عناء ومشقة .

وكان نهاية أمرها عدم الحصول على فائدة من ذلك . وأنتم كذلك

بما عانيتم من مشقة الحروب والقتال والرحيل . والصبر . والاستعداد للحرب ومقابلة عدوكم . في هذه المدة . عند قرب النصر وعند ذلك تخاذلتم . ونتيجة أمركم . حيث أوشك اندحار عدوكم . في ذلك تمرّ عليكم هذه الحيلة والخديعة .

ماذا حققتم بعد هذا العناء وماذا كانت غاية حربكم اذاً لم تصلوا الى غرض مقصود وغاية مأمولة ومرجوة . وبماذا رجعتم ؟ وما هي مكاسب الحرب ؟

فهو تشبيه مجرد عن المدح والذم . وانما هو بيان حال المشبه . ومن ذلك قوله « مجتمعين حولي كربيضة الغنم » وهي حالة المجتمعين حوله عليه السلام يريدون بيعته .

إن هذا الوصف لهذا الجمع الهائل والجموع البشرية المختلفة في عددها وعقولها . جهرة هؤلاء حوله واندفاعهم لبيعته وليس غرضه المدح او الذم قطعاً . لانهم اندفعوا وسارعوا اليه . أو تكلم علي (ع) وقصده . مدح هؤلاء . وبماذا يمدح هؤلاء ؟ وبأي خصلة يمدحهم . ليستحقوا المدح والمديح ؟ انهم اندفعوا حوله فيهم أناس مختلفون في نفسياتهم . بايعه وهو طامع به وآمل أن يسكب عليه المال بايع ويغدر ويعلم علي عليه السلام بنفسية المبايعين . يعلم بانه لا يحقق غرضاً وهناك شذاذ وضعفاء الايمان .

وعلي عليه السلام هو الذي اختبر نفسياتهم أكثر من غيره . فيوم الانتهازيون . عرف طباعهم وعرف شذاذ هؤلاء . واختبر ماضيهم وعاش الأحداث وما واكب هذه الأحداث والانقلابات . وهم الذين أتعبوا الرسول (ص) من قبل وزرعوا الاشواك في طريق الدعوة . وما قام به المنافقون وغيرهم .

فالامام (ع) يصفهم كربيضة غنم حوله .

وهذا اللون من التشبيه لم يأت بلسان بليغ من علماء البيان القدماء - وهو التشبيه المتعدد بآخر مثله وهو من التشبيه المحسوس شبه هذه الحال بأخرى شبه هذه الهيأة بأخرى . تداعي هؤلاء وتدافعهم واسراعهم لأخذ يده للبيعة . وتلهفهم له والتسابق الى البيعة .

شبه هذا المجموع بالجمع الآخر . شبههم بالغنم التي تؤوب الى ربيضتها بعد رجوعها من مرتعها .

وهذا المثال . وهذا اللون من التشبيه لا يتذوقه الا من يعيش العروبة نفساً ومزاجاً . ونشأ بين العرب ليرى هذه الصورة الريفية الجميلة وعند ذلك يدرك إحاطة علي عليه السلام بالشؤون العامة . وانه يعايش المحيط العربي والامة وحياتها .

وان علياً عليه السلام يتكلم بالاساليب المألوفة وانه يأخذ من الواقع الاجتماعي العربي . فقد اقتبس هذه الصورة من مشاهداته العامة . فهو عربي لم تخف عليه صورة أو وضعية ذلك المجتمع . وهذه الصورة التي قدّمها علي عليه السلام صورة عربية . صورة محسوسة

ووجه الشبه محسوس . هيأة بهيأة . وصورة بأخرى . شبه هذه الجموع . بالاغنام الكثيرة شبه هؤلاء بما عليهم وما بهم من حركة واسراع وأصوات مختلفة وكلمات كثيرة . وتداعي الآخرين . وعلي عليه السلام في وسط هذه الامواج والكتل البشرية وكل فرد له قصد معلوم . وابهم دويّ وأصوات وكلمات تسمع . وأخرى غير مسموعة وأخرى تشبه اللغة الصامتة لغة الحيوانات .

وشبه هذه الصورة واجتماع هؤلاء وتكاثرهم وتزايد عددهم ودويهم شبه هذه الصورة بصورة أغنام تأوي الى مربضها لتصل الى مأواها .

ورجوعها بلهفة وشوق بعد تعب وعناء ومشي فترجع بلهفة . ولا يدرك هذا الا من رأى هذه الصورة ولا يعرف واقع هذا القول إلا رعاة الاغنام . او كان من سكان الريف فوجه الشبه محسوس ولا يدرك إلا بتأمل . ولا يعرف هذه الصورة إلا من يملك ذوقاً عربياً موروثاً

مدرسة الامام علي (ع) البيانية

فقد ورد عنه الكثير من الكلام البليغ ولكن علماء البيان العربي اغفلوه ولم يأخذوه شاهداً .

فقد وجدنا فيه كل المسائل البلاغية بما فيها من فروع وتفاصيل فيه الاسناد بأنواعه . وفيه المجاز باقسامه . وفيه الاستعارة واختلافها وفيه القصر وأشكاله وأنواعه . وفيه الكناية وأبوابها . والتشبيه وأنواعه ففي كلامه بلاغة عربية مقبولة . وما نطق به علي عليه السلام فقد أخذه من مدرسة القرآن .

والقرآن مدرسة بيانية عربية . ولماذا أهمل علماء البيان العربي هذه الثروة البلاغية والشواهد الجيدة القوية القديمة التي تمثل العصر

(١) ينسب لعلي عليه السلام كلام كثير . ومختلف في صياغته . والنقطة هي نقطة الشك . انه نسب اليه أكثر مما نسب لرسول الله (ص) رغم كون زمانه أطول وهو زمان تشريع ويستدعي الاكثار من القول ! والمناسبات الداعية تقتضي ذلك . فكان عليه (ص) أن يقول أكثر من قول علي عليه السلام مع ان ما نسب لعلي عليه السلام أكثر مما نسب للخلفاء وما نسب اليه لو جمع لكان اوسع واكثر من نهج البلاغة

العربي والعصر الاسلامي الاول ؟ ولماذا لم يتخذه علماء البيان شاهداً وما وجدنا في الكتب البلاغية المتداولة . ولا كلمة واحدة إلا عرضاً او من باب الاستطراد والاجابة عن ذلك .

فقد شكوا بما يروى عنه(١) وما ينسب اليه من كلام ونقول لهؤلاء نحن لا نقول ان كل كلام يروى عنه عليه السلام هو صحيح ومقبول ومقطوع فيه ويوثق به او نأخذ به ونؤمن بصحته . ولكن بما في ذلك كلام يدل على صدوره منه عليه السلام . فيه روعة وجمال وقوة ومطابق للمقام . وللعصر الذي عاشه علي عليه السلام وهو عصر الصحابة . وعصر نزول القرآن وكلامه يختلف عن كلام غيره قطعاً ولا يستطيع التفرقة والتمييز إلا من كان ذا قدرة بلاغية . وذوق عربي .

والعروبة الموجودة عند علي عليه السلام تختلف عن العروبة في كلام غيره . ولكنه يمثل البيان القرآني والروعة القرآنية والصياغة القرآنية .

والقرآن مدرسة بيانية لها وجودها . وهو الرافد الذي أمدّ علماء البيان ومنه استمدوا شواهدهم . والعلوم البلاغية ـ قبل تعددها واستقلالها . كانت علوماً قرآنية تدور حول فهم الصياغة القرآنية للوصول الى فهم إعجاز القرآن وكلها بدأت ونشطت وتطورت وهي علوم قرآنية . ووسيلة أمدت المفسر لفهم الكتاب وقديماً كان النقد وبلاغة النص واستحسانه وتذوقه وإدراك نقاط القوة فيه والجمال . وإدراك قدرة المتكلم والحكم عليه او له . كلها علوم أدبية متداخلة وكلها مقدمات توصل الدارس والباحث لفهم الأي القرآني .

والمفسرون أكثرهم علماء بلاغة وباحثون في اللغة ونقاد وبعد

الجاحظ ـ بدأ انفصال علم البيان واستقلاله .

ولعله بدأ ذلك على يد العلامة الجرجاني ومن جاء بعده(١) كالسكاكي ـ والقزويني ـ والتفتازاني ـ وغيرهم .

وقدّم هؤلاء الخدمات اللغوية بما حققوه وحللوه من نصوص بلاغية عربية . ولكن في الحقيقية فقد سبق العلامة الجرجاني . صاحب كتاب أسرار البلاغة سبقه نقّاد كثيرون وكان النقد الأدبي قبل استقلاله وتطوره . كان في البلاغة ودراسة النص أدبياً .

وكان النقد عند البلاغيين القدماء ـ يمتاز . بانه نقد للالفاظ او نقد للصياغة او نقد الكتاب . أو هو نقد لموضوع خاص .

وكان هؤلاء النقاد اذا تحدّثوا عن كاتب . أو موضوع . قالوا عنه باسلوب جاف . وبأسلوب جارح واستخرجوا الهفوات والاخطاء والسقطات وما وقع به الكاتب او أغفله وقدّموا جدولاً .

من الاخطاء ونقاط الضعف وضعف قدرته العلمية . وكتابته . او خروجه عن وحدة الموضوع . او عدم قدرته على سبك العبارة او ما ذكره غير واف او هو إعادة . او هو خارج او هو خروج او هو تعريف غير جامع او غير مانع .

فالعلامة ابن قتيبة والخوارزمي والثعالبي والعسكري والآمدي

(١) ويقال إن ابا عبيدة أسبق منه ـ واذا قلنا البلاغة هي علم يشمل النقد وتذوق النص والحكم عليه . إذن قبل هذا وغيره علماء كثيرون استحسنوا النص . ونقدوه وحكموا على النص الادبي . وحللوا النصوص الادبية ـ والذي تحدث عن المجازات القرآنية هو عالم في البلاغة العربية ، وقدم خدمة للبيان العربي

والماوردي . هؤلاء نقاد . وبدأ النقد متدهم .

وهؤلاء نقدوا وأجادوا وحتى الباقلاني . رائد من رواد النقد الأدبي . هؤلاء نقاد : وهؤلاء حلّلوا النص الادبي واستخرجوا نقاط الضعف في النصوص القديمة . وسجلوا قوائماً طويلة فيها اخطاء القدماء وأحصوها على الآخرين من الكتاب .

وكذلك الجاحظ يعتبر من الادباء . ومن النقاد حقاً نقد النص الأدبي . ولكن النقد الادبي تطور واستقل وبدأ في مسلك جديد ووضع له قواعد عامة . هو الجرجاني حيث وضع الأسس البيانية في كتابه(١) .

وعلماء البيان . وجدوا مادة . ووجدوا تراثاً . ونصوصاً عربية . موروثة . نقلت اليهم عن طريق الرواية . وجدوا كلاماً عربياً . متحدراً عن العصور السالفة ولد وقيل قديماً ودرسوا هذا الكلام وأدركوا ما فيه . ثم صنّفوه . الى أبواب ومسائل . فقالوا باب المجاز . حيث أدركوا هذا الاستعمال في غير ما وضع له هذا اللفظ وبعد هذا التأمل . أطلقوا عليه المجاز .

وكذلك وجدوا الكناية والاستعارة والتشبيه والاسناد . والجناس والطباق ـ واللف والدوران والسجع . كلها كانت في هذه النصوص القديمة والتراث العربي ثم ألّفوا هذه المؤلفات ودوّنوا هذا التراث ووضعوا له هذه القواعد . وبعبارة أكثر وضوحاً :

إن علماء البيان . الذين حققوا وحللوا وخدموا اللغة هؤلاء الذين ألّفوا وصنّفوا في البلاغة والبيان العربي وحللوا هذه النصوص الى فروع ومسائل .

(١) راجع جرجي زيدان . تاريخ آداب اللغة العربية .

إن هؤلاء جمّاعون لهذه النصوص . وهم محللون ومستخرجون بما فيه وما احتواه .

وهؤلاء ليس هم مؤسسين لعلم البلاغة العربية وليس يرجع اليهم ايجاد ووجود هذا العلم .

وإنما وجدوا تراثاً ورد عن العرب السابقين .

فلا يقال الجرجاني وغيره من العلماء من كان قبله أو من جاء بعده هم علماء البلاغة . لم يكن هو وغيره هم الذين خلقوا وارتجلوا علم البلاغة العربية أو أوجدوا النقد الادبي ـ ولا يقال انهم وضعوا الحقيقة والمجاز او الاستعارة والكناية وانما أخذوا الشواهد من الكلام العربي الجميل . ودرسوه وحللوه وصنفوه الى ابواب فوجدوا إستعمالاً مختلفاً فيما وضع له وفيما لم يوضع له فقالوا هذا حقيقة وهذا مجاز . وأخذوا الكلام الدال على المشاركة والمشابهة بين اثنين بينهما علاقة فأطلقوا عليه باب التشبيه . ثم درسوه وحللوه واستخرجوا منه قواعداً وأصولاً .

وقالوا هو مؤلف من أركان أربعة . والتشبيه فيه وجه شبه وقصد وبه غرض للمتكلم . واستخرجوا الاغراض من الشاهد .

وبعبارة أخرى . ان صاحب كتاب مفتاح العلوم . والعلامة الشيرازي الذي شرح مفتاح العلوم والعلامة الوجاجي . والقزويني والتفتازاني . وغيرهم من علماء البلاغة ومن أسهم في تقديم خدمة الى اللغة العربية بصورة عامة وللنقد الأدبي بصورة خاصة .

كل هؤلاء وجدوا كلاماً يروى من العرب شعراً او نثراً فأدركوا فيه جمالاً . وصناعة فتذوّقوا وحللوه وخروا سجداً أمام هذا الاعجاز

العربي والروعة البيانية . فوزعوه الى فصول وأبواب وبذلك طوّروا هذا العلم .

ونرجع الى هؤلاء . ونقول ماذا وجدوا وماذا جمعوا وأي كلام اعتبروه شاهداً ؟ والكلام المروي . هو ما ورد في القرآن . وما ورد عن الرسول (ص) وماجاء عن الخلفاء . جمعوا هذا المأثور وألّفوا فيه هذه الكتب المشهورة . والفضل يعود الى هؤلاء العلماء القدماء اتعبوا أنفسهم . في جمع هذا المأثور وحللوه وصنفوه ثم تطوّر الى أبواب واستقل هذا الفن عن غيره من الفنون اللغوية أما قبل هذا التطور فكان دراسة بسيطة وتحليلاً . للكلام وللجملة ومعرفة مسافات الجملـــة .

فبدأ الجرجاني في تجزئة الجملة في الكلام العربي المأثور . وبعد هذه التجزئة . قام بدراسة اجزاء كل جملة وبعد ذلك قام بتصنيف هذه الجملة العربية وهذه الأجزاء المقومة لها . وبيان الترابط بين هذه المفردات .

ونحن اذا تحدثنا عن نشأة علم البلاغة العربية وعن العلماء القدماء . فنحن مضطرون الى التحدث عن تداخل علوم اللغة وعن المرحلة القديمة وهي مرحلة ما قبل الانفصال والاستقلال فالنقد الأدبي شعراً أو نثراً كان علماً بلاغياً وكل البلاغيين هم نقّاد . وهم مفسرون ومحللون للآي القرآني .

فقد أسهم علماء البلاغة القدماء في عمليتين :

١ - في دراسة النصوص الأدبية والكلام المأثور وتحليلها وتذوّقها ونقدها ومعرفة حسنها وفهم مؤداها .

٢ - والى بيان ما في القرآن من أسرار بلاغية وأساليب عربيـة

كانت . ونحن مضطرون أحياناً الى ذكر علماء التفسير اللغويين . الذين دعموا القرآن دعماً لبيان إعجازه في الصياغة وفي اللفظ والمعنى وفي الصوت . ولذلك صرحوا ان علم البيان غايته فهم إعجاز القرآن الكريم(١) .

وبدأوا بدراسة الآيات وفسّروها تفسيراً بلاغياً . كالشيخ عبـد القاهر الجرجاني صاحب دلائل الاعجاز . واسرار البلاغة والسكاكي والاعجاز القرآني لايدرك بسهولة .

أما الانسان العربي فأدرك . أو أحس بذلك الاعجاز بوحي من فطرته العربية السليمة .

لانه عربي وذو ذوق وفطرة . فكان يدرك ويتذوق . او كان يحس بهذا الاعجاز . وتأثر نفسياً بالمنطق القرآني وبروعتـــه . فأعجب بصياغته وحسن تركيبه(٢) .

والقرآن نصوص عربية مقبولة .

وكان القرآن والمأثور عن العرب القدماء هو الكلام الذي يروى ويسمع له والانسان العربي كان يسمع هذه الرواية فيدرك ويميّز ويتذوق هذا وينفر من الآخر ويحكم على هذه القطعة بحكم(٣) .

---

(١) راجع المختصر للتفازاني . ص٨

(٢) وهنا نقطة في الطريق ان علم البلاغة العربية انما هو وسيلة لمعرفة الاعجاز القرآني فلا نستطيع إدراك ذلك الاعجاز إلا بعد أن نتذوق النص العربي وصياغته بذوق بلاغي . وبعد ذلك نحس او نتذوق الاعجاز القرآني .

(٣) وقد أدرك الانسان المسلم ذلك الاعجاز القرآني . في الكلمة وفي الآية وتذوّقوا الجمال وحسن الصياغة وانها صناعة فوق-

وكانت الآيات القرآنية هي الكلام العربي الذي يتردد على الألسن يروى ويستشهد به في صدر الاسلام لأن الاسلام لم يذوّب العروبة ولم ينسخها أو يقف منها موقفاً سلبياً .

وبقي القرآن هو النص العربي الذي يتردد على لسان المسلم العربي قبل أن يبدأ علماء البلاغة أو الباحثون في بيان إعجاز القرآن . حتى بدأت ـ حركة التفسير اللغوي للقرآن ـ وبدأت بعد ذلك حركة أخرى ـ وهي : دراسة القرآن بما أنه نص عربي جميل .

وبدأت هذه الحركة البلاغية(١) . بعبد القاهر الجرجاني . بما قام به بعملية تشريح الجملة العربية . ووضع طوابع خاصة جميلة لما ورد عن العرب اوما روي عن العرب .

وأدرك الشيخ الجرجاني ان الكلام العربي الموروث . مادة جميلة خصبة نقلت اليهم عن طريق الرواية . فهو وغيره من علماء البيان أدركوا هذا الجمال وحللوا هذه النصوص وبها أدركوا ومن خلالها عرفوا ان العربي البدوي كان يستعير ويشبه ويقول ويطلق كلامه وله قصود متعددة . وقد ينصب له قرينة على مراده(٢) .

= القدرة البشرية . ولا يستطيع العربي وهو القدير على نظم القول على أن يقول ويصوغ مثل هذه الآيات ! وعلم البلاغة مرّ بأدوار ثلاثة بدأ برواية النصوص العربية وهو دور الجمع والتدوين وللعلماء الأوائل يرجع الفضل في جمع هذه النصوص العربية . ثم نشأ هذا العلم وتطوّر واستقل .

(١) بدأت هذه الحركة بعد المائة الأولى والثانية . ونشطت بما قدمّه المفسرون والبلاغيون من بحوث عربية .

(٢) والقرائن ـ مختلفة ـ قرائن : مقالية وحالية ـ وقرينة =

فقد يطلق كلامه ويريد خصوص الموضوع له أو يجتاز ويتجاوز ذلك ويريد غير ذلك غير الموضوع له .

وقد يحذف . وقد ينصب قرينة ـ لفظية ـ صارفة عن المعنى الحقيقي الى غيره .

وقد يقدم من حقه التأخير . وغير ذلك من شؤون الكلام العربي كالتشبيه والاستعارة فجمعت وصنفت وألفت منها الكتب الموضوعيه(١)

وهذه الأبواب والمسائل البلاغية موجودة سابقاً بما روي عن العصر الجاهلي شعراً ونثراً .

وحتى النقد والأحكام الأدبية كانت مألوفة عندهم . وسوق عكاظ كان ندوة ومسرحاً تعرض فيه النصوص . وهناك الحكم على القائل . وعلى النص فهي محكمة أدبية .

فالنابغة الذبياني مثلاً كان يحكم على القصيدة التي تقرأ عليه فيستحسن هذه القصيدة ويحكم على العربي القائل وعلى هذه المادة الأدبية . بأنه كلام حسن ويعلل ويحكم بذوقه الفطري الموروث وبمزاجه الأدبي الذي ولد معه في دنيا البادية وفي حياة الصحراء .

= صارفة تصرف المعنى الحقيقي وإرادة المعنى المجازي وهو المقصـــود .

(١) والمدرسة البلاغية العربية ازدهرت في خلال القرآن وبما قدّمه المفسرون اللغويون من خدمات وبحوث وبعـــد ذلك ظهرت مؤلفات جديدة وأدباء أمدوا هـذا المدرسة بنصوص مقبولة . عن طريق رواية النص الأدبي . أمثال ابن الرومي ومسلم بن الوليد وبشار . وأبي تمام ثم تطورت وازدهرت بما قدمه الباحثون من نتاج . فألفوا وصنفوا .

وهذا كان في العصر العربى الجاهلي . ونما وتطور في العصر الاسلامي(١)

ثم تفتح الذهن العربي بما جاء ونزل من نصوص قرآنية فتلاها الصحابة . وتلاها الانسان العربي المسلم . فنمت ذهنية هذا الفرد . من خلال هذه المدرسة القرآنية فتغذى وأخذ المسلم العربي وتخرّج من المدرسة القرآنيه كثير من البلغاء . ونذكر نموذجاً واحداً . وهو علي (ع) الذي تأثر بمدرسة القرآن و روعة آياته فقال وخطب وتذوق وأتخذه شاهداً(٢) .

وهنا نعود بك . بعد هذه الجولة نعود الى دراسة ماورد عن علي عليه السلام من نصوص بلاغية مختلفة في هذه الأبواب البلاغية .

فوجدنا في كلام علي عليه السلام السجع . ووجدنا في كلامه الاستعارة . والكناية والتشبيه . وهذا وغيره موجود في القرآن .

وما دام القرآن كلّم الانسان العربي واستمع للقرآن قبل غيرهم هم العرب وهو باسلوب عربي مبين . فنصب لسامعيه القرائن(٣)

(١) واذا أدركنا ان علم البلاغة العربية علم له وجوده واستقلاله فما هي منابعه ومصادره ؟ والجواب ان علم البلاغة بـــدأ بالاعجاز القرآني ومعرفته وبيانه . وعلم البلاغة له صلة وثيقة بالبلاغة والبيان القرآني وما ذكره على البيان من شواهد وأمثلة انما هي أمثلة قرآنية حللوها وفسروها تفسيراً بلاغياً

(٢) واذا أدركنا صلة الامام علي عليه السلام بالقرآن وما أخذه من أساليب اقتبسه من وضع واستعمال وصياغة وارتجال أدركنا أثر الامام علي عليه السلام في نشأة علم البلاغـــة العربية والبيان العربي .

(٣) قد يتيم . قرينة مقالية ـ او حالية ـ وحتى الاشارة وحتى =

واستعار وكنى وشبه وصاغ قوله بسجع . وحيث كان الانسان البدوي يقيم وزناً لسامعه لايصال غرضه الى ذهن سامعـه ويضع لـه دلالة توضح ما أراده وما قصده واثبات ذلك المقصود وبيانه وتوضيحه للسامع(١) .

والغرض الأولي هو الافهام والتبليغ وايصال المراد للسامع ولو بتشبيه . أمر معنوي مقصود بأمر محسوس مبتذل ، لوجود تشابه بوجه من وجوه الشبه .

وهذا القصد والغرض . هو ما جاء به القرآن . فقـــد وجدنا آيات كثيرة . فيها تشبيه أمر معنوي بمحسوس والغرض هو التوضيح والتقريب(٢) .

ومن هو الذي استمع للقرآن أولاً ؟ أليس هم العرب ؟ والكلام العربي فيه هذا وغيره فكلم القرآن هؤلاء بما هو مألوف عندهم . ومتداول وبه تخاطبوا .

فالقرآن كلم القوم بما يتكلمون وأقام لهم الدلائل والصور الحسية لابراز المعاني والمفاهيم وتقريبها لاذهانهم . فقد وجدنا في القرآن

= الصورة والهيأة تدل على القصد .

(١) وجاء القرآن بمدرسة جديـدة ـ وبنصوص جديدة . تحمل معان جديدة وقرائن جديدة ـ وقد قام علماء التفسير اللغويون خاصة ـ الذين درسوا لغة القرآن وصياغـــة الآي القرآني فأتعبوا أنفسهم في معرفة أسرار القرآن البلاغية فقدموا نتائج لغوية كثيرة كان لها الأثر في وجود علم البلاغة وتعدد أبوابه ـ والقرآن هو شاهدهم البلاغي المقبول ـ

(٢) من ذلك قوله تعالى مثل نوره كمشكاة .

السجع . ويكثر في الآيات المكيّة وهو أسلوب عربي(١)

ووجدنا في القرآن التشبيه وما هو الغرض المقصود ؟ هو توضيح المعاني الصعبة الخفية الجديدة عليهم . فقرّبها لهم بالامور المحسوسة المألوفة المشاهدة . الكثيرة في المحيط العام . وبذلك جذب عقولهم نحوه(٢) .

فقد يشبه القرآن شيئاً لم يره السامع ولم يبصره . فشبّهه بآخر مقارب له او يحكيه او يماثله او هو محسوس .

فاتخذ القرآن من التشبيه وسيلة إيضاح لفظية لابراز المعاني وكل ماجاءفي القرآن من فنون التشبيه هو الذي استخرجه علماء البيان ودوّنوه وسطروه وقالوه واكثروا الحديث عنه . من حيث أركانه وأغراضه وأنواعه(٣)

وما جاء به القرآن من فنون التشبيه وأنواعه وأحكامه .

وجدناه في كلام علي (ع) ولو درست هذه النصوص دراسة بلاغية لظهرت مدرسة علي عليه السلام وما ذهب اليه واختص به .

(١) السجع اسلوب عربي أصيل ـ كان ولا يزال ـ وورد في تراثنا العربي الاسلامي في كل أنواعه وأشكاله . وفي كل العصور

(٢) وفي القرآن أسلوب وفكرة ـ وفيه مسائل علمية وفيه كنوز . وفيه رموز . وفيه منبهات ـ وهذا ما سنبحثه في فصل قادم . في مدرسة التفسير العلمي عند الامام علي عليه السلام .

(٣) وعندهم ان التشبيه على أنواع عقلي وحسي . ووجداني . ووهمي . وعندهم التشبيه مركب بمركب او مختلف وعندهم وجه الشبه مختلف . وجوزوا حذف أحد أركان التشبيه وهو في القرآن .

دون غيره من علماء البيان العربي(١) وليس هؤلاء كعلي بالقدرة والصولة وليس هؤلاء ببلغاء العرب . وليس هؤلاء هم الذين أوجدوا علم البيان واليهم ينسب . ودعوى الايجاد غير صحيحة ولا برهان عليها وانما كل ما فعلوه وقالوه وقاموا به هو انهم وجدوا كلاماً حسناً ونصاً بليغاً وهو كان موجوداً ومخلوقاً ويروى وينسب لقائله العربي وهم جمعوه ودونوه وحللوه وحكموا عليه واستخرجوا ما فيه من معالم وعربوا الاستعمالات العربية المختلفة وقالوا عنه ما قالوه .

وعلماء البلاغة المتقدمون والمتأخرون منهم . وما قدموه من آثار وبحوث انما هم درسوا النصوص الأدبية العربية القديمة وحللوها واستخرجوا آثارها الفنية وعندها انفصل علم البلاغة عن علم التفسير اللغوي وعلم إعجاز القرآن .

وجاءت بعد ذلك دراسات أدبية جديدة . دراسات النقاد . فظهر النقد الأدبي والناقد والاديب والبليغ والمفسر وكلهم يبحثون ماورد عن العربي وكل يقوم بدور خاص له .

والنصوص الأدبية . التي ورثناها عن الآباء والأجداد . والتي وصلت الينا إنما هي وثائق وشواهد على ما في اللغة من جمال وقوة وموسيقى .

وبحق نقول ان العلوم اللغوية . قبل إستقلالها وانفصال بعضها عن البعض الآخر وقبل كل ذلك . فهي متداخلة ومتلازمة لايمكن

(١) فقد وجدنا للسكاكي آراء يتفرد بها . ووجدنا آراء أخرى لغيره . ولا نريد ان نقارن بين علي (ع) وعلماء البيان العربي . فهو بطل من أبطال البلاغة العربية . واذا تحدثنا عن علماء البلاغة . فهم وجدوا ثروة بلاغية لغيرهم ودوّنوها وليس هؤلاء مجددين وهم القائلون هذه النصوص . بقدرة وهم عرب وبلغاء بالوراثة ويملكون عقلاً خلاقاً ولساناً عربياً بليغاً .

الاستغناء من هذا وذاك .

وهي موجودة قبل استقلالها وقبل كل ذلك . أيضاً فان الكلام العربي القديم ـ من خطبة أو رسالة او مثل عربي أو قصة عربية ـ فهي جامعة لكل فنون اللغة وكل علومها . وهذا الوجود قبل الاستقلال وقبل الانفصال .

وكان أقدم العلوم ظهوراً ونشأة ووجوداً هو علم النحو العربي ثم انفصل النحو والصرف والبلاغة ـ وانفصل التفسير اللغوي ـ وظهر للوجود النقد الأدبي وتطور وتعددت مذاهبه .

ثم تطور الأدب وتعددت فنونه وكل ذلك . فالعلوم اللغوية إنما هي دراسة للنص وبيان ما فيه . فالكلام العربي والكلمة العربية هو موضوع عام للعلوم اللغوية .

وإذا رجعنا الى الدراسات القرآنية وما قدمه المفسرون من آثار فكرية او لغوية وما حللوه من آيات وكلمات واستعمال قرآني . كل ذلك كان له الأثر في نشأة العلوم اللغوية والبلاغيه وتطورها وتعدد مسائلها .

فوجدنا الآيات القرآنية في النحو . ويتساءل اللغويون . هل في القرآن نحو ومسائل نحوية ؟ او هل استفاد النحاة من القرآن في وضع وتدوين المسائل النحوية ؟ ويتساءل البلاغيون .

هل في القرآن مسائل بلاغية مستقلة . مسألة الاسناد ومسألة الاستعارة . والكناية والتشبيه والحقيقة والمجاز ؟

ويتساءل الفلاسفة من المسلمين والمتكلمون والألهيون ـ منهم خاصة هل في القرآن مسائل فلسفية مستقلة لها وجودها ؟ ؟

واذا أردنا الاجابة عن ذلك رجعنا للقرآن نفسه ورجعنا لكلام

علي عليه السلام فأعتبرناه شاهداً على وجود ذلك في المدرسة القرآنية لنستطيع الاجابة . ان النحو العربي والبلاغة العربية . والنقد الأدبي هو في المدرسه القرآنية وفي خلال القرآن وفي كلام علي (ع) .

فقد وجدنا النحو ومسائله . ووجدنا البلاغة العربية وأبوابها ومسائلها في القرآن وفي كلام علي عليه السلام .

نقد وجدنا علم البلاغة ومسائله جميعها في كلام علي عليه السلام تفصيلاً : وجدنا المجاز . ووجدنا التشبيه ووجدنا الاستعارة والكناية والذين حاولوا تفسير كلام علي عليه السلام وشرحه وتوضيحه أدركوا قدرة علي عليه السلام على صياغة القول ووجدوا في كلامه البيان الساحر والروعة . هذا هو علي عليه السلام عند علماء اللغة ـ ومن هذا المنطلق ـ نستطيع القول .

إن ما قاله علي عليه السلام وما ورد عن الرسول ص وما أثر عن الخلفاء كان له الأثر في نشأة العلوم اللغوية عامة . وعلم البلاغة والبيان خاصة . إذن علم البلاغة مادته وشواهده وأدلته . إنما هي عربية ذكرها البلاغيون وأعتبروها دليلاً ومستمسكاً لعلم البلاغة والبيان

فقد وجدوا التشبيه . والحقيقة والمجاز . والطباق والازدواج والجناس واللف والدوران والسجع وغيرها في هذه النصوص وفي هذا التراث المروي عن العرب من قبل ودونوه وصنفوه ووضعوا له أبواباً جديـــدة .

وبدأ علم البلاغة العربية علماً قرآنياً . بدأ بـه المفسرون الذين فسروا القرآن تفسيراً بيانياً . لفظياً . لمعرفة إعجاز القرآن . وما هو ذلك الاعجاز ؟

واذا قلنا ان أكثر علماء البلاغة القدماء هم علماء تفسير . أرادوا

الوصول الى غاية . وهي : بيان معرفة الأعجاز القرآني وأين ذلك الاعجاز الخفي ؟

فدرسوا القرآن دراسة بلاغية وألفوا في ذلك المؤلفات الكثيرة . وتحدثوا عن أسرار هذا الكتاب فكتبوا . في المجازات القرآنية . وفن التشبيه في القرآن .

فكان هذا العلم من العلوم القرآنية ثم استقل بعد ذلك وبقي يدور في فلك . بين اللغة ، وبين القرآن وتحول بعـــد ذلك نتيجة الدراسات الحديثة ودخل في النقد الأدبي الحديث . في كونه علماً يدرس جمال اللفظ . ويعرف قوته ونقاط الضعف في النص .

وإذا بالناقد الأدبي هو البليغ حقاً . وهو النيقد الذي يزن النص ويعرف جماله ومحاسنه وصياغته وصلته بالنصوص الأخرى .

فالبلاغة والنقد الأدبي علمان مترابطان بينهما صلة وقرابة فالناقد وعالم البلاغة كلاهما يدرسان النص في ميزان عربي لتذوّق وفهم وتقييم النص الأدبي . فالبلاغاء نقاد . والانسان العربي من حيث هو هو بليغ ناقد بالفطرة حكم وأصدر أحكامه الادبية .

وكان سوق عكاظ أول محكمة أدبية عربية . والبلاغة كانت في العصور السالفة الأولى . انما هي قول النص الجميل . وجمال في النص الأدبي وصياغته والقدرة على إيصال المعاني الى الاذهان ثم ظهر الى الوجود وأخذ طريقاً جديداً وقطع اشواطا بما قدّمه المفسرون البلاغيون فتحول الى علم له وجوده . فيه الأقيسة والتعريفات والنظريات المنطقية والرياضية وفيه مدرستان :

١ ـ المدرسة اللفظية .

٢ ـ المدرسة المعنوية .

أما المدرسة الأولى فتراعي القوالب والألفاظ والتركيب والصياغة والدواعي والمناسبات .

أما المدرسة الثانية فهي تراعي المعاني ولا تهتم بالقالب كما تراعي المعاني . البعيدة والقريبة . وهي تقترب الى العقليات . والأمور الفكرية .

وهنا نستطيع أن نقسم علماء البلاغة العربية الى أنواع وطبقات وكل هؤلاء يكوّنون المدرسة البيانية وهم :

أ ـ قسم درس الجمال اللفظي ويكوّن هؤلاء المدرسة اللفظية لأنهم درسوا الألفاظ دون المعاني التي تحملها القوالب واعتنوا بالألفاظ وبالتركيب وما فيها من روعة .

ب ـ وقسم درس المعاني . ويكوّن هؤلاء المدرسة العقلية .

وهي التي تدرس المعاني الجديدة والغريبـــة والمعاني المقصودة واللامقصودة . ويحاولون إدراكها والوصول لمعرفتها وبيانها .

وهي تقترب الى القضايا المنطقية المجردة وهي تدور حول نقطة واحدة . وتسير على خط معين : تحاول تفسير النص العربي تفسيراً منطقياً على أساس إنها تشكل قضية عقلية بحتة .

واعتمد أنصار هذه المدرسة على القضايا الفكرية . وما يدور في عالم الذهن والتصورات وعندهم الحس والعقل والذهن وما يرتسم فيه من أمور عامة كلية . أو أمور جزئية . أو أمور بسيطة أو مركبة والمدركات الذهنية والصور المرتسمة في الذهن .

وهناك مدرسة ثالثة بيانية . هي المدرسة القرآنية البلاغية ولعلها أقدم المدارس بدأت بالمفسرين أولاً . وهي التي تحاول دراسة الآية القرآنية وجمالها والوصول الى إعجازها وسبك النص القرآني وما فيه . وهي

المدرسة التي قدّمت للآخرين نتائج مقبولة . وهي التي أخذت بالآي القرآني الى البلاغة والبيان وبعد ذلك ظهرت مدرسة حديثة .

وهي المدرسة الرابعة هي مدرسة النقد الأدبي . وهي مدرسة قديمة عربية حاولت دراسة النصوص الأدبية ومقارنتها وتقييم النص ومعرفة جماله . وبيان قوته وتأثره بالغير ومحاكمة القائـــل وإصدار الحكم عليه .

وبدأت مدرسة النقد ـ بابن قتيبة ـ الذي بدأ ينقـد الكتّاب والانشاء والمقالة .

اعجاز القرآن البلاغي ؟

إعجاز القرآن البلاغي مسألة لايدرك واقعها الا من أخذ نصيبه من البلاغة العربية وغاص في محيطها العربي .

وبلاغة الامام علي مسألة أخرى لاندرك جمالها وقوتها إلا من أحاط بالبلاغة العربية ويتوقف ذلك على دراسة البلاغة العربية ونشأة هذا العلم . وصلته بالقرآن وما قدّمه علماء التفسير اللغوي من بحوث بلاغية بغية الوصول الى ما في القرآن من إعجاز بلاغي وبيان عربي ساحر .

وهنا نتساءل : مسألة فهم إعجاز القرآن تفصيلاً .

هل هي مسألة دينية ؟ أو هي مسألة لغوية لا صلة لها بالدين . كيف والقرآن هو المعجز ويقال أيضاً : كيف فهم الأوائل إعجاز القرآن ؟ أما نحن فيصعب علينا الوصول الى إدراك إعجازه البلاغي والاجابة كان الانسان العربي يفهم ذلك بالفطرة ولا يحتاج الى

دراسة أو سؤال لأن القرآن نزل بلغتهم وعلى أساليبهم فالبدوي من قبل أدرك إعجازه وتذوّق آياته ووقف عندها وأقبل عليها وآمن به قرآنـــاً .

وقد نتوصل الى نقطة ثانية أهمية علم البلاغة من بين العلوم الأخرى فعلم البلاغة يدرك به إعجاز القرآن . قبل أن ندرك فيه الجمال الفني عند العربي وقدرة الانسان العربي على وضـــع الكلمة واستعماله واداءه للمعني وابلاغه لمقصوده بالقول بقرينه او جهة شبه .

وقبل الدخول في الموضوع تفصيلاً :

إن علم البلاغه العربية أخـذ من القرآن . ومن كلام الانســان العربي الأصيل الكثير . وما قام بـــه علماء البلاغة من التصنيف والتبويب والجمع والتحليل والتوضيح والاستشهاد كان لهذه الخدمات أثرها في ظهور علم البلاغة العربية واستقلاله وكان من قبل . إنما هو . علم إعجاز القرآن . وبلاغة القرآن .

ولا نريد أن نقول الامام علي عليه السلام من علماء البيـان . فأين هؤلاء من قدرة هذا الانسان وصولته .

ولا نريد أن نقارن بين مدرسة الامام علي عليه السلام والمذاهب البلاغية الأخرى ومدرسة علي عليه السلام أقدم المدارس . وله صلة بالمحيط وبالتراث وبالقرآن صلة مباشرة .

فاذا كان في كلام علي عليه السلام سجع . فقد جاء هذا الاسلوب في كلام العرب في الجاهلية وفي العصر الاسلامي ونطق بـــه خطباء

العرب والمسلمين .

وجاء في الآيات القرآنية وبقي هذا الاسلوب مألوفاً في العصور الاسلامية . فلماذا يشك هؤلاء في كلام علي عليه السلام لأنه يستعمل السجع(١) ؟ ! .

والسجع يختلف باختلاف قدرة القائل فقد يكون متكلفاً وآخر ليس فيه تكلف . واذا كان الكلام جارياً على الفطرة العربية . وهي عادة العربي وهو المألوف عندهم . به خاطبهم القرآن .

وقد تأثر الامام علي (ع) ببلاغة الرسول (ص) الذي لازمه وصحبه . وتأثر بمدرسة القرآن منذ نزوله وأحاط به وتلاه .

فاذا كان القرآن يكثر فيه السجع فلماذا لا يتأثر بـــه الامام علي عليه السلام(٢) .

واذا كان السجع فناً طارئا كما يدعي المشككون فلماذا ورد في القرآن وفي خطب الرسول (ص) وخطب ورسائل الخلفاء ؟ ! وهذا يدل على أنه كان فناً مقبولاً رائجاً وشائعاً ومستعملاً وموجوداً .

وعلي (ع) هو الذي حفظ القرآن وكتبه(٣) وهو من كتبـــة

(١) الشك في كلام علي عليه السلام بدأ على لسان خصم واحد وتناقله الخصوم المتأخرون ونقول لهؤلاء الخصوم وحتى لو أثبتنا انه كلام علي عليه السلام فليس الكلام يرفع علياً أو يثبت فضله وهو جامع لكل الفضائل والكمالات قال أو لم يقل !

(٢) وقد وجدنا السجع في كلام الرسول (ص) وكلام الخلفاء وعند أساطين الأدب العربي - فلم يؤاخذ أحد عليه رغم تكلفهم فيه ! !

(٣) ولعلي اسلوب معين لا يشاركه أحد فيه لا من القدماء ولا =

المصحف الشريف فكيف لايتأثر به وهو الذي يكثر فيه السجع . ولو أردنا تقديم نماذج من السجع الجاهلي ومن الخطب المأثورة عن الرسول ورسائل الخلفاء لطال بنا المقام .

فلماذا لا يشك في هذا التراث الذي ينسب لهؤلاء وشك بما ورد عن علي (ع) فحسب(١) ؟ !

ولكن علياً عليه السلام تأثر بمدرستين مدرسة الرسول (ص) ومدرسة القرآن . وما تقول في رجل بينه وبين القرآن صلة وقـــد طالت هذه الصلة منذ نزوله . وأيام استمرار نزوله وأسباب نزوله وبينه وبين الرسول (ص) صلة أخرى فكيف لايتخذ من القرآن شاهداً ومرجعاً ومستنداً لما يقوله ؟ !

حملات عدائية :

وفي كل يوم نقرأ صفحة جديدة . وسطوراً سوداء عنوانها

= من المتأخرين - انه اسلوب قرآني - نصاً وروحاً وفكرة وشاهداً .

(١) كلام علي عليه السلام فيه صور بلاغية وشواهد عربية . وعلي (ع) أعاد البلاغة العربية بجمالها وفصولها في خطبه ورسائله - أعادها لسامعيه بلغة مجردة من الدخالة - هـــذا ما صرح به الشّراح لكلام علي (ع) أمثال ابن أبي الحديد وابن ميثم وابن عبده وحتى المتأخرون - اليوم الذين جمعوا ووضعوا الهوامش - والتحقيقات اللغوية - ودققوا نهج البلاغة

الشك(١) . والتشكيك في كلام علي عليه السلام ! والعجب من الاستاذ أحمد أمين حين يقول شاكاً في كلام علي (ع) لانه يستعمل السجع وهو صناعة لفظية . واستكثر على الامام عليه السلام ذلك ووقف عند كلام سيد البلغاء(٢) .

« واستوجب هذا الشك أمور :ما في بعضه من سجع منمق وصناعة لفظية لا تعرف لذلك العصر كقوله (ع) : أكرم عشيرتك فانهم جناحك الذي به تطير وأصلك الذي اليه تصير(٣) »

ولماذا يشك هؤلاء في كلام علي عليه السلام دون غيره ؟ ! وهو كلام عربي وهو يحمل الافكار القرآنية ويحكي لنا لغة العصر الاسلامي الأول ـ وحتى الاسلوب ـ وهو كلام ولد من قبل وروي ويصوّر العصر الذي قيل فيه ـ كل هذا ـ فلا داعي للشك والتردد وفي نسبته للشريف تكلف وافتراء على الرجل وليس الشريف وحده جمع كلام علي عليه السلام ورواه . فقد رواه غيره والشريف أحد الجمّاعين . فلماذا يشك في روايته وسنده ؟ فقد رواه كثيرون اليعقوبي

(١) وقد أجاب العلماء والباحثون عن هذه الشبهات الواهية الهزيلة وأصبحت أقوال وخيالات لا واقع لها ـ وكلام علي عليه السلام هو الحقيقة !

(٢) وقد حكم عليه جمهور من النقاد والمحللون للتراث العربي ان علياً عليه السلام في قمة البلاغة العربية لأنهم قارنوا كلامه وتذوقوه وأحسوا بوجود جاذبية في اسلوب علي عليه السلام وقدرته على الاداء ومراعاته لمقتضى الحال والمناسبة ومعرفته بحاجة السامع فيقول بلا تكلف .

(٣) فجر الاسلام احمد أمين ص١٤٩

وابن قتيبة والمبرد والجاحظ وغيرهم(١)

وحاول المشككون وضع أدلة واهية مم تخيّلوها واختلقوها وبنوا عليها وحاموا حولها . فقال قوم ان الكلام المنسوب اليه كثير وهو أكثر من الايام التي عاشها علي عليه السلام في خلافته . ونقول لهم وباختصار ان الحياة العامة والأحداث والمناسبات والدواعي كثيرة وكثيرة وكلها تقتضي أن يتكلم ويخطب ويجيب ويقول :

إن حياة علي (ع) كانت مليئة بالأحداث وفي كل يوم حادثة ومناسبة وداعي يدعوه عليه السلام أن يقف أمام الجمهور أن يصرّح ويقول ، كيف وهو زعيم أمة ومسؤول عن أخلاقها وآدابها وعن التزاماتها العقائديه . وقد شاهدنا اليوم ـ في حياتنا المعاصرة زعماء الأمم ان لهم في كل يوم قول وتصريح ومقالة ـ وأكثر ـ فلو جمعنا ماصدر عن هذا وذاك في سجل واحد لكانت مجموعة ضخمة وموسوعة كبيرة(٢) . ولكانت أكبر مما روي عن علي (ع) من خطب وأقوال والمدة التي عاشها علي (ع) كانت خصبة بالمناسبات والمفاعلات والتيارات واللقاءات والعوامل وهو ذو قدرة على ارتجال القول بدون تكلف وهو البليغ ـ وهذه ملكة كان يتحلى بها علي (ع) انه يقول وقوله مترسل وقادر على القول اينما كان لأنه بليغ وذو قدرة شهد له المتأخرون والمتقدمون من امراء البيان العربي .

(١) وقد ألّف الشهرستاني كتابه الصغير وأثبت فيه ان كثيراً من جمع خطب علي عليه السلام قبل الشريف الرضي .

(٢) فلو دوّنا ما قاله زعيم واحد منذ توليّه المنصب لكان سفراً كبيراً ولكان أكبر مما روي عن علي (ع) فما يقول هؤلاء المشككون .

ونقول لهؤلاء أيضاً لو حولنا هذه السنوات من خلافته (ع) الى أيام والأيام الى ساعات .

وقلنا لهم كان له بكل يوم خطبة واحدة او بعد كل فريضة مجلس إرشاد أو إجابة ويسمع المصلّون كلامه وأنفضوا وهم يرددون كلام علي (ع) فعلى هذا يكون له في اليوم الواحد أكثر من مقالة وأكثر من خطاب توجيه وتوعية او خطبة في وقت معين في ساعة معينة من ذلك اليوم .

ولو جمعنا هذه الخطب في ديوان واحد لكان عندنا حصيلة ومجموعة فيها ما يقارب ألف خطبة على الأقل - ونقول لهم اين الكثرة المزعومة فهل ورد عنه ألف خطبة ؟ أما الخطب المذكورة فلكل خطبة مناسبة مذكورة والرسائل كذلك . وكل الرسائل والخطب لو جمعناها لا تصل الى الألف خطبة .

وحتى لو جمعنا خطبه ووصلت الى ألف فلا منه ذلك لأن المناسبات والدواعي والأحداث والفترة التي عاشها علي (ع) كانت تدعوه الى العلاج الفكري - وهو كان كذلك - رجل معالجات . ورجل إجابات سريعة - وتلقائياً - واعتيادياً يقول وهذه هي قابليته وطبيعته الأدبية . ونرجع للشريف الرضي فان ما ذكره الرضي ورواه من خطب جده علي (ع) فهي مقتطفات من خطبه وليس هي خطب مستقلة أو كاملة . وانما هي محاسن كلامه وما استحسنه الشريف وما رأى فيه روعة بلاغية تفوق قدرة البلغاء فاختاره ورواه فهي في الواقع مستحسنات من كلام علي (ع) وخطبه فليس خطب كاملة .

فقد تكون كل مجموعة من المقتطفات ومن المحاسن المتعددة

تشكّل خطبة واحدة فاذا جمعنا هذه المقتطفات كلها تصبح خطبة إذاً سيكون عدد خطبه قليلاً وأقل مما تصوّره هؤلاء المشككون القائلون بأنها خطب كثيرة . واحتملها مؤرخو الأدب العربي - المشككون في كلام علي (ع) - وظنوا بأنها خطب كثيرة - كما زعموا - وإنها تحتاج لزمان أوسع وأكبر من المدة الزمنية التي عاشها علي (ع) أيام خلافته .

وما علم هؤلاء المشككون - ان أيام علي (ع) كانت مناسبات معلومة ولها صلة مباشرة بالحوادث العامة في زمانه . ومفارقات وقعت وصدرت من حكام زمانه عليه السلام فما هو موقفه أمام ذلك ؟ !

ولعل هؤلاء تصوّروا ان كل مقتطف يروى عنه يشكل خطبة مستقلة . وليس كذلك وليس كما تصوّره هؤلاء .

ونتساءل مع هؤلاء : هل يليق بعلي او يتناسب له ان يرقى المنبر ويجتمع حوله جمهور من الناس ويقف خطيباً ويخطب بسطرين او ثلاثة أسطر ؟ ! وهل يصدر من علي (ع) زعيم الأمة وقائدها ان يقف بعد ما يشاع في العاصمة الاسلامية وبين الأوساط أن علياً (ع) في هذا اليوم سيقف خطيباً ويزحف العامة والخاصة . وإذا هو يقول كلمات وجيزة !

ثم ينفض الناس عنه - وهو الذي عرفته المناسبات وجرّبوه وأختبروه في المناسبات - هو بطل في الخطابة - ونقول لهؤلاء هل يتناسب للشريف الرضي - وهو الذي يعرف بورعه وقداسته أن ينسب لجده علي (ع) أو يضع على لسانه ما ليس له ؟

وهل يتناسب له أن يعتقد بأن هذه القطعة الوجيزة من كلمات قليلة إنها خطبة كاملة ؟ ! والواقع هي مستحسنات من خطبه وهو

الذي يصرّح . من محاسن خطبه . أو من كلام لـــه . او ينتقي ويختار او يقتطف فصلاً وجد فيه إعجازاً بلاغياً والنص هو دلالة ودليل على صحة صدوره عن علي (ع) .

وقد يكون هذا المقتطف وهذه القطعة وتلك . كل ذلك يرجع الى خطبة واحدة قيلت في مناسبة معينة ! وكلامه المذكور في صفحة كذا ـ وكلامه الثاني والثالث والرابع ـ وكل ذلك يشكل خطبة واحدة خطبها ـ وهذه فصول متتالية متواصلة وبين هذا الكلام وذاك رابطة وصلة فأين تلك الكثرة التي تصوّرها هؤلاء ؟ وأين تلك الخطب العديدة الكثيرة المحتملة المزعومة ؟ ! وما علم هؤلاء ان كل ذلك يرجع الى خطبة واحدة قالها في مناسبة ـ عسكرية وسياسية ـ او مناسبة اجتماعية ـ وفي زمان معين ومكان خاص ـ وتناقلها المستمعون له ـ وكل أخذ نصيبه ـ وانطبع في ذهنه ما استحسنه وتأثر به .

شأن هؤلاء ـ شأن طلاب الصف الواحد . كل يروي حديث استاذه حسب قدرته على الأخذ وحسب إستعداده الذهني وتذوقه . وبقي كلام علي (ع) رواية وحديثاً وشاهداً .

وفهم كلام علي (ع) مسألة تتوقف على معرفة علي واسلوبه ولغته والامه النفسية ودوافعه وبعد ذلك يعرف علياً وكلامه !

حركة الاجتهاد في الشريعة
وموقف الامام علي (ع)

وفي هذه المرحلة بالذات . يظهر فقه الامام علي (ع) وإحاطته بالشريعة . ولعل علياً (ع) هو أول الصحابة إجتهد في الشريعة

واستخرج الحكم . ووضع له الدليل من القرآن .

وهنا نصل الى نقطة . وهي مقدار ما كان يحمله علي من معرفة لأحكام الشريعة واستيعابه وقدرته على إستنباط الحكم من معدنه وواقعه . وقبل ذلك . فقد كان الامام هو المرجع الأول للصحابة ومرجع للفقهاء في العصور الاسلامية .

وبدأت حركة الاجتهاد عند الصحابة في إستنباط الحكم الشرعي وعليه سار الفقهاء ورجعوا فيما بعد وأخذوا الكثير عنه .

وكان في مقدمة الصحابة وأكثرهم سعة واستيعاباً للحكم الشرعي وقدرة على استنباط هذا الحكم من القرآن .

ولعل علياً (ع) أول من اجتهد واستنبط وكان الدليل والمفزع والباب الواسع للصحابة . والباب الذي انفتح أمام أفكارهم في ساعات حرجة . وعند أحلك الظروف وفي المسائل المعقدة .

ويتوجه السؤال التالي :

من هو أول فقيه اجتهد في الشريعة فأصاب في اجتهاده . وكان موفقاً في استنباط الحكم ـ من مصدر التشريع ـ واغترف من القرآن والســنــة ؟

ولعل القول . والاجابة انه بحق ـ أول الصحابة ـ واسبقهــم إجتهاداً في الشريعة هو علي بن أبي طالب عليه السلام وقد أجتهد فأصاب الواقع .

وكان إجتهاده المدرسة الأولى التي دخلها المجتهدون من الفقهاء فيما بعد . وكان إجتهاده . المصيب للواقع والذي بيّن فيه الشريعة وفي أمور ومسائل وفروع استحدثت فيما بعد وحار فيها الصحابة . فاذا أدلهم عليهم الخطب واذا أكفهرت عليهم الايام وأظلم أمامهم

الأفق ولم يجدوا جواباً ولا مخرجاً رجعوا الى أبي حسن واعتمدوا عليه فهو المفزع وهو المنزل .

ولعل أول حادثة حدثت في الاسلام وبعد وفاة الرسول (ص) . هي مسألة شرب الخمر . فقد احتار الصحابة في الجواب في إقامة الحد على الشارب . فقد شرب الخمر رجل مسلم وهو بين رهط من المسلمين وكان منهم جماعة يشربون الخمر . وفي هذه المسألة إحتـــار الخليفة الثاني . لأن الخمر لم يفصّل القرآن بيان الحد ولا في السنة فليس له حد معيّن في ذلك . وكان الامام علي (ع) هو المرجع . قال الامام طوفوا به على مجالس المهاجرين والأنصار . يسألونهم هـل قرأ عليه أحد آية الخمر ؟ لأن الرجل أدعى أنه لم يسمع بآية تحريم الخمر ؟ . فأجاب الامام عليه وأستنبط ذلك . لأن الشارب إذا شربها يبلغ الى حد الهذيان وكان الامام (ع) قال ـ يحدّ من اولزم شرب الخمر ـ ويبان ذلك . إن الشارب إذا شرب هذى وإذا هذى إفترى وإذا إفترى طبق عليه الحد

فقال الخليفة الثاني لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن علي عليه السلام ونرجع الى ما بدأنا به .

لدراسة علم الامام علي (ع) ومستواه ومقدرته وإحاطته . فالامام والحديث عنه . لا يكون إماماً للأمة إلا أن يكون أعلمها . لايدانيه عالم وقد كان ذلك شرط من شروط إمامته .

ولتوضيح ذلك ـ فما قدم للامام ـ من حيث هو هو ـ من أسئلة لو وجهت هذه الأسئلة لأفضل عالم في عصرنا لما إستطـــاع الاجابة عليها ـ قطعاً .

وبعبارة أخرى لو توجه سؤالاً الى أعظم عالم من علمـــاء اليوم

المتخصصين في علم النفس وعلم الذكاء . وعلماء العقـــل البشري والاحساس البشري والفسلجي والتركيب العضلي والوظائف . والمعنيين بالمختبرات والعلوم الانسانية .

لو توجه اليه واحداً من الأسئلة التالية التي وجهت الى علي عليه السلام من قبل ألف سنة . فهل يستطيع هذا العالم الاجابة عليها .

فقد سئل علي عليه السلام :

قال أخبرني عن الرجل اذا نام أين تذهب روحه ؟

وعن الرجل كيف يذكر وكيف ينسى ؟

لو شئت لاستخرجت من هذا ناراً

كلمة تروى عن علي (ع) . حينما مرّ على الفرات وقد تدفق ماؤه . فقال : لو شئت لاستخرجت من هذا ناراً(١) .

ويستطيع إبن أبي طالب (ع) ذلك وليس هو ضرب من الخيال وانه يقدر عليه . وهذا شأن الأنبياء من قبل .

فقد فعل ـ متى النبي ـ أبو يونس ـ الرسول (ص) ذلك .

فقد ذكر القيرماني المؤرخ . في كتابه المطبوع على هامش تاريخ إبن الأثير عند ذكره للانبياء . قال طلب قوم متى منه معجزة . أن يخرج لهم من البحر ناراً . ففعل ذلك وأخرج لهم ذلك .

وعلي (ع) وارث الأنبياء وذو الدراية والاحاطة . فكيف لايقدر

(١) هذه الكلمة رواها المتأخرون ـ الكتّاب ـ والباحثون . ذكرها الحوماني في كتابه دين وتمدين ومروءة . وصاحب كتاب علي والناس .

وكيف استطاع غيره وبعد عصور لاحقة أن يضع المحرك الديزل ميكي والمولد الكهربائي عند الشلالات المتدفقة ليستخدمها في الشؤون الكهربائية والزراعية ؟

وهل ذلك أمر صعب لعلي ؟ !

وكيف استطاع العلماء اليوم ان يتجهوا هذا الاتجاه العلمي نحو الفضاء ؟ ويتجه علماء الدول الكبرى اليوم نحو دراسة هذا الفضاء . ويصبح هو الشغل الأول والأخير لهم .

وتحوّل العلماء نحو الفضاء وأكثروا البحوث العلميـــة اليوم لدراسة الفضاء الكوني . ويسعى هؤلاء العلماء كما يقولون لمصلحة الانسان . ولسلامـــة البشريـــة . والملاحة الفضائية قد تتخذ لدمار البشرية . والتسابق في اختراع الاسلحة الفيزيائية الفتاكة ولمصالح أخرى خفية وأغراض سياسية مقصودة . رغم ذلك فقـــد أصبح الفضاء علما .

معاجز علمية يحققها علماء اليوم

في كلمات علي عليه السلام . وفي موجاته الصوتيـة المشرقـة وفي تياراتها وجاذبيتها . وانغامها المسطحة غير المتشنجة . في هذه الاجواء ستبقى خالدة وإن علماء اليوم هنا وهناك . في هذا اليوم وفي غـد سوف يقرأون ذلك التراث ويدركون من هو علي (ع) .

واني من القائلين ان نهج البلاغة سوف يقرأه أناس ويحللون أقوال علي (ع) ومن جديد يدركون انه من أبطال المعرفة الاسلامية وما قام به علماء اليوم ـ فان علياً عليه السلام أشار اليه من قبل :

١ ـ فكرة تجميع الحرارة الشمسية .

وهي محاولة يقوم بها علماء اليهود في مجال استغلال الطاقة الشمسية « فقد نجحوا على حد زعمهم ـ في تطوير طريقة جديدة لتجميـــع حرارة الشمس تضمن الحصول على قدر كبير من هذه الحرارة بواسطة مجمعات او سطوح ضيقة المساحة نسبياً . ويقول هؤلاء العلمـاء ان مقادير الطاقة الكهربائية التي أمكنهم الحصول عليها بطريقتهم تلك بلغت ٣٠٠٠ ميغا واط بالمتوسط سنوياً أي ما يعادل نحو ٢٨ مليون برميل من البترول وهذه مقادير كبيرة جداً تزيد قيمتها على ٥٥٠ مليون(١)

ونتساءل ان مثل هذه الفكرة العلمية التي يقوم بتطبيقها علمـاء اليوم . فهل جاءت إشارة قرآنية لها ؟ وهـــل ورد تصريح عن علي عليه السلام فيها ؟ وأيضاً فقول العلماء ذوو الطموحات العليا الذين غزوا الفضاء وحلّقوا وحققوا ذلك فهل كانت مثل هذه الطموحات في نفس علي (ع) ؟

فنحن نعيش في عصر الانتاج المدني والانتاج الحضاري(٢)

في عصر غزت الأسواق هذه النتائج العلمية وفي عصر ازدهرت التكنولوجيا والميكنكة . فهل لعلي إشارة في خطبة من خطبه أو تصريح علمي ـ يوثق به ـ وهل هناك قول فيه جانب قوة ليدرس ويقارن مع هذه النتائج العلمية في عصر الازدهار الفكري المعاصر ؟

وأين العقول الواعية ؟ وأين العقلية العلمية لتدرس تراث علي عليه السلام دراسة جديدة ؟ وهل يكون ذلك ؟ ومتى يتحقق ؟ وقد قطعنا أشواطاً في المعارف واتسعت أفكارنا ـ كما ندعي ـ فأين

(١) مجلة العربي الكويتية العدد ٢٢٩ كانون ١٩٧٧ ذي الحجة ١٣٩٧

(٢) وفرق بين الحضارة والمدنية .

الدراسات العلمية لتراث علي (ع) ؟ .

ولكن العقل الحديث الذي أطلع وعظم وأخذ يرى ان علماء اليوم لعبوا دوراً هاماً في المجالات العلميـــة مثلاً ـ علم الضوء ـ والأحياء والفيزيـــاء والنبات وعلم التكنولوجيا والبايولوجيا . وعلم الاديولوجيا ـ وغيرها من العلوم ـ كالفسلجة والتشريح والبكتريات . وظهر علماء في الوجود كالمختصون بالأنسجة والخلية . والوراثة عند الحيوانات والأجنة . وعلماء الأمراض العقلية والنفسية والوراثـــة البشرية هذه علوم . وهؤلاء علماء مختصون فما هو نصيب علي عليه السلام من هذه العلوم ؟

واليوم توصل العلماء الى إختراع ميكروسكوب ضوئي لتحديـــد شكل الخلايا . وأكثر من هذا وأبعد من ذلك فقد تمكن علماء قسم الميكروبولوجيا ـ علم الأحياء الدقيقة(١) من تحديد شكل الخلايـا الحيّة عن طريق تصويرها بواسطة ميكروسكوب ضوئي متقدّم يعرف (بميكروسكوب) نور مار سكفي ويعتمد على ظاهرة تداخل موجات الضوء وتمكن هؤلاء العلماء من الحصول على صور تظهر فيها بوضوح التضاريس الدقيقة لسطح الخلية وتفيد تلك الصور في البحوث المتعلقة بتفهم فسيولوجيا الخلايا وكيفية إنقسامها وطبيعة مكوناتها الداخلية ووظائف تلك المكونات(٢)

(١) كما تحقق ذلك في مستشفى التعليمي في لندن .

(٢) راجع كتاب الامام والعقلية العلمية للمؤلف . فقد وجدنا ذلك كله في كلام علي (ع) . فقد فكر علي تفكير العلماء اليوم . فقد دعا علي عليه السلام الى استخدام العقـــل . والاعتماد عليه والرجوع اليه . وهي مسأله قرآنية فقد مدح ـ

واليوم فقد استطاع العلم أن يحوّل التيار الكهربائي والشحنة الكهربائية بصناعة أجهزة والفضل الأول للعالم الذي اكتشف هذه الطاقة . والفضل الثاني لمن استطاع إيصالها في أسلاك من مكان الى مكان آخر تسري في سلك . ثم أوجد العلماء أجهزة لاستخدامها . فحوّلوها الى صوت او صورة أو نار تستخدم في تذويب أي جسم صلب . حوّلوها الى وسيلة تبريد وتهوية . وحولوها الى وسيلة محركة ودفع وسحب بقوة متناهية . وحولوها الى آلة تسجيل وطبع . وحولوها الى نور للاضاءة .

هذه هي الخطوات العلمية الجديدة فهل لهذه القضايا العلمية نصيب في علم ومدرسة الامام علي عليه السلام بالأمس ؟ هل هي أمور لم يتوصل اليها . او لم تكن بذات حاجة او ذات أهمية أو ليس بذات نفع للبشرية ؟ لماذا لم تصدر من علي (ع) مثل هـــذه الخطوات العلمية ؟ وهل بذلت جهود للاستفادة من الطاقة الشمسية . والضوء والحرارة وأثرها وتأثر الأرض والحيوانات والأجسام النامية ؟ فما هو موقف مدرسة الامام علي (ع) من ذلك وهي قضايا

ـ القرآن في أكثر من آية العقل والعقلاء ـ والتفكير ـ وأما علي عليه السلام فقد دعا الى التفكير أولاً . ثم القول فقد ورد عنه عليه السلام ـ من تفكّر أبصر ـ وقد وجدنا في كلام علي (ع) تأملات علمية وأحاديث عن هذا الكائن وتركيبه . عقله ولسانه وروحه وتكوينه . وقد تسأل ما هو الانسان عند علي (ع) هل هو الجسد او القالب ؟ ووجدناله أحاديث عن النور والظلام وعن الأرض وتكوينها ووجودها وصلة القمر بالشمس والكواكب . وعن السماء ووجودها .

علمية نشطت اليوم وأخذت دورها؟ هل كان نصيب في مدرسة علي (ع) للبحوث النووية او مجال للأفران الذرية . او دعوة لطلابـــه نحو الفضاء . او تشجيع طلابه على التجارب العلمية . ليتوصلوا الى حقائق هامة ؟

فقد اكتشفت هذه الدراسات حقيقة هامة وهي إكتشاف وجود جبال . وان جبال القمر أعلى من جبال الأرض وقد صرّح علمـاء الفضاء ان في القمر جبالاً يصل ارتفاعها الى عشرة كيلو مترات بينما لا يزيد ارتفاع أعلى جبال الأرض على تسع كيلو مترات

وهذه معجزة علمية هامة إكتشفها ذوو المركبات الفضائية التي حلقت في هذا العصر ودرست القمر وقامت بقياس تربة القمر وطبيعتها فهل ورد في تراث علي عليه السلام تصريح يدل على ذلك(١) .

ويقول الناقدون . وبجرأة إن لم يكن لهذه العلوم نصيب في مدرسة الامام علي فعلى الاقل . هل كان نصيب للتنقيب العلمي ودراسة التربة ؟ ألم يكن علي (ع) يملك الوقت لذلك وأوقات الفراغ كثيرة . صحيح كانت فتن وحروب ومشاكل داخلية لكن كان باستطاعته أن يرع هذه الأمور العلمية ليغرس هـــذا الغرس ويثمر ويحقق النجاحات من قبل .

أما اليوم فقد توصل هؤلاء الدارسون للتربة وطبقـــات الأرض ونتيجة التنقيب العلمي . فقد توصل هؤلاء لاكتشاف معادن الاورانيوم

(١) راجع كتاب الامام علي (ع) والعقلية العلمية للمؤلف فقد ذكرنا أكثر من خمسمائة مصطلح علمي وردت في كلام علي وهي كلها مستقاة من مدرسة القرآن حقاً إنها اقتطفها الامام من كتاب الله في مختلف المجالات العلمية .

ونتيجة هذه الدراسات الدقيقة ناموا بأنشاء شبكات علمية لتشميـع الوحدات لبذل الجهود في المجالات العلمية .

ونشطت اليوم الدراسات الفنية الضوئية . ونرجع الى عصر علي عليه السلام وحاجات الأمة أيام علي . وما هو كان شاعاً . من الافكار والمسائل . فلو قيس علماء أمس الى علماء اليوم . وجدنا فروقاً بين الأمس واليوم وحاجات انسان أمس وانسان اليوم وانسان غـــد فالمتطلبات مختلفة والدواعي متعددة .

أما علماء أمس الذين عاشوا بالأمس فقد أتعبوا أنفسهم في أمور جانبية وقل بحثوا أموراً ومسائل هامشية واشغلوا أنفسهم في قضايا ضيقة لا تدفع بالبشرية الى الأفضل وحسب . فما ورثناه عن السلف فهو مسائل معينة تدور في فلك خاص ولم تتعدّ ذلك .

وقولنا ان علياً عليه السلام لم ينقب ولم يخترع فليس عصر علي عليه السلام هو عصر إختراع او تنقيب علمي . أمـا من يقول إن علياً (ع) لم يتحدث عن كوكب الزهرة او عن المريخ او عن سطح القمر او عن الذرة . بالعكس كان عند علي (ع) طموحات علمية ولكن لم يجد المحيط الذي يزرع فيه أفكاره ولا بقاء عصر علي عليه السلام بهذا العصر . اليوم يوم الوسائل العلمية . ويوم التحقيق والنتائج العلمية والتجارب . اليوم يوم المخترعات اليوم حلّق العلماء بالمضلات ووصلوا الى كوكب الزهرة وأطلقوا أجهزة مصوّره والتقطت صوراً للأجرام وأرسلتها لأهل الأرض وحصلوا على معلومات هامة . حول الغيوم وطبقة الغيوم التي تلف كوكب الزهرة . وأكثر من ذلك حصلوا على معلومات هامة حول الاضاءة على سطح الكوكب والتقطوا أول صورة فوتوغرافية التقطت لكوكب الزهرة ان هذا نجاح علمي .

أما في مجال العلوم الذرية فقد ارتقت . ويجب أن يكون الكلام عن علي (ع) من جهة واحدة عن عصره وعن عقلية الأمة . أما لماذا لم يخترع ؟ ولماذا لم يكتشف ؟ كلام ليس له جانب من الواقعية أو موضع من الصواب .

لكن القول هو ، هل كان عنده طموحات علمية وتنبآت علمية هامة ؟ مثل هذه تشهد له بمنزلته العلمية . فان علياً عليه السلام كان عقلية علمية بشهادة خصومه وكان علياً (ع) ذا طموحات وكان فوق عقلية الأمة . فهو رجل علم وداعي للعلم وهو لو وجد أرضاً قابلة لأفاد علماء الدنيا وأراحهم من العناء .

والسؤال البارز المشرق هو هل كان علي (ع) يعلم بهذه العلوم الحديثة والاختراعات قبل ظهورها واكتشافها ؟ ولماذا لم يعلّم المسلمين بها ؟ .

والاجابة على مثل هذه الاسئلة لابد لنا من دراسة الواقع النفسي الذي عاشه وكان يعيشه الامام علي (ع) . ومقدار إستفادته من القرآن ودراسة القرآن بعمق ورموزه ومعرفة الآيات القرآنية . ودراسة الفترة الزمنيه التي قضّاها علي (ع) في خلافته . وهل كان عنده ذوق علمي ؟ وهل كان باستطاعته ان ينشر هذه العلوم؟ ولو نشرها من قبل هل تهضمها العقلية العربية المسلمة . وهل كان هناك طلاب لمثل هذه العلوم يتقبّلونها بالقبول والرضى والفهم ؟

ويدعونا أيضاً دراسة علوم المدرسة الاسلامية وأي علم مباح وأي علم كان محرماً .

وما هي نظرة الاسلام للحياة وللانسان ؟ وماذا يفيد هذا الانسان وما لايفيده وما هو عبث في دراسته ؟

وبعد هذا كله ندرس حياة الامام علي (ع) وهل كان يملك أوقات فراغ لينشر هذه العلوم وهذه التجارب الشائقة . ودراسة عقلية المسلمين الذين عاصروه ورغباتهم ومعتقداتهم كل هذه المراحل تتخطاها في الدراسة .

وبعد ذلك نصل الى نتيجة علمية ان علياً (ع) حاول ذلك . وقام بعدة محاولات لرفع مستوى عقلية الأمة وتوجيهها الوجهة الصحيحة ـ للاستفادة من علوم القرآن وينهلوا من فيض مدرسة علي (ع) وعندها نعرف مقدار حرصه على أن يستفيد الانسان المسلم من مدرسة القرآن .

وماذا يقال في رجل ينادي في أمته « سلوني قبل أن تفقدوني » وماذا يقال في رجل جريح ينزف دماً رجل محتضر يدفعه الحرص ان يسألوه وينادي هذه الليلة معكم ـ فأسألوني ـ وبعيدها ثلاث ! سلام الله عليك يا أبا الحسن (ع) ! ثم يعقب قوله بعطفه وخففوا بسؤالكم لمصيبة أمامكم » والله أقول ـ وهو العامد ـ إن علياً (ع) مدرسة علمية صادقة تقطر العطف والانسانية !

وعلوم علي (ع) هي علوم هداية وإرشاد وتوجيه . والذي أباحه الاسلام من العلوم هو العلم الذي يعود بالفائدة على الآخرين أما العلم الذي من وراثه فساد الارض ودمار الوجود وخراب وفناء . فان ذلك من العلوم المحرمة في الاسلام . لأن علياً (ع) يمثل هداية الناس وما جاء الاسلام إلا لذلك .

وليس الاسلام دين يشجع ما يهدد البشرية بالدمار وجدير بعلي عليه السلام أن لا يشجع مثل هذه العلوم . او يدفع المسلمين لذلك لصناعة هذه الأسلحة النارية التي تنذر بالويلات لم يأت الاسلام

بذلك ولم يصل علي (ع) من أجل ذلك . لن الاسلام دين السعادة وعلي (ع) إمام هدى - ونقول وآخر ما نقوله -

وهل استفادت البشرية اليوم من هذه المخترعات الراحة والسعادة والأمان والاستقرار ؟ وما هي إلا شبح ينذر بالفناء والنار والدمار تعالى الاسلام عن ذلك . وعلي هو العالم الانساني !

وندخل في مدينة العلم . الذي بناها الاسلام وأقام وجودها . وبنيانها وهتف صاحب الرسالة منادياً «أنا مدينة العلم»(١) .

وماذا قصد الرسول (ص) ؟ وكيف نتصور هذا المقصود ؟ وهل لهذه المدرسة وجودها الخارجي وماذا ورثناه عن هذه المدرسة ؟

ونتساءل ما هو المحتوى العلمي الذي كان في الرسالة الاسلامية ؟ وهل جاءت الشريعة دعوة للعلم وخلقت علماء مفكرين أو هي دعوة للعبادة فدعت للطاعة وكونت رجالاً عبّاداً ثم تبحث عن المسلك والصراط الذي نسلكه للوصول الى ذلك المحتوى وكيف الدخول الى تلك المدينة العلمية ؟ التي جاءت بها الشريعة وبنتها الرسالة . وان النبوّة دعوة علمية نشرت العلم في الأرض وان الأنبياء هم دعاة للعلم والاخلاق الانسانية قبل أن يكونوا دعاة عبادة ، وهم الذين نشروا المعارف والاخلاق بين الامم وهذّبوا الانسانية واخذوا بها الى هذا المستوى من المعرفة . وندخل في حديث آخر .

هل لهذه المدينة باب نجتازه ؟

أ ـ وما صلة الامامة بالنبوّة ؟

ب ـ وما هي الصلة بين علي ومحمد ؟

---

(١) حديث نبوي رواه الفريقان ولا يشك فيه مسلم ومن شك فيه . فهو ليس من الاسلام قطعاً .

ج ـ وما هي الصلة بين علي والعلم ؟

وهل نقطع ان علياً (ع) باب تلك المدينة العلمية ولا دخول ولا ولوج ولا وصول الى تلك المدرسة إلا عن طريق الامامة ؟

وبعد ذلك ندرك نقطة أخرى لا تخلو من أهمية لا نعرف محمداً (ص) وما جاء به الا اذا عرفنا علياً (ع) . ولا وصول الى أبعاد شخصية محمد (ص) إلا عن طريق علي (ع) لان علياً أعرف به ذاتاً ورسالة وتشريعاً .

وقطعاً ان الدخول الى مدينة محمد (ص) العلمية إلا عن طريق علي (ع) . فهو باب العلم . وهو باب الى معرفة النبوّة « ادخلو الباب » وهو الباب من أتاه أتاها(١) !

وهل كان علي (ع) كذلك ومؤدى ذلك . ان علياً بعد الرسالة خلف وخليفة وهو أفضل هذه الامه بعد نبيها لانه امام ويجب أن يكون الامام كذلك فهو وعاء العلم علم النبوّات وكل ما جاء به الانبياء وهو كذلك !

والامام يكون كذلك وإلا فكيف يكون هو الامام إذا لم يكن أعلم وأفضل الأمة وأكثرها إحاطة بالشؤون العامة وأشدها حرصاً على المصلحة العامة .

---

(١) وقد تسأل عن علوم تلك المدرسة الاسلامية . وهي كل ما ينفع الانسان في الحياة . وما يترتب عليه نفع الآخرين . ولا خير في علم لا ينفع . والعلوم الاسلامية ليس الفقه وحسب فكل علم فيه نفع للفرد والأفراد هو مباح وقد يجب تعلمه وتعليمه حسب الحاجة الداعية .

وهذه مسألة عقلية قبل أن تكون دينية(١) إن الامام هو الانسان الكامل وهو أفضل من رعيته في جميع مراتب الكمال الذاتي . ويجب أن يكون الامام أكثر كمالاً وأطهرهم نسباً وأعلاهم قدراً وأرفعهم خلقاً ، فهل كان علي (ع) كذلك بعد الرسول (ص) ؟ وهل علي (ع) كذلك إمام الأمة ؟ وهل هو الانسان الكامل بعد الرسول(٢) كما ندعي فما هو البرهان المنطقي على ذلك ؟

مسألة لابد من تدعيمها بأدلة مقبولة وهي ان علياً (ع) كان أعلم الصحابة في أمور الدين والأمور الاجتماعية العامة لسياسة الأمة سياسة عادلة . وهو الذي برهن على ذلك قبل ان نقدّم لك دليلاً .

وهل كان علي (ع) أعلم هذه الأمة ؟ والدليل الذي نقدّمه وما نذهب اليه عقائدياً . فانه :

كان أعلم الصحابة في الشريعة . ورجعوا اليه وهو من الثابت قطعاً ، ورجوعهم حجة على ذلك وحتى شيوخ الصحابة رجعوا اليه في القضايا السياسية وهو لم يرجع اليهم ولكنهم إحتاجوه وسألوه وهو الذي قدم النصائح وأخذوا بها وما ورد . ولا عثرنا على

(١) ومن شروط الامـــام هو ـ العلم والورع وطهارة النسب والقرابة ، وهناك شروط أخرى كثيرة ذكرت ونص عليها الفريقان . فيجب علينا معرفة الامام تفصيلاً . من هو ؟ وكيف هو ؟ ولماذا هو ؟ .

(٢) هل عرفنا علياً حق معرفته ؟ فاذا كان الجيل الذي عاش فيه علي (ع) من قبل لم يدرك علياً ولم يتوصل الى معرفة علي عليه السلام وأبعاد شخصيته . فهل درسنا اليوم علياً دراسة جديدة وحللناها بعقلية جديدة . لنعرف من هو علياً (ع) ؟

نص يثبت لنا أن علياً سأل الصحابة في مسألة شرعية أو توقف عن الاجابة ، وهل كان غير علي كذلك ؟ الجواب قطعاً .

ولكن القوم رجعوا اليه لانهم أعرف به منا ، ورجعوا اليه حتى في تنظيم الجيش . وقضايا القتال وأخذوا بما قاله لانه الصواب وكان له الرأي في الشؤون الحربية لأنه القائد للجيش ـ القائد الشرعي ـ وهو الذي أعطاه الرسول (ص) القيادة ، وحارب ورجع فاتحاً ولأنه دارت الحروب على ساعده منذ شبابه . وشهد له الصحابة بانه أعلم هذه الأمة بهندسة الحروب ووضع الخطط للمواجهة على عهد النبي (ص) هذا علي (ع) على عهد الرسول (ص) !

وما يقال في علي (ص) وهو الذي ردد وأعاد وكرر من صوته العالي الرفيع الذي رواه الرواة وهو فوق منبر الخطابة . ويقول كلمته « سلوني قبل أن تفقدوني » وهنا يقف الناقدون هذا الموقف الجريء عندما يسمعون هذه القولة . ويقرأون هذه الكلمة لعلي (ع) .

أ ـ هل وجه علي (ع) طلاب مدرسته نحو الدراسات العلمية ؟ وهل شجعهم ـ على الأقل ـ لدراسة حشائش الأرض للوصول الى نتيجة مقبولة لمكافحة المصابين بالأمراض ؟ وقطعاً كان في زمان علي (ع) أمراض مستوطنة فلماذا لم يخط علي عليه السلام مثل هذه الخطوة خدمة للأجيال ؟

ب ـ هل اهتم علي عليه السلام بالعلوم الفضائية ووجه طلاب مدرسته نحو دراسة الكون والتحدث عن المريخ والأبعاد ، والسنة الضوئية وسرعة الضوء وسرعة الصوت وغير ذلك ؟

ج ـ قيل كان عند علي عليه السلام طموحات علمية وما هي ؟ وهل وجه الأمة نحو العمل ودعاهم الى نوعية معينة من الاعمال ، وهل

حارب البطالة السائدة آنذاك ؟

د ـ وهل دعا علي (ع) الى التنقيب والحفريات للوصول الى معادن ثمينة وكنوز دفينة .

هـ ـ وهل كان لعلي (ع) مرصد فلكي او منصار او فكرة علمية . أو دوّن وصفة طبيّة لأحد المرضى ؟

وهل قام بمحاولة تجريبية ، وهل عالج مريضاً ومصاباً أو راجعه مصاب بعينه او قلبه وأرشده لتناول دواء لمن يشكو ألماً ولو من حشائش وأعشاب او عقاقير ومركبات هل صدر منه او روي عنه مثل ذلك . وأكثر من ذلك ما هي النظريـــات العلمية له في موضوع الرياضيات والطب والفلك والكيمياء . وهل عثرنا له مثل ذلك ؟ ونقول أيضاً ـ هذه لغة النقاد ـ اليوم

ما هي النصائح السياسية التي تركها علي عليه السلام للامة لتسير عليها وتأخذ منها لتسعد في حياتها ؟

وما هي البنود العامة القانونية التي شرعها علي عليه السلام لتطبق في الدولة الاسلامية . ويأخذ بها الشعب المسلم ولنأخذ بها نحن في حياتنا الاجتماعية ؟

وهل اكتشف الامام علي عليه السلام مكتشفاً علمياً قبل غيره من العلماء ، علماء الفضاء والكون والفلك والطبيعة . فهل له حديث عن المريخ وهل قال في المريخ ماء سائل او ثلوج ، او له خطبة تحدث فيها عن طبيعة سطح المريخ كما وردت له خطبة تحدث فيها عن الحشائش وعن النملة والجرادة وغيرها ؟

فلو خطب وتحدث عن القضايا الأخرى ، لكان هو الذي أخذ بالفضل والعبقرية العلمية العالمية !

أما اليوم . فحركة العلم والعلماء أخذت لهـا نصيباً من التطور والاستقلال . صحيح الامام علي (ع) عالم وعلماء آخرون جاؤا كالرازي وابن سينا لكن فرق بين من تحدث وتخصص في قضايا هامة وما يحتاجه الانسان .

والقضايا العلمية بالأمس تختلف عن القضايا العلمية اليوم . أمـا العلماء اليوم فقد حققوا معاجزاً قاهرة وجبارة .

فقد خلقوا الأجهزة الدقيقة التي نقلت الأصوات من هذه القارة الى غيرهـا .

من دروس الامام علي (ع)

وقال عليه السلام في حديثه عن الدنيا وأهلها(١) قال :

« أحذّركم الدنيا فانها دار شخوص وعلة تنغيص ساكنها ظاعن وقاطنها باثن تميد(٢) بأهلها ميدان السفينة تقصفهـا العواصف في لجج البحار(٣) فمنهم الغرق الوبق ومنهم الناجي على بطون الامواج(٤) »

(١) نهج البلاغة ابن عبدة ص٣٧٩ .

(٢) الفعل ماد فعل أجوف يدل على الحركة والاضطراب وهو ثلاثي ـ يائي ـ مادت الأرض ومصدره ميدان على وزن فعلان .

(٣) القصف والعصف وردت هـــذه المصطلحات والمفردات في في كتاب الله تعالى .

(٤) هذا التقسيم الثنائي للبشرية مأخوذ من كتاب الله فقد قرأنا اكثر من آية قرآنية وجدنا فيها هذا التقسيم . والناس في =

وهنا يصف الدنيا وتقلباتها وتغيراتها وتبدل أحوالها :

تميد باهلها ميدان السفينة في لجج البحار

وكأنه (ع) ركب سفينة وخاض أهوال البحار أو قطع رحلة بحرية وأدرك ميدان هذه السفينة ورجع يتحدث عنها . وقام يشبه هذا التشبيه الدنيا بالسفينة . وهذه بما فيها من تغير أحوال وعدم ثبات واستقرار بتلك بما فيها من جري ومخاطر وعدم بقاء فهي في حركة دائمة .

فهذه تشبه تلك ووجه الشبه في الدنيا والسفينة قد يكون حسياً وقد يكون أمراً معنوياً لأنه (ع) اختبر الدنيا وآلامها ومشاقها وعدم بقائها على حال واحدة وبعد ذلك كله رجع بعد هذه الرحلة الطويلة والتجارب والاكتواء بمكاوي هذه الحياة رجع يخبر أهل الدنيا بما شاهده من أهوال ومتاعب وأحزان وشدائد ومشاق فلا راحة فيها لأحد ولا بقاء لانسان على وضع دائم فيها . وهو الذي قال عنها في موضع آخر « لاتدوم أحوالها ولا تسلم نزّالها أحوالها مختلفة وتارات متصرفة العيش فيها مذموم والأمان منها معدوم »

وكأنه (ع) عمّر زماناً طويلاً ومرّ بآلام ومشاق وتذوق طعم الحياة ورجع يخبر المغترين بهذه الحياة ويحذر هؤلاء الذين اطمأنوا بها وظنوا انها خلقت لهم وخلقوا لها وهي دائمة ثابتة لا تتغير وظنوا انها نعيم دائم ـ وصحة باقية ـ وشباب وملك لايفنى ـ هكذا يظن

= تصنيف القرآن نوعان أما على طريق هدىً أو على طريق ضلال ونهج علي (ع) على ذلك فقسّم أهل الدنيا .

أهل الدنيا ثبات واستقرار ولا تغيّر ولا نقلات ـ وهم كذلك ـ وعليه الآن يعيشون بأحلام تسيّرهم !

وكانّ علياً (ع) أحصى كل أهل الدنيا الأولين والآخرين ومن عمّر من أهل الدنيا ودرس سجل حياته وقلب أوراق شبابه وصفحات كهولته وهرمه وأدرك انه تحوّل وتغيّر كأنه ركب سفينة شقت أمواج البحر في ظلام .

وبدأ يشبه من ركب السفينة بأهل الدنيـــا هؤلاء ـ بهؤلاء ـ وهؤلاء ـ ووجه الشبه هو عدم الاستقرار وهو موجود فهؤلاء يعيشون في حركة عرضية وهؤلاء يعايشون حركات الحياة من والى . . . وفي نقلات وحركات ديناميكية .

أليس كذلك ؟ ! ولا يحس بذلك إلا من ركب السفينة وقام برحلة في خليج مضطرب وأخذته الأمواج . ولا يعرف الدنيا إلا من مرّ بتجارب وأحس بآلام هذه الحياة .

ووجه الشبه . هو التغير وعدم الاستقرار . وهو موجود في الطرفين في الدنيا وفي السفينة أو هم أصحاب الدنيا ومن ركب البحار ووجه الشبه صورة في هذه وتلك في هذه الحياة وفي السفينة .

ولماذا شبه الحياة بالسفينة ؟

ولماذا شبه أهل الدنيا بقوم ركبوا السفينة ؟

تراث الامام علي (ع) العلمي والأدبي والسياسي

ونتساءل ماذا ورثنا عن علي عليه السلام وما هو تراث علي ؟ وهل هو ذو نتاج علمي وسياسي ؟ او هو أديب كان خطيباً خطب على شعبه

في مناسبة معينة . وقال قولاً رناناً بروعة وصولة وجاء بعبارة وعاطفة وثورة نفسية وكان خطيباً يعيش الألم فطبع تراثه بألم نفسي . واذا كان علي (ع) رجل سياسة فهو ذو تراث سياسي واذا كان علي رجل علم فهو مع العلماء او نجد تراثه في القاموس العلمي .

اذن ونتساءل ما هو نتاجه العلمي والسياسي ؟ وهل ارتحل علي عليه السلام من الدنيا وخلف تراثاً نظرياً مقبولاً كما خلف العلماء الآخرون ؟ ولكن كيف نثبت للآخرين ان علياً هو الرجـــل الذي لا مثيل له في الانسانية وهو أعلم انسان بعـد الرسول (ص) وهو أكثرهم إحاطة بأسرار النبوّة ؟

إن ذلك يتوقف على أدلة مقبولة . صحيح ان علياً ـ وعقيدتنا ـ بأنه هو خليفة محمد (ص) . وهو وارث علوم الأنبياء لا نستطيع ذلك إلا أن ندرس علياً دراسة علمية . وندرس مدرسته وآثارهـا لنثبت للآخرين انـــه الأعلم وهو الذي ما احتاج غيره ولا بمسألة واحدة(١) !

علي (ع) والقرآن

كان علي عليه السلام أكثر من غيره إستشهاداً بالآي القرآني فما

(١) راجع الامام علي (ع) والعقلية العلمية . لتقرأ نماذجاً من كلماته العلمية وهي تبرهن على أنهـا لعلي دون غيره ولا يستطيع غيره أن ينطق بها . اللهم إنها صادرة عن علي عليه السلام وصادرة عن عقل مفكر . وهي كلمات مضيئة تحمل مفاهيماً ساطعة . تناول فيها كل جوانب الوجود والفكر .

وجدنا خطبة من خطبه إلا وأكثر فيها من الشاهد القرآني .

فقال عليه السلام في حديثه عن إبليس وخلقة آدم « وعهد وصيته إليهم في الاذعان بالسجود والخنوع فقال لهم « إسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس(١) وقبيله عترتهم الحمية وغلبت عليهم الشقوة وتعززوا بخلقه النار واستوهنوا خلق الصلصال فأعطاه الله النظرة إستحقاقاً للسخطة وإستتماماً للبلية وإنجازاً للعدة . فقال « فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم(٢) »

وهذا ما عرف به علي عليه السلام بأنه أقرب الناس بالقرآن والتزاماً به واستشهاداً بآيه(٣) : قال أحد العلماء

وكنت عن الباري لساناً معبراً غوامض أسرار يحير بهـا الفكر

(١) سورة البقرة ص ٣٤

(٢) سورة ص ٨٠، ٨١ ابن أبي الحديد ج١ ص٩٧

(٣) ولعلي (ع) صلة بالقرآن فهو ينطق باللغة القرآنية ويستدل بالقرآن . ويستشهد به أكثر من استشهاده بغيره ويدعوا للقرآن فكان يدعو المسلمين الى الأخذ به والالتزام به نهجاً في الحياة ولو جمعنا ما قاله علي (ع) في القرآن من كلام وخطب وإجابات وشواهد وأحاديث عامة ووصايا ـ ووصف وتبيـان وتفسير ـ لكان مجلداً ضخماً ومن كلامه (ع) في القرآن « وأنزل عليه القرآن ليكون الى الحق هادياً وبرحمته بشيراً . فالقرآن آمر زاجر وصامت ناطق حجة الله على خلقه أخـــذ عليهم ميثاقه » ـ قانون الأصول القمي ص١٩٣ .

كلامك كالقرآن نور وحكمة وكل كلام كان في حلبه هذر(١)

ومما يروى في ذلك ان عبد الله بن الكواء . وهو الذي يجرأ بكلامه ويرفع من كلماته ـ وهو خارجي « وهو الذي قرأ خلف علي عليه السلام « جهراً ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك لئن إشركت ليحبطن عملك وتكونن من الخاسرين »

وكان علي (ع) يؤم الناس ويجهر بالقراءة فسكت علي حتى سكت ابن الكواء ثم عاد في قراءته حتى فعل ابن الكواء ثلاث مرات فلما كان في الثالثة قال أمير المؤمنين (ع) : « فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون(٢) »

خاتمة الحديث

علي (ع) مدرسة قائمة تأثر بالقرآن واتخذه شاهداً في أقواله . ونلتقي بك إن شاء الله في الجزأ الثالث . وأختتم حديثي هذا وأنا بين يدي مولاي . وأعتذر قائلاً يامولاي . لا أملك لغة ولا حولاً لي قدرة ولا ثروة فكرية ولا إحاطة علمية أستطيع بها دراسة بلاغتك ولكني حاولت ذلك ولعلي أكون قد بدأت . وان كنت تعثرت في الطريق . فان الله هو الموفق وهو ارحم الراحمين .

---

(١) الشاعر الشيخ حسين الكبير . مجلة البذرة العدد السادس السنة الثانية ص٣٩٢

(٢) القمي عباس الكنى والالقاب ج١ ص٣٩٥

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مجتمعين حولي كربيضة الغنم	١٨٤
صاحب السلطان كراكب الأسد	١٨٥
أنواع التشبيه في كلام الامام علي	١٨٦
مقاصد وغايات	١٨٧
التشبيه عند علماء البيان وفي مدرسة الامام علي	١٨٨
حذف أحد أركان التشبيه	١٨٨
أدوات التشبيه	١٩٠
أغراض التشبيه في مدرسة الامام علي	١٩٠
مدرسة الامام علي البيانية	١٩٧
القرآن مدرسة بيانية	١٩٨
علماء البلاغة والمفسرون اللغويون	١٩٩
نشأة علم البلاغة العربية	٢٠٢
اسلوب السجع في الكلام العربي	٢٠٨
تطور علوم اللغة العربية وتعددها	٢١٠
مدارس علم البلاغة العربية	٢١٢
أنواع علماء البلاغة العربية	٢١٣
تداخل علوم اللغة العربية	٢١٤
إعجاز القرآن البلاغي	٢١٤
نشأة الشك في كلام الامام علي	٢١٦
حملات عدائية	٢١٧
لماذا يشك هؤلاء في كلام الامام علي ؟	٢١٨
ماذا قال المشككون ؟ يقولون كلام علي كثير !	٢١٩

الموضوع	الصفحة
موقف المؤلف من شبهات هؤلاء	٢١٩
دفاع عن الشريف الرضي	٢٢٠
حركة الاجتهاد في الشريعة	٢٢٢
من هو أول فقيه اجتهد في الشريعة ؟	٢٢٣
الحوادث الجديدة بعد الرسول (ص)	٢٢٤
لو شئت لأستخرجت من هذا ناراً	٢٢٥
معاجز علمية يحققها علماء اليوم	٢٢٦
فكرة تجميع الحرارة الشمسية	٢٢٧
المجالات العلمية الحديثة	٢٢٨
المحتوى العلمي في الرسالة الاسلامية	٢٣٤
لا نعرف محمداً (ص) إلا اذا عرفنا علياً	٢٣٥
من دروس الامام علي	٢٣٩
الامام علي يصف الدنيا	٢٤٠
أهل الدنيا في حديث الامام علي	٢٤١
تراث الامام علي العلمي والأدبي والسياسي	٢٤١
علي والقرآن	٢٤٢
خاتمة الحديث	٢٤٤

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٨٧ لسنة ١٩٧٩

٥٠٠٠ / ١٩/ ٣ / ١٩٧٩

مطبعة الآداب ـ النجف الأشرف

فهرست الجزء الثاني

الموضوع	الصفحة
لقاء جديـــد	٤
هل أتاك حديث القرآن ؟	٥
القرآن مدرسة جامعة	٥
القرآن مدرسة التوحيد	٨
معركة الأحاديث بين المسلمين	٩
الامام علي (ع) يدعو للاسلام بسيفه وبيانه	١٤
بداية الصلة بين علي (ع) والقرآن	١٥
المدرسة القرآنية وآثارها	١٦
الامام علي (ع) يسمع ما لا يسمعه غيره	١٨
الامام علي كاتب القرآن	١٩
كيف أصبح علي (ع) بليغاً ؟	٢٤
الامام علي (ع) تلميذ مدرسة الرسالة	٢٦
هل ولد علي (ع) إماماً ؟	٢٨
مسألة الأخذ والاستفادة من مدرسة الرسالة	٣١
هل النص هو الذي يثبت الامامة ؟	٣٤
مدرسة الامام علي (ع) مدرسة الافكار والمثل العليا	٣٧
الامام علي (ع) رجل التربية الاسلامية	٣٨
طلاب مدرسة الامام علي (ع)	٤٢

الموضوع	الصفحة
الامام علي (ع) والعلماء	٤٤
ماذا يتساءل شبابنا المسلم اليوم ؟	٤٨
حديث الامامة	٥١
كيف إختلف علي (ع) عن الصحابة وبماذا ؟	٥٢
تجربة لا تحقق غرضاً	٥٣
هل وجد من يماثل علياً (ع) ؟	٥٤
تكوين شخصية الامام علي	٥٧
الامام علي يتحدث عن نفسه	٥٨
الامام علي نتاج مدرسه القرآن	٥٩
هل هو المحيط الذي صاغ علياً ؟	٦٠
المدرسة الاسلامية وجودها ونتائجها	٦٤
الامام علي وتجاربه العسكرية	٦٦
من هو أعلم المسلمين بعد محمد (ص) ؟	٧٢
خصائص كلام الامام علي عليه السلام	٧٤
الامام علي بداية ولادة الفكر الفلسفي	٧٧
المسائل العلمية في كلام الامام علي	٧٩
التفكير العلمي في عصر الامام علي	٨٥
ماذا حقق العلماء اليوم ؟	٩٥
هل توجد حياة في كواكب المجموعة الشمسية ؟	٩٩
الروايات العلمية الواردة عن الامام علي	١٠٤
كم بين المغرب والمشرق ؟	١٠٥
الامام علي مدرسة الافكار العلمية	١٠٦

الموضوع	الصفحة
اقوال خالدة وكلمات واردة	١٠٧
سلوني قبل أن تفقدوني	١٠٩
جولة في تراث علي عليه السلام	١١١
ما هي تلك الأبواب العلمية التي سلكها علي ؟	١١٣
ماذا ينسب للامام علي من نظريات علمية ؟	١١٣
ماذا يقولون وماذا قالوا في الامام علي ؟	١٢٠
الامام علي والرسول(ص)شريكان في نشر الدعوة الاسلامية	١٢٢
لماذا كان لعلي خصوم ؟	١٢٣
دعوته الى الاستفادة من وجوده	١٢٣
العلماء غرباء لكثرة الجهّال بينهم	١٢٥
آه . آه . لو أجد حملة	١٢٥
هل كشف له الغطاء ؟	١٢٦
انا النقطة تحت الباء	١٢٦
الامام علي أفكار علمية فوق عصره	١٢٨
مشابهة بين الامام علي وابن عمه المصطفى	١٣١
« علم المنايا والبلايا » ما هو ؟	١٣٢
أنا وارث علم الأنبياء	١٣٤
الامام علي وعلماء الفسلجة	١٣٩
علم التفسير	١٤١
علوم المدرسة الاسلامية	١٤٥
الامام علي والعقلية المتفلسفة	١٤٥

الموضوع	الصفحة
الامام علي وديكارت	١٤٦
الامام علي ونوابغ الفكر البشري	١٤٩
الامام علي ولقمان الحكيم	١٥٠
وقفة حول النصوص الواردة	١٥١
عظمة الامام علي في المعرفة	١٥٧
الامام علي ورعايته الاجتماعية للأمة	١٦٢
من هو أعلم الناس من بعد الرسول (ص) ؟	١٦٤
الامام علي ومدرسة البيان العربي	١٦٨
اسلوب التشبيه في الكلام العربي وكلام علي	١٦٩
فصاحبها كراكب الصحبة	١٦٩
إن مثل الدنيا كمثل الحية	١٦٩
كأنما يساقون الى الموت	١٧٠
إلا إن مثل آل محمد كمثل النجوم	١٧١
يخضمون مال الله خضمة	١٧١
جرجرتم جرجرة الجمل الأسرّ	١٧١
إن محلي منها محل القطب من الرحا	١٧٣
وأنا من رسول الله كالضنو من الضنو	١٧٣
الشاتر في دمائنا كالحاكم في حق نفسه	١٧٥
كأني بك ياكوفة تمدّين مدّ الأديم العكاظي	١٧٩
فتن كقطع الليل المظلم	١٨٢
ما أنتم إلا كأبل ظلّ رعاتها	١٨٢
أما أنتم كالمرأة الحامل	١٨٣

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ٧٦٠٣٢
التاريخ ٢٠٠٩-٣-١٧

دراسة وتحليل لمضمون التعليم على [illegible] وبيان صلة هذه المدرسة بالقرآن الكريم والقرآن في خط واحد . وهنا يصح التشبيه الذي [illegible] مع القرآن مع علي .

طبعت وزارة الاعلام
وقاية المطبوعات على طبع الكتاب

«[ثمن النسخة الواحدة دينار واحد]»